

وزارة التعليم العالي

الدراسات العليا

كلية أصول الدين

قسم القرآن وعلومه



2.1.2. --- 5.10

أبجديات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري

رسالة لنيل درجة الدكتوراه

1-377A

اعداد

فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي

إشراف

الدكتور / مصطفى مسلم محمد

أستاذ مشارك في كلية أصول الدين

(الجزء الثالث)



العام الجامعي

A 1400 — A 1404

الباب الرابع

الاتجاه الأدبي في التفسير

تمهيد :

لا أخفي أبدا أنني قد كنت ممن التبت عليهم معالم هذا الاتجاه في التفسير واختلطت عند هم خطوطه وحدوده وحتى بعد أن قرأت فيه كثيراً من الكتب بل زادت به بعض هذه المؤلفات لبساً إلى لبسه وغموضاً إلى غموضه. وليس أدل على ذلك ممن أن بعض المؤلفين ينكرون كل تأليف قديم فيه ويزعمونه اتجاهها جديداً بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى ؟! وزعم آخرون أنه قد يمقدّم التفسير، زد على هذا اختلافهم في مدلوله وتعريفه و... .

وما زلت أقرأ وأتأمل حتى ظهر لي ما أحسبه الحقيقة وقد ظهرت لغيري من قبل . وحين تظهر الحقيقة فإنها توجب على صاحبها اظهارها وإلا كانت حقيقة مكتومة يبوء صاحبها بإثم كتمانها

كنت أعتقد أن الاتجاه الأدبي في التفسير يشمل مناهج ثلاثة :-

أولها : المنهج البياني

ثانيها : المنهج الموضوعي

ثالثها : منهج التذوق الأدبي

كنت أحسبه كذلك فإذا به غير ما ظننت ، وقع الخلط بين أولها وثانيها ما حدود المنهج البياني وما حدود المنهج الموضوعي وهل بينهما من صلة أو هما اسمان لمسمى واحد ؟!

وإذا بالحقيقة غير ذلك كله فليست الموضوعية في التفسير منهجاً ؟! حتى وإن وصفها كثيرون بذلك ، إذ هي ليست إلا أسلوباً من أساليب التفسير ووسيلة من وسائله ومركباً من مركبه .

وأساليبه محدودة ومعلومة قسمها العلماء إلى

١ - التفسير التحليلي

٢ - التفسير الإجمالي

٣ - التفسير المقارن

٤ - التفسير الموضوعي

أما التفسير التحليلي فهو أن يلتزم المفسر تسلسل النظم القرآني والسير معه سورة سورة وآية آية . وهو النمط الذي سلكه سائر المفسرين القدامى إلا القليل النادر .

وأما التفسير الإجمالي فهو أن يلتزم المفسر تسلسل النظم القرآني أيضا سورة سورة ، إلا أنه يقسم السورة إلى مجموعات من الآيات يتناول كل مجموعة بتفسير معانيها إجمالا ، مبرزاً مقاصدها موضحاً معانيها مظهرها مراميها ، ويجعل بعض "ألفاظ" الآيات رابطاً بين النص وبين تفسيره . فيورد بين الغينه والأخرى لفظاً من ألفاظ النص القرآني لاشعار القارئ أو السامع بأنه لم يبعد في تفسيره عن سياق النص القرآني ولم يجانب ألفاظه وعباراته ومشعرها بما انتهى إليه في تفسيره من النص .

وأما التفسير المقارن فهو أن يعتمد المفسر إلى جملة من الآيات في موضع واحد في سورة واحدة ويورد أقوال المفسرين السابقين لها ويوازن بينها ويقارن ، وينقد الضعيف ويؤيد الصحيح .

وأما التفسير الموضوعي فهو أن يلتزم المفسر موضوعاً قرآنياً واحداً يجمع الآيات الواردة فيه ليتناولها بالتفسير مجتمعة ليصل بعد ذلك - حسب جهده - إلى حكم القرآن النهائي في موضوعه الذي يتناوله .

وإذا كانت هذه هي أساليب التفسير في القرآن الكريم وليست منهاجه - بدليل أنه يصح أن يتناول بكل أسلوب منها كل مناهج التفسير فليس

الأسلوب إلا مطية، وليس المنهج إلا طريقا . . للهدف

فيصح أن يسلك بالتفسير التحليلي منهج أهل السنة والجماعة
ويصح أن يسلك به منهج الشيعة بل يصح أن يسلك به الاتجاه العلمي
بمناهجه والعقلي وحتى الالحادي . وكل هذه الاتجاهات موجودة في تفاسير
العلماء السابقين . وهي من هذا الأسلوب في التفسير وكذا التفسير
الاجمالي والمقارن .

ويصح أن يسلك بالتفسير الموضوعي الاتجاه العقدي فيكتب عن
" آيات الإيمان بالله " وعن " آيات الإيمان بالكتب " وعن " آيات الإيمان
بالملائكة " وعن " آيات الإيمان بالرسول " وعن " آيات الإيمان بالآخرة "
وعن " آيات الحجة على المشركين بالله " ^(١) وعن " قضايا
العقيدة في ضوء سورة ق " ^(٢) وعن " سورة الواقعة ومنهجها
في العقائد " ^(٣) وعن " تصور الألوهية كما تعرضه سورة الأنعام " ^(٤)
وعن صراع المذهب والعقيدة في القرآن " ^(٥) وعن المصطلحات
الأربعة في القرآن الإله الرب العبادة الدين " ^(٦) وعن " مع
الإيمان في رحاب القرآن " ^(٧) وعن " الأنبياء في القرآن " ^(٨) وعن
" النبوة والأنبياء في ضوء القرآن الكريم " ^(٩) وعن " رسول الله في
القرآن الكريم " ^(١٠) وعن " نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن " ^(١١)

(١) وكلها مؤلفات للأستاذ عبد المنعم أحمد تعيلب

(٢) للأستاذ كمال محمد عيسى

(٣) للأستاذ محمود محمد غريب

(٤) للأستاذ إبراهيم الكيلاني

(٥) للأستاذ عبد الكريم غلاب

(٦) للأستاذ أبو الأعلى المودودي

(٧) للأستاذ محمد محمد خليفة

(٨) للأستاذ سعد صادق محمد

(٩) للأستاذ أبو الحسن الندوي

(١٠) للأستاذ حسن الملطوي

(١١) للأستاذ حسن ضياء الدين عتر

وعن " اليهود في القرآن الكريم" ^(١) وعن " المسيح في القرآن" ^(٢)
وعن " بنو اسرائيل في القرآن" ^(٣) وعن " رحلة الآخرة في
القرآن الكريم" ^(٤) وعن " القرآن والشيطان" ^(٥) وعن " أفعال العباد
في القرآن الكريم" ^(٦)

وكل هذا تفسير موضوعي وكله من المنهج العقدي في التفسير
ويصح أن يسلك بالتفسير الموضوعي الإتجاه العلمي بمنهجه
الفقهي ، والعلمي التجريبي ، أما الفقهي فكله لا أستثنى منه شيئاً
من التفسير الموضوعي ذلكم أن صاحبه يتجه إلى آيات الأحكام في
القرآن الكريم فيفرد بها بالحد يث ويقتصر عليها بالتفسير والبيان وهذا
أسس التفسير الموضوعي . وقد يقتصر على موضوع واحد فقهي
فيفسر الآيات التي تناولته فيكتب مثلاً عن " آيات الجهاد في القرآن
الكريم" ^(٧) وعن " المال في القرآن" ^(٨) وعن " أحكام الحجاب في القرآن" ^(٩)
وعن " تفسير آيات الربا" ^(١٠) وكلها تفسير موضوعي من المنهج
الفقهي .

ويصح أن يسلك بالتفسير الموضوعي الإتجاه العلمي بمنهجه العلمي
التجريبي فيتناول بالتفسير الآيات العلمية عامة وطائفة معينة ذات موضوع

-
- (١) للأستاذ محمد عزة دروزه
 - (٢) للأستاذ عبد الكريم الخطيب
 - (٣) للأستاذ السيد رزق الطويل
 - (٤) للأستاذ عبد العزيز خطاب
 - (٥) للأستاذ فارس محمد ثابت
 - (٦) للأستاذ محمد المجذوب
 - (٧) للأستاذ كامل سلامة الدقوس
 - (٨) للأستاذ محمود غريب
 - (٩) للأستاذ أمين أحسن الإصلاحي
 - (١٠) للأستاذ سيد قطب
-

واحد منها فيكتب في علم الفلك مثلا " ما دل عليه القرآن مما يعضد
الهيئة الجديدة " (١) أو التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن (٢)
أو تفسير الآيات الكونية (٣) وفي علم الطب مثلا " القرآن والطب (٤)
أو " مع الطب في القرآن الكريم " (٥) وغير ذلك من العلوم التجريبية
وكل هذا تفسير موضوعي من المنهج العلمي التجريبي .

ويصح أن يسلك بالتفسير الموضوعي الإتجاه الاجتماعي فيكتب عن " دستور
الأخلاق في القرآن " (٦) وعن " المجتمع الإسلامي كما تنظمه سورة النساء " (٧)
وعن " الفلسفة التربوية في القرآن " (٨) وعن " التربية في كتاب الله " (٩)
وعن " الأمة الإسلامية كما يريد ها القرآن " (١٠) وعن " القرآن
والمبادئ الإنسانية " (١١) وعن " وصايا لقمان في القرآن (١٢)
الكريم " وعن " فقه الكلمة ومسئوليتها في القرآن والسنة " (١٣) وعن " منزلة
الأم في القرآن الكريم " (١٤) وعن " الأم في القرآن الكريم " (١٥) وعن " المرأة
من خلال الآيات القرآنية " (١٦) وعن القرآن والمرأة " (١٧) وعن
" القرآن والمجتمع " (١٨) وعن " منهج القرآن في تطوير المجتمع " (١٨) وكل

-
- (١) للأستاذ محمود شكري الألوسي
 - (٢) للأستاذ حنفي أحمد
 - (٣) للأستاذ عبد الله شحاتة
 - (٤) للأستاذ محمد وصفي
 - (٥) للأستاذين عبد الحميد دياب وأحمد قرقوز
 - (٦) للأستاذ محمد عبد الله دراز
 - (٧) للأستاذ محمد محمد المدني
 - (٨) للأستاذ محمد فاضل الجمالي
 - (٩) للأستاذ محمود عبد الوهاب
 - (١٠) للأستاذ محمد الصادق عرجون
 - (١١) للأستاذ محمد عبد الله السمان
 - (١٢) للأستاذ محمد محمود مصطفى عمير
 - (١٣) للأستاذ محمد عبد الرحمن عوض
 - (١٤) للأستاذ عبد المعز خطاب
 - (١٥) للأستاذ أحمد عبد الهادي
 - (١٦) للأستاذ عصمة الدين كركر
 - (١٧) للأستاذ محمود شلتوت
 - (١٨) للأستاذ محمد البهي

هذا تفسير موضوعي من منهج الإصلاح الاجتماعي
فهل يصح أن تسلك هذه المؤلفات كلها على مختلف مواضعها
واتجاهاتها في منهج واحد من مناهج التفسير؟ لا أحسب
هذا يقبله ذو علم

فلا شك إذاً أن التفسير الموضوعي ليس منهجاً مستقلاً عما سواه
من المناهج بل لا يصح أن يوصف بالمنهجية وشأنه كذلك . فهو ليس إلا
وسيلة من وسائل التفسير يتناول بواسطته كل المناهج التفسيرية .
ولذا فلا يصح أن يعد منهجاً وإنما هو أسلوب من أساليب التفسير ،
وحيث ينحصر هذا الجزء من المناهج الثلاثة التي حسبها تكون الاتجاه
الأدبي في التفسير ويبقى المنهجان : -

١ - المنهج البياني

٢ - منهج التذوق الأدبي

يزول اللبس وتظهر المعالم وتنجلي الحقيقة . ولست أزم لنفسي
كشفها ، ولست ممن يضع في إحدى أذنيه قطناً وفي الأخرى عجيناً
- كما يقولون - فلا يسمع رأياً ولا يقبل قولاً وقد يكشف له حقائق كانت
عن بصره مستورة أو يجلو غشاوة في بصره كانت تعميه ، وما زلت أطلب
الحقيقة فهي ضالتي واحسبني - والحمد لله - قد وصلت إليها .

وعلى هذا فسأقتصر في حديثي عن هذا الاتجاه على المنهجين

السابقين

١ - المنهج البياني

٢ - منهج التذوق الأدبي

الباب الرابع

الاتجاه الأدبي في التفسير

الفصل الأول

المنهج البائي في التفسير

في أمة كانت تقيم للشعر أسواقا وللخطابة ندوات وتعد الشعر ديوانا
وسجلا للمفاخر نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين .

كانت أمة تمسك بزمام البلاغة والفصاحة لا تجارى عرفت بحسن الأداء
وجمال المنطق وسلاسة التعبير وما يزال الناس بعد أربعة عشر قرنا
من الزمان يرددون قصائدهم ويحفظون خطبهم وهم يعدونها مثالا
للبلاغة والفصاحة فقد نزل عليهم القرآن الكريم وهم في ذروة من
البلاغة وقمة من الفصاحة فكانوا ملوكها وأساطينها .

وأشد ما تكون المعجزة إعجازا إذا نزلت في قوم برعوا في موضوعها
وقد كانت معجزة القرآن الكريم كذلك .

وعلى قدر قوة هذه المعجزة كانت الصدمة للقوم - بعد عجزهم -
قوية فمنهم من بادروا من فوره إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مذعنوا
مسلمين ، ومنهم من عاندوا واستكبروا ولم يعي ما يقول قال وقالوا شعر وقيل
وقالوا سحر وقالوا كهانه وهو وهم يعرفون أنه ليس بهذا ولا بذاك ولا
بذلك .

وكما طوعت لهم أنفسهم أن يقولوا بهذا - يخذعون أنفسهم - طوعت
لهم أن يقولوا - " إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ " ^(١) ولم يكونوا صادقين وإنما كانوا
يلتمسون لأنفسهم عذرا بعجزهم عن مجاراته ويدروا عن أنفسهم معرة
الإفحام فأخطأوا السبيل وهم لا يعون لهول الصدمة لم يجعلوا هذا
البشر المزعوم منهم فهم يعرفون قصورهم عن ذلك هذا القول فنسبوه
إلى رجل هل تدرون من هو؟ ! إذا استسخرون!! لرجل كان حدادا
منهمكا في مطرقته وسندانه عامي الفؤاد لا يعلم الكتاب الا أماني

(١) سورة النحل : الآية ١٠٣

أعجمي اللسان لا تعد و قرآته أن تكون رطانة لا يعرفها محمد صلى الله عليه وسلم ولا أحد من قومه . ولكن ذلك كله لم يكن ليحول بينه وبين لقب " الأستاذيه " الذي منحوه إياه على رغم أنف الحاسدين . ! هكذا ضاقت بهم دائرة الجد فما وسعهم إلا فضاء الهزل وهكذا مضوا في هزلهم حتى خرجوا عن وقار العقل فكان مثلهم كمثل من يقول إن العلم يستقى من الجهل وإن الإنسان يتعلم كلامه من البهائم ! وكفى بهذا هزيمة وفضيحة لقائله (لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين " (١) (٢)

ومع هذا فإننا نسمع حيناً في دياجير الظلام أصواتاً لم تستطع أن تخرق طبقات الحق إلى ظلمة الباطل فلا تجد إلا الاعتراف والإذعان فتقول : " والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أسفله لمغدق وإن أعلاه لمثمر وما يقول هذا بشراً " لكنها لا تلبث وقد طغى عليها العناد إلا أن تعود إلى ضلالها فتزعم الباطل كرة أخرى .

والإعترافات عديدة والعناد كثير لذا فلم يكلف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن " يهدي من أحب " ومن لم يحب أيضاً إلى الإيمان وإنما كُلف بأن يُسمع المشركين كلام الله " وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ، ذلك بأنهم قوم لا يعلمون " (٣) لم يكلف بما بعد الإسماع لأن المانع بعده ليس " الإقناع " فقد حملته الآيات وإنما هو العناد والعناد لا تنفع معه الحجة والبرهان ، وإذا لم يكن ثمَّ عناد فقد حدثنا القرآن عن قوم " إذا تتلى عليهم آيات الرحمن

(١) سورة النحل : الآية ١٠٣

(٢) النبأ العظيم : د / محمد عبد الله دراز ص ٦٤

(٣) سورة التوبة : الآية ٦



خـرـوا سـجـداً وبيـكـا (١)

وهذا عمر رضي الله عنه وهو من هو يقع في أسر البيان القرآني في وقت كان الشرر يتطاير من عينيه حين علم بإسلام أخته فذهب ليفتك بها فإذا به يقع في أسر بيان آيات من سورة طه لا يملك معها إلا الإذعان والإيمان - حيث لا عناد -

وهذا جبير بن مطعم رضي الله عنه يقع في أسر البيان القرآني حين سمع من فم الرسول صلى الله عليه وسلم قوله تعالى " أم خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ " (٢) حتى إعترف " كاد قلبي أن يطير " وآمن - وذلك أول ما وقر الاسلام في قلبي " (٣) لأنه لم يكن ثم عناد .

ومما يؤكّد تأصل العناد في قلوب المشركين ضربهم الحصار حول القرآن الكريم حتى لا يسمعه - سماعاً - القادمون في موسم الحج وممع هذا فقد فتح مصعب بن عمير رضي الله عنه يثرب بآيات من القرآن مكث فيها يقرأ القرآن على أهلها فأمنوا ودعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الهجرة إليهم حتى قيل " فتحت المصار بالسيوف وفتحت المدينة بالقرآن " (٤) وهل هناك من سلاح أقوى من سلاح البيان القرآني ؟ !

ليس الجديد في القرآن لغته لكن من الجديد فيه أنه أمة وحده في البلاغة العربية (وأنه في كل شأن يتناوله يختار له أشرف المواد وأمسها رحماً بالمعنى المراد وأجمعها للشوارد وأقبلها للامتزاج ويضع كل مثقال ذرة في موضعها الذي هو أحق بها وهي أحق به بحيث لا يجد المعنى في لفظه إلا مرآته الناصعة وصورته الكاملة ولا يجد اللفظ في معناه إلا وطنه الأمين وقراره المكين . لا يوماً أو بعض

(١) سورة مريم : الآية ٥٨

(٢) سورة الطور : الآية ٣٥

(٣) الإتقان في علوم القرآن : السيوطي ج ٢ ص ١٢٣

(٤) بيان إعجاز القرآن : لأبي سليمان الخطابي : ص : ٦٥

يوم بل على أن تذهب العصور وتجيء العصور فلا المكان يريد بساكنه بدلا . ولا الساكن يبغى عن منزله حولا . . وعلى الجملة يجيئك من هذا الأسلوب بما هو المثل الأعلى في صناعة البيان " (١)

خلاصة الأمر أن هذا البيان القرآني يجمع أمورا جمعتها النظم الفريد العجيب الحسن المخالف لأساليب العرب ، والصور البيانية التي تؤلف أبداً تأليف بين أفصح الألفاظ الجزلة وأصح المعاني الحسنة (٢)

هذه الأمور هي التي اتجهت إليها همة طائفة من المفسرين وأولوها اهتماما واتسعت الدراسات حولها وكثرت ولئن كان للعصر الحديث منها نصيب كبير فإن جذورها تمتد إلى عصر نزول القرآن الكريم

وقد حسب بعض المؤرخين للمنهج البياني في التفسير خلوص صدر الاسلام منه وتجاوزه إلى ما بعده حين ظهرت المصطلحات البلاغية في صدر العصر العباسي وهم يحسبون أن معرفة البيان القرآني فرع عن معرفة (المصطلحات البلاغية) وفاتهم أن قوم الفطرة قد درسوا القرآن دراسة من يعرف مناحي البيان وإن فاتهم معرفة مصطلحاته التي ظهرت من بعدهم فهم يعرفون مناحي الإيجاز والإطناب ومواضع الحقيقة والمجاز وقد كفانا الجاحظ مؤنة الرد على من أنكر ذلك فقال " فإن زعم زاعم أنه لم يكن في كلامهم تفاضل ولا بينهم في ذلك تفاوت فلم يذكروا العي والبكى والحصر والمفحم ، والخل ، والمسهب والمتشدد والمتفهم والهماز والثرثار والمكثار والمهماز؟ ولم ذكروا الهجر والهذر والهديان والتخليط؟ وقالوا رجل تلفاعة وتلهاعة وفلان يتلهمع في خطبته . وقالوا فلان يخطئ في جوابه ، ويحيل في كلامه ، ويناقض في خبره ولولا أن هذه

(١) النبأ العظيم : الدكتور محمد عبد الله دراز ص ٩٢

(٢) بيان اعجاز القرآن لأبي سليمان الخطابي ص ٦٥

الأمر قد كانت تكون في بعضهم دون بعض لما سمي ذلك البعض والبعض الآخر بهذه الأسماء " (١)

ولا شك أن هذه الأوصاف والمسميات التي ذكرها الجاحظ ترسم الجو البلاغي الذي تنفست فيه المعاني البليانية قبل أن ترسمها المصطلحات البلاغية المحدثثة وفي ذلك ما يدفنا إلى تلمس الأصول الأولى للتفسير البياني للقرآن الكريم لدى الأوائل من سامعيه (٢)

وإذا ما فعلنا ذلك فإننا سنجد في تفسير الرسول صلى الله عليه وسلم جملة من ذلك نذكر لها مثالا ببيان عليه الصلاة والسلام للخيط الأبيض والخيط الأسود في قوله تعالى " وكلوا أشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر " ببياض النهار وسواد الليل (٣) منتقلا بالمعنى من الحقيقة إلى المجاز .

وفي تفسير الصحابة رضوان الله عليهم نجد جذور وبذور التفسير البياني للقرآن الكريم وأشهر من عرف عنه هذا اللون من التفسير حبر هذه الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما . ولذا فقد جرى بعض المؤرخين للتفسير على اعتبار ابن عباس رضي الله عنهما صاحب البرأى الخاص بتفسير القرآن تفسيراً لغوياً يرجع فيه إلى شعر العرب لمعرفة ما قد يغمض من الألفاظ والتراكيب . (٤)

وتاريخ التفسير يحد ثنا مرارا عن لقاء نافع بن الأزرق بابن عباس رضي الله عنهما فيقول : بينا عبد الله بن عباس جالس بفناء الكعبة قد اكتنفه الناس يسألونه عن تفسير القرآن فقال نافع بن الأزرق

-
- (١) البيان والتبيين : الجاحظ ج ١ ص ٩٠ - ٩١
(٢) انظر خطوات التفسير البياني للقرآن الكريم : د / محمد رجب البيومي ص ١٢
(٣) صحيح البخارى ج ٥ ص ١٥٦ كتاب التفسير
(٤) خطوات التفسير البياني : محمد رجب البيومي ص ١٤

لنجدة بن عويمر قم بنا إلى هذا الذي يجترى على تفسير القرآن بما لا علم له به فقاما إليه فقالا إنا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله فتفسرها لنا وتأتينا بمصادقه من كلام العرب فإن الله تعالى إنما أنزل القرآن بلسان . . . عربى مبين فقال ابن عباس سلاني عما بدا لكما^(١) فسأله نافع عن أكثر من مئة وثمان وثمانين مسأله أوردها السيوطي رحمه الله تعالى في الاتقان^(٢)

وإيراد السيوطي لهذه المسائل تحت عنوان " ما ينبغي للمفسر من معرفة باللغة^(٣) وتمهيد له بالمروى عن ابن عباس رضي الله عنهما " إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب وأن ابن عباس كان يُسأل عن القرآن فينشد فيه الشعر قال ابو عبيد يعني كان يستشهد به على التفسير^(٤) يلفتنا الى أن العناية بها اتجهت إلى الجانب الأدبي من حيث هي شاهد ودليل لمن يحتجون لقيمة الشعر على من قالوا بكراهته في الاسلام ولذا فلاعجب أن رأينا مسائل نافع بن الأزرق موضع عناية من علماء اللغة والأدب أكثر من اصحاب التفسير^(٥)

(١) الاتقان في علوم القرآن : السيوطي ج ١ ص ١٢٠

(٢) انظر الاتقان : ص ١٢٠ الى ١٣٣ ج ١

(٣) الاتقان : ج ١ ص ١١٤

(٤) الاتقان : السيوطي ج ١ ص ١١٩ - ١٢٠

(٥) الاعجاز البياني للقرآن : بنت الشاطيء

وليس ابن عباس رضي الله عنهما بالوحيد^(١) بينهم رضي
الله عنهم فقد شاركه في هذا جملة من الصحابة رضي الله عنهم
لكنه من أولهم وأشهرهم فذكرناه واقتصرنا عليه .

وقد ورث عن ابن عباس رضي الله عنهما تفسيره طائفة
من تلاميذه بما فيه من جذور التفسير البياني فجاء تفسير مجاهد
متأثرا بهذا اللون من التفسير وقد ذكر الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي
رحمه الله تعالى جملة من هذا وذاك في كتابه " معجم غريب القرآن "

(١) هذا لا يعني صحة نسبة هذه الأسئلة من نافع لابن عباس رضي
الله عنهم - كلها - فلا شك أنه يصعب الإقتناع بأن مثل
نافع يسأل مثل هذه الأسئلة فلوجاز له أن يسأل مثلاً
عن " رعباً " تتبيب " حميم أن " وغيرها فإنه لا يصح -
أن يسأل - وهو من هوفى معرفة اللغة - عن
" عذاب أليم " أطعموا البائس " إضربوا كل بنان " وغيرها فكان
هذا ونحوه لا يعوض فهمه على مثل نافع ، زد على
هذا، أن الرواية تحكى إستهزاء ابن عباس بشعر بن أبي
ربيعه ، والحارث والمخزومي وغيرهما ممن جاء بعد انتشار
الفاظ القرآن فلا يعقل أن يقتنع نافع بشعرهم ونحو هذا استدلاله
بشعر حسبان رضي الله عنه وأمية بن أبي الصلت وعبد الله
بن رواحه رضي الله عنه وهم لا شك درسوا القرآن
وتأثروا بأسلوبه وعباراته فاقتبسوا منه في أشعارهم فلا
يستدل بنحو ذلك ، وإنما الحجة في نحو هذا لشعراء
العريية قبل انتشار آيات القرآن وتداولها بين الناس
لكن هذا كله - احتياط - لا يمنعنا من التسليم بجوهر
المسألة أعني رجوع ابن عباس إلى الشعر العربي في التفسير
ولا يمنع أن يكون نافع سأل عن بعض هذه الأسئلة وزاد عليها
من بعده الرواة ما زادوا ويبقى ما بقي وهو كثير حجة على ما
أردنا إثباته من ثبوت جذور التفسير البياني لدى ابن عباس رضي الله
عنهما ، وقد اقتبست هذا الاحتياط العلمي من الدكتور محمد
رجب البيومي في كتابه خطوات التفسير البياني ص ١٨ - ١٩

كل هذا كان قبل عصر التدوين . ولعل هذه الخاصة فيه هي التي جعلت كثيرا من المؤرخين يتجاوزون هذه المرحلة ويعرضون عنها مبتدئين تاريخهم للتفسير البياني ببداية عصر التدوين

وأول ما يصادفنا في هذا العصر - عصر التدوين - كتاب " مجاز القرآن " لابي عبيدة معمر بن المثنى رحمه الله تعالى المتوفى سنة ٢١٠ . وينبغي أن أذكر هنا ما ذكره ابن تيمية رحمه الله تعالى عن المراد بالمجاز هنا حيث قال " أول من عرف أنه تكلم بلفظ المجاز أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه ولكن لم يَعْنِ بالمجاز ما هو قسم الحقيقة وإنما عني بمجاز الآية ما يعبر به عن الآية (١) وذلك أنه حين يتعرض للنصوص القرآنية يشير إلى ما تدل عليه من حقيقة أو مثل أو تشبيه أو كناية وما يتضمن من ذكر أو حذف أو تقديم أو تأخير فوضع بذلك اللبنة الأولى في صرح الدراسات البلاغية للقرآن الكريم ، وقد يكون في ذلك بعض التجاوز في التحديد ولكنه منهج مبدئي وله بذلك موضعه من التقدير (٢)

وجاء من بعده سيل من المؤلفين في هذا المضمار فألف الفراء كتابه معاني القرآن ومع أن الفراء هذا يقول " لو حُمِلَ إِلَى أبو عبيدة لضربته عشرين في كتاب المجاز " (٣) فإن كتابه المعاني جاء على نفس طريقه أبي عبيدة وإن غلب النحو على منهجه ودراسته الكتابين توحى بإتخاذ المنحى لدى الرجلين في البدء بتفسير الآيات حسب ترتيبها في المصحف

(١) مجموع الفتاوى ابن تيمية جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم ج ٧ ص ٨٨ وانظر ج ١٢ ص ٢٧٧

(٢) خطوات المنهج البياني : د / محمد رجب البيومي ص ٤٦

(٣) معجم الأدباء : ياقوت الحموي ج ٩ ص ١٥٩

وأتبعه في إيراد المسائل البَيانية من كناية وتشبيه ومثل واستعارة ومجاز^(١) واتبعه كظله في تذييل تفسيره بذكر الحديث والأمثلة الشعرية والنثرية لبيان المعنى وتوضيحه ولا يفوته أحيانا أن يورد بعض المأثور عن الصحابة والتابعين^(٢)

وجاء من بعدهم الجاحظ ت (٢٢٥) فألف كتابه " نظم القرآن " وهو كتاب مفقود لكن كتب الجاحظ نفسه والدارسين من بعده لا تخلو من الإشارات إليه وبيان غرضه

وابن قتيبة ت (٢٧٦) ألف كتابه تأويل " مشكل القرآن " رد فيه على الطاعنين في بلاغته ، والجاحظ خطيب المعتزلة وابن قتيبة خطيب أهل السنة كما يقولون^(٣)

ودخل القرن الرابع الهجري الذي اختار أصحابه لهذا اللون من التفسير عنوان إعجاز القرآن^(٤) فألف فيه من أهله أبو الحسن علي بن عيسى الرماني ت (٣٨٦) كتابه " النكت في إعجاز القرآن " وألف أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي ت (٣٨٨) " بيان إعجاز القرآن "

وفي هذا القرن أيضا ألف قاضي المعتزلة أبو الحسن عبد الجبار الهمداني ت (٣١٥) كتابه (المغني في أبواب التوحيد والعدل) خص إعجاز القرآن بجزء منه مستقل

ومن أهل هذا القرن أيضا أبو بكر الباقلاني ت ٤٠٣ وقد ألف كتاب " إعجاز القرآن "

-
- (١) خطوات التفسير البياني : د / محمد رجب البيومي ص ٥٩
(٢) إعجاز القرآن البياني بين النظرية والتطبيق : د حفني شرف ص ٢٠
(٣) خطوات التفسير البياني : د / محمد رجب البيومي ص ٩٢
(٤) الاعجاز البياني للقرآن : د / عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) ص ١٨

وجاء القرن الخامس وظهر ما فيه وأشهر كتاب عبد القاهر الجرجاني
ت ٤٧١ " دلائل الإعجاز " ورسالته التي سماها " الرسالة الشافية " في إعجاز القرآن الكريم

وجاء القرن السادس وما أدراك ما القرن السادس ألف فيه أبو القاسم
محمود بن عمر الزمخشري ت (٥٣٨) كتابه تفسير الكشاف وحسبك به
في هذا اللون من التفسير

وفي أواخر هذا القرن ألف فخر الدين الرازي ت (٦٠٦) رسالته
" نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز "

وفي القرن السابع وضع أبو الأصبع المصري ت ٦٥٤ كتابه " بديع القرآن " وكتابه " الخواطر السوانح في أسرار الفواتح "

وفي القرن الثامن وضع الامام يحيى بن حمزة العلوي ت (٧٤٩) كتابه
" الطراز " أملاه على أصحابه بعد أن قرأوا تفسير الكشاف فطلبوا منه
أن يملئ عليهم في إعجاز القرآن كتابا فأمله عليهم

وفي القرن التاسع ألف برهان الدين بن عمر البقاعي ت (٨٨٥) كتابه
" نظم الدرر في تناسب الآيات والسور "

وفي أواخر هذا القرن وأوائل القرن العاشر جاء الامام جلال الدين
السيوطي ت (٩١١) صاحب المؤلفات والمصنفات في هذا الموضوع وغيره
ومنها كتابه " تناسق الدرر في تناسب السور " وغيره كثير

ولا أعرف كتابا أو تفسيراً من هذا اللون في القرنين الحادي
عشر والثاني عشر أما القرن الثالث عشر فقد ألف فيه شهاب الدين
السيد محمود الألوسي ت ١٢١٧ تفسيره " روح المعاني " حتى
عده بعض المعاصرين " إمتداداً لتفسير الكشاف للزمخشري في الاهتمام

بالمسائل البلاغية والنحوية" (١)

() هذه إشارة سريعة لم أقصد بها إستيفاء ولا شمولاً ولا إستقصاءً وإنما قصدت الإشارة إلى وجود الدراسات البينانية للقرآن الكريم عند الأقدمين وتسلسلها عبر القرون واتصالها ببعضها ببعض من عصر نزول القرآن الكريم إلى القرن الرابع عشر الهجري

ولم أضرب الأمثلة إذ أن ضرب المثال في مثل هذا المقام يوجب إستيفاء جوانبه الفكرية ولو فعلت هذا وذاك لكان في كتاب حتم وقد كفاني مؤنة ذلك أستاذان فاضلان تتبعنا خطوات التفسير البيناني حتى العصر الحديث هما الدكتور محمد رجب البيومي في خطوات التفسير البيناني للقرآن الكريم ، والدكتور حفي محمد شرف في كتابه "إعجاز القرآن البيناني بين النظرية والتطبيق"

ولعلي بعد هذا أجد مبرراً للولوج إلى ميدان القرن الرابع عشر الهجري حيث أسمع جلية لعلّي آتيكم منها بخبر

تطور التفسير البيناني :

أشرقت شمس القرن الرابع عشر الهجري و طوقت بإشعتها الذهبية منارات الأزهر الشريف وفي ظلها وتحت فيئها يجلس عالم يلبس عمامة الأزهر وجلبابه وحوله عدد من تلا ميذه جيشاً يطلبون العلم والمعرفة

ذلكم الشيخ محمد عبده يقرر لتلاميذه في بداية درسه القرآن الكريم الأمور التي يجب أن يلتزمها المفسر فتسارق النظر إلى أوراق تلميذه السيد رشيد رضا تستدرك ما فاتك من الدرس فتقرأ فيها :-

(١) إعجاز القرآء البيناني: د/ حفي محمد شرف: ص: ٢٠٢

" للتفسير مراتب : أدناها : - أن يبين بالإجمال ما يشرب القلب عظمة الله وتنزيهه ، ويصرف النفس عن الشر ويجذبها إلى الخير وهذه هي التي قلنا أنها متيسره لكل أحد " ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر" (١)

وأما المرتبة العليا فهي لا تتم إلا بأمور : -

(أحدها) فهم حقائق الألفاظ المفردة التي أودعها القرآن - بحيث يحقق المفسر ذلك من استعمالات أهل اللغة ، غير مكتف بقول فلان وفهم فلان ، فإن كثيرا من الألفاظ كانت تستعمل في زمن التنزيل لمعان ثم غلبت على غيرها بعد ذلك بزمن قريب أو بعيد إلى أن قال . . . يجب على من يريد الفهم الصحيح أن يتتبع الإصطلاحات التي حدثت في الملة ، ليفرق بينها وبين ما ورد في الكتاب فكثيرا ما يفسر المفسرون كلمات القرآن بالإصطلاحات التي حدثت في الملة بعد القرون الثلاثة الأولى ، فعلى المدقق أن يفسر القرآن بحسب المعاني التي كانت مستعملة في عصر نزوله ، والأحسن أن يفهم اللفظ من القرآن نفسه بأن يجمع ما تكرر في مواضع منه ، وينظر فيه ، فربما إستعمل بمعان مختلفة كلفظ الهداية . . . ويحقق كيف يتفق معناه مع جملة معنى الآية فيعرف المعنى المطلوب من بين معانيه ، وقد قالوا أن القرآن يفسر بعضه ببعض ، وأن أفضل قرينة تقوم على حقيقة معنى اللفظ : موافقته لما سبق له من القول وإتفاقه مع جملة المعنى وائتلافه مع القصد الذي جاء له الكتاب بجملته .

(ثانيها) : الأساليب فينبغي أن يكون عنده من علمها ما يفهم به هذه

الأساليب الرفيعة . وذلك يحصل بممارسة الكلام البليغ ومزاولته مع التفطن

لنكتفه ومحاسنه والعناية بالوقوف على مراد الهمتكلم منه نعم أننــــا
لا نتسا مى إلى فهم مراد الله تعالى كله على وجه الكمال والتمــــام،
ولكن يمكننا فهم ما نهتدي به بقدر الطاقة ويحتاج في هذا إلى
الإعراب وعلم الأساليب (المعاني والبيان) ولكن مجرد العلم بهذه
الفنون وفهم مسائلها وحفظ أحكامها لا يفيد المطلوب . . .

(ثالثها) علم أحوال البشر

(رابعها) العلم بوجه هداية البشر كلهم بالقرآن . فيجب
على المفسر القائم بهذا الفرض الكفائى : أن يعلم ما كان عليه الناس
فى عصر النبوة من العرب وغيرهم لأن القرآن ينادى بأن الناس كلهم
كانوا فى شقاء وضلال ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم بعث به لهدايتهم
وإسعادهم وكيف يفهم المفسر ما قبّحت الآيات من عوائدهم على وجه
الحقيقة أو ما يقرب منها إذا لم يكن عارفا بأحوالهم وما كانوا عليه ؟

(خامسها) العلم بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه
وما كانوا عليه من علم وعمل وتصرف فى الشؤن دنيويها وأخرويها^(١)

ونجد أيضا تلميذه السيد رشيد رضا ينقل عن أستاذه فى موضع
آخر قوله " لا يتعظ الانسان بالقرآن فتطمئن نفسه بوعده وتخشع
لوعده إلا اذا عرف معانيه وذاق حلاوة أساليبه . ولا يأتي هذا إلا بمزاولة
الكلام العربي البليغ مع النظر فى بعض النحو ، كنحو ابن هشام
وبعض فنون البلاغة كبلاغة عبد القاهر وبعد ذلك يكون له ذوق فى
فهم اللغة يؤهله لفهم القرآن "^(٢)

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ١ ص ٢١ - ٢٤ باختصار

(٢) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ١ ص ١٨٢

وبهذا يتضح سبب تفضيل الأستاذ الإمام محمد عبده تفسير الكشاف حين سأله تلميذه رشيد رضا " أي التفسير أنفع لطلبة العلم؟ قال الكشاف. قلت :- ولكن فيه كثيرا من نزعات الاعتزال . قال :- تلك مسائل معروفة لا تخفى على طالب التفسير الواقف على أقوال الفرق ومذاهب السنة فيها . وإنما فضله لدقته في تحديد المعانى ونكت البلاغة بالعبار الدقيقه المختصره " (١)

هذه بعض النصوص الكثيره التى جاءت في تفسير المنار أحسبها نواة التفسير البيانى للقرآن الكريم والأستاذ الإمام وان خط لننا أهم قواعد هذا المنهج الا أنه كما يقول الدكتور كامل سعفان . لم يلتزمه فقد غلبه طابع الاصلاح الاجتماعى (٢)

وحين ننفى الالتزام فإننا لا ننكر أنها وضعت بذور هذا الاتجاه في العصر الحديث ولكن جهودهم - كما يقول الدكتور عفت الشرقاوى لم تعد اللمحات العابرة التى تكشف عن نكته بلاغية خفيه، أو لمحة بيانية ذكية، فهى لم تكن تؤلف فى جملتها منها أديبا واضحا يمكن أن ينسب اليها" (٣)

وحتى لا أغبط الرجل حقه وحتى لا أنكر جهده أذكر أمثله للتفسير البيانى عنده تظهر جليا بذور هذا المنهج

خذ مثلا تفسيره لقوله تعالى " والفجر وليال عشر" (٤) تراه يقول " كثير خلاف المفسرين والرواة فى معنى كل من الفجر وليال عشر الى آخر ما أقسم به . وقد يفسر الواحد منهم الفجر بمعنى ، ثم يأتى فى

(١) تاريخ الأستاذ الإمام : محمد رشيد رضا ج ١ ص ٣٩٠
(٢) المنهج البيانى فى تفسير القرآن الكريم : د / كامل على سعفان ص ٤٣
(٣) الفكر الدينى فى مواجهة العصر : د / عفت محمد الشرقاوى ص ٣٠٢
(٤) سورة الفجر: الآيتين ١ ، ٢

الليالى العشر بما لا يلائمه وغالب ذلك يجرى على خلاف ما عودنا
الله فى نسق كتابه الكريم . وقد جرت سنه الكتاب بأنه اذا أريد
تعيين يوم أو وقت ذكره بعينه . كيوم القيامة فى لا أقسم بيوم القيامة
وكاليوم الموعود فى سوره والسما ذات البروج ، وكليلة القدر في
سورتها فإذا أطلق الزمن ولم يقيد كان المراد ما يعمه معنى
الاسم ، كما سبق فى قوله " والليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس^(١)
فالفجر هنا - على هذا - هو جنس ذلك الوقت المعروف الذى يظهر
فيه بياض النهار فى جلد الليل الأسود . وينبعث الضياء لمطاردة
الظلام ، وهو وقت تنفس الصبح ، وهو معهود فى كل يوم فصح أن يعرف
بالألف واللام والمراد - والله أعلم - من ليال عشر يتشابه حالها
مع حال الفجر ، وهى ما يكون ضوء القمر فيها مطاردا لظلام الليل
الى أن تغلبه الظلمه فكأنه وضع التناسب على شىء من التقابل ، فضوء
الصبح يهزم ظلمة الليل ثم يسطع النهار ولا يزال الضوء الى الليل .
وضوء الأهلة فى عشر ليال من أول كل شهر يشق الظلام ثم لا يزال
الظلام يغالبه الى أن يغلبه فيسدل على الكون حجبه " ^(٢)

ومثلا آخر فى تفسيره لقوله تعالى " فان مع العسر يسرا ان مع
العسر يسرا " ^(٣) يقول :- "أل فى العسر للاستغراق ولكنه استغراق
المعهود عند المخاطبين من أفراد أو أنواعه . فهو العسر الذى
يعرض من الفقر والضعف وجهل الصديق وقوة العدو وقله الوسائل
الى المطلوب ونحو ذلك مما هو معهود ومعروف فهذه الأنواع من

(١) سوره التكويد : الآيتين ١٧ ، ١٨

(٢) تفسير جزء عم : الشيخ محمد عبده ص ٧٦ - ٧٧

(٣) سوره الشرح : الآيتين ٥ - ٦

العسر مهما اشتدت وكانت النفس حريصه على الخروج منها طالبة لكشف شدتها ، واستعملت من وسائل الفكر والنظر والعمل ما من شأنه أن يعد لذلك في معروف العقل ، وإعتصمت بعد ذلك بالتوكل على الله حتى لا تضعفها الخيبة لأول مرة ولا يفسخ عزمها من تلاقيه عند الصدمه الأولى - فلا ريب أن النفس تخرج منها ظافره . . الى أن قال . . . " وتنكير اليسر لأن الذي يأتي بعد العسر أي نوع من أنواعه لا يختص بيسر معين - والتعبير بالمعية لتوثيق الأمل بأنه لا بد منه كأنه معه " (١)

ومثلاً ثالثاً لكنه لتلميذه محمد رشيد رضا في تفسير كلمة " وما يشعرون " من قوله تعالى في وصف المنافقين " يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون " (٢) قال :- " أقول : قال الراغب بعد الذكر الشعر - بفتح الشين وسكون العين وفتحها - من مفرداته . وشعرت أصبت الشعر ، ومنه أستعير شعرت كذا أي علمت علماً هو في الدقة كإصابه الشعر ، ومنه يسمى الشاعر شاعراً لفطنته ودقة معرفته ، فالشعر في الأصل أسم للعلم الدقيق في قولهم : ليت شعري . وصار في التعارف اسماً للموزون المقفى من الكلام . هـ أقول ويناسب هذا الشعار - بالكسر - للكساء الباطن الذي يمس شعراً الانسان ، والمعروف في كتب اللغة أن شعر به - كنصر وكرم - يشعر شعراً - بالكسر والفتح - وشعورا معناه علم به وفطن له وأدركه ، والفطنة تتعلق بالأمور الدقيقة وأطلق بعض المفسرين أن الشعور ادراك الشاعر أي الحواس

(١) تفسير جزء عم : الشيخ محمد عبده ص ١١٤ - ١١٦

(٢) سورة البقرة : الآية ٩

الخمس ، والتحقيق أنه ادراك مادق من حسبي وعقلي ، فلا تقول : شعرت بحلاوة العسل وبصوت الصاعقه وبألم كية النار ، وإنما تقول : أشعر بحرارة ما في بدني ، وملوحة أو مرارة في هذا الماء ، إذا كانت قليله وسهينة وراء الجدار ، وما ورد في القرآن من هذا الحرف يدل على هذا المعنى ، أي إدراك ما فيه دقة وخفاء . فمعنى نفي الشعور عن المنافقين في مخادعتهم الله تعالى أنهم يجرون في كذبهم وتلبسهم وريائهم على ما ألفوا وتعودوا ، فلا يحاسبون أنفسهم عليه ولا يراقبون الله فيه ، وما كلهم يؤمنون بوجود الله وإحاطه علمه ، ومن يؤمن بوجوده لم يترب (كذا) على خشيته ومراقبته ، ولا يفكر فيما يرضيه وفيما يغضبه ، فهو يعمل عمل المخادع له وما يشعر بذلك وأما مخادعتهم للمؤمنين فظاهرة لأنهم اتخذوهم أعداء وهم عاجزون عن اظهار عداوتهم فأعمالهم التي يقصدون بها إرضاء المؤمنين كلها خداع ورياء (١)

تلك أمثلة ثلاثة قلنا أنها مع أمثالها في تفسير محمد عبده وتلميذه السيد رشيد رضا تعد - كما أسلفت القول - لمحات عابرة تكشف عن نكتة بلاغية خفية أو لمحة بيانية ذكية ولم تكن تؤلف في جملتها منها أدبيا متكاملًا يمكن نسبته اليها وتميزها به .

ولئن كان لا يسعنا هنا أن نذكر الفوارق بين منهج الأستاذ الامام والمنهج الأدبي الذي أستوى على سوقه من بعده حتى نستوفي عناصر هذا الأخير فانه لا يمنعنا أن نذكر فارقا واحدا به يتضح مدى البون بين الطرفين .

ذلكم أن الامام نص في مقدمة تفسير المنار على الهدف الذي يرمى اليه من تفسيره فقال " والتفسير الذي نطلبه هو فهم الكتاب من

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ١ ص ١٥١ - ١٥٢

حيث هو دين يرشد الناس الى ما فيه سعادتهم في حياتهم الدنيا ،
وحياتهم الآخرة فان هذا هو المقصد الأعلى منه وما وراء هذا من
المباحث تابع له أو وسيلة لتحقيقه" (١)

بينما يرى الأستاذ أمين الخولي أن " المقصد الأول للتفسير
اليوم أدبي محض صرف ، غير متأثر بأي اعتبار وراء ذلك . . وعليه
يتوقف تحقق كل غرض آخر يقصد اليه . . هذه هي نظرتنا إلى التفسير
اليوم وهذا غرضنا منه وعلى هذا الأساس نتقدم لبيان طريقة تناولنا
ومنهج درسه" (٢)

وشتان بين منهج يتناول القرآن كقطعة أدبية كقصيدة شاعر أو خطبة
خطيب أو نثر كاتب وبين منهج يتناوله طالبا الهداية والرشد
أولا وما سواها . . ولست بحاجة إلى مزيد بيان للبون بينهما
ولعلي بعد هذا ألقى عن كاهلي عبء دمج المنهجين فـ
منهج واحد ، وأتحدث بعد هذا عن المنهج الأدبي المحض ! الصرف

قصه تأصيل هذا المنهج :

حين أذكر وأكرر أن المنهج البياني في التفسير خاص بالقرن
الرابع عشر الهجري فإنني لا أعني أبدا نفي الدراسات البيانية
في القرون الماضية كيف وقد ذكرت سلسلة منها فيما سلف من هذه
الورقات ؟ ! وإنما أعني أن الدراسات السابقة لم تصل في مقصد ها
إلى ما وصلت اليه في القرن الرابع عشر الهجري .

(١) تفسير فاتحة الكتاب : الشيخ محمد عبد صه وتفسير المنار : محمد

رشيد رضا ص ١٧

(٢) التفسير معالم حياته منهجه اليوم : أمين الخولي ص ٣٥

ولا شك . . يحتاج المسلمون إلى تحقيقه . لكن ليس بدعا — من
الرأى أن ننظر في هذا المقصد لنقول : أنه ليس الغرض الأول من التفسير
وليس أول ما يُعنى به ويُقصد اليه . بل ان قبل ذلك كله مقصدًا أسبق
وغرضًا أبعد . تنشعب عنه الأغراض المختلفة ، وتقوم عليه المقاصد المتعددة
ولا بد من الوفاء به قبل تحقيق أي مقصد آخر ، سواء أكان ذلك
المقصد الآخر ، علميا أم عمليا ، دينيا أم دنيويا . . وذلك المقصد
الأسبق والغرض الأبعد هو النظر في القرآن من حيث هو كتاب العربية
الأكبر وأثرها الأدبي الأعظم ، فهو الكتاب الذي أخلد العربية
وحمل كيانه وخلد معها فصار فخرها ، وزينة تراثها ، وتلك صفة
للقرآن يعرفها العربي مهما يختلف به الدين أو يفترق بـه
الهوى ما دام شاعرا بعربيته مدركا أن العروبة أصله في الناس وجنسه
بين الأجناس وسواء بعد ذلك أكان العربي مسيحيا أو وثنيا أم كان
طبيعيا دهريا ، لا دينيا ، أم كان المسلم المتحنف ، فإنه سيعرف
بعرويته منزلة هذا الكتاب في العربية ، ومكانته في اللغة ، دون أن يقوم
ذلك على شيء من الإيمان بصفة دينية للكتاب أو تصديق خاص بعقيدته
فيه . . وليس هذا شأن العرب فحسب ، بل أن الشعوب التي ليست عربية
الدم أصلا ، ولكن وصلها التاريخ وسير الحياة بهذه العروبة فارتضت
الاسلام دينها ، أو خالطت العرب فساطت دماءها بدماهم ، ثم
اتخذت العربية أصلا من أصول حياتها الأدبية . . . حتى ربطتها
بالعربية هذه الأواصر الوثقى ، إلى أن صارت العربية عنصرا أساسيا
وجانبا جوهريا من شخصيتها اللغوية الفنية ، قد صار لكتاب العربية
الأعظم وقرآنها الأكرم مكانه بين ما تعنى به ، من دراسة أدبية وآثار
فنية قولية ، فالزمها كل أولئك تناول هذا الكتاب بدراسة أدبية ، تتفهم
بها أصول ما ورثت من تلك العروبة ان كانت عربية النجار ، أو كانت قد

اتصلت بتلك العرويه اتصالا حيويًا قويًا دفع شخصيتها —
وسير وجودها ووجه حياتها فالعربي القح ، أو من ربطته بالعربيه
تلك الروابط يقرأ هذا الكتاب الجليل ويدرسه درسًا أدبيًا كما تدرس
الأمم المختلفه عيون آداب اللغات المختلفه ، وتلك الدراسه الأدبيه
لأثر عظيم كهذا القرآن هي ما يجب أن يقوم به الدارسون أولاً وفاءً
بحق هذا الكتاب ولولم يقصدوا إلا هتداءً به أو إلتفاتاً بما حوى
وشمل (!!) بل هي ما يجب أن يقوم به الدارسون أولاً ولولم تنطو
صدورهم على عقيدة مآء فيه ، وانطوت على نقيض ما يردده المسلمون
الذين يعدونه كتابهم المقدس ، فالقرآن كتاب الفن العربي الأقدس سواء
أنظر اليه الناظر على أنه كذلك في الدين أم لا .

وهذا الدرس الأدبي للقرآن في ذلك المستوى الفني ، دون نظـر
إلى أى اعتبار ديني هو ما نعتده وتعتده معنا الأمم العربيه أصلاً والعربيه
اختلاطاً ، مقصداً أول وغرضاً أبعد يجب أن يسبق كل غرض ويتقدم
كل مقصد . . ثم لكل ذى غرض أو صاحب مقصد بعد الوفاء
بهذا الدرس الأدبي أن يعتمد إلى ذلك الكتاب فيأخذ منه ما يشاء
ويقتبس منه ما يريد ويرجع إليه فيما أحب من تشريع أو اعتقاد أو
أخلاق أو إصلاح إجتماعي أو غير ذلك . وليس شئ من هذه الأغراض
الثانيه يتحقق على وجهه إلا حين يعتمد على تلك الدراسه الأدبيه
لكتاب العربيه الأوحـد دراسه صحيحه كامله مفهمه له ،
وهذه الدراسه هي ما نسميه اليوم تفسيراً ، لأنه لا يمكن بيان
غرض القرآن ولا فهم معناه إلا بها .

فجمله القول : أن التفسير - فيما أفهمه - هو الدراسه الأدبيه
الصحيحه المنهج ، الكامله المناحى ، المتسقة التوزيع ، والمقصود
الأول للتفسير اليوم أدبي محض صرف ، غير متأثر بأى اعتبار ،

وراء ذلك . . وعليه يتوقف تحقق كل غرض آخر يقصد اليه . . .
هذه هي نظرتنا إلى التفسير اليوم وهذا غرضنا منه " (١)

وانما نقلت هذا النص بطوله لما فيه من بيان نظرة الأستاذ أمين
الخولي إلى التفسير ولما فيه من بيان غرضه وكفى بهما من مطلب
بسطه لنا صاحب المنهج وموصله .

وسأرجى ابداء رأيي في نظرتي إلى التفسير وغرضه منه إلى آخر
هذا الفصل حيث سأبين رأيي الخاص في المنهج كله أجمعه هناك
حتى لا يتفرق

مراحله ومعالمه:

وحين نتحدث عن مراحله ومعالمه تلك فإننا لا نقصد بها المراحل
التي مربها التفسير البياني عبر تاريخ التفسير فهذا قد سبق
الإشارة إليه . ولكنني أقصد ذكر المراحل التي يمر بها المفسر
الواحد في العصر الحديث لتطبيق المنهج البياني في التفسير
كما بسطها صاحبه

ولئن كان الأستاذ أمين الخولي لم يورد لها سلسلة مرتبة فإنني
بعدَ نظر تأمل قد حصرتها بأربع أو خمس مراحل هذا بيانها

المرحلة الأولى : التفسير الموضوعي

وهي المرحلة التي أشار إليها أمين على أنها النظر بين يدي
الخطه حيث قال " والقرآن كما هو المعروف لم يرتب على الموضوعات
والمسائل فيفرد كل شيء منها بباب أو فصل ، يجمع ما

(١) التفسير معالم حياته منهجه اليوم : أمين الخولي ص ٣٣ - ٣٥

ورد فيه عن هذا الموضوع أو تلك المسألة فليس على ترتيب كتب العقائد مع ما فيه من أصول العقيدة وليس على ترتيب كتب التشريع مع ما فيه من أصول التشريع . ولا هو كذلك على نسق كتب الاخلاق أو التاريخ ولا القصص ولا غير ذلك بل ليس على ترتيب بعض كتب الدين حين أفردت أحداث الحياة بأسفار عنونت كل سفر منها بحادث ، أو حين جرت على تسلسل حياة فرد خصت كل حين منها بقسم . كما لم يرتب على شيء من تاريخ ظهور آياته إنما جرى القرآن على غير هذا كله . فعرض لكثير من الموضوعات ولم يجمع منها واحدا بعينه فيلتقي أوله بآخره ويعثر به في مكان معين . . .

وانما نثر ذلك كله نثرا وفرقه تفريقا فالحكم التشريعي في أكثر من موضع والأصل الاعتقادي قد عرض له غير مرة والقصة قد وزعت مناظرها ومشاهد ها في جملة أماكن ، وهكذا تقرأ في السورة الواحدة فنونا من القول وتمر بألوان من الأغراض المختلفة تعرض لها سورة أخرى فيتكامل العرضان ، وتتم الفكرة بتتبعها في مواطن متعددة وذلك لحكمة ومرمى (١)

ويؤكد الأستاذ أمين أن لهذا الواقع في موضوعات القرآن الكريم أثره في طريقه تناول القرآن بالتفسير وأن طريقة السلف في تفسيره مرتبلا لا تمكن من الفهم الدقيق والادراك الصحيح لمعانيه وأغراضه ولا أظن الأستاذ أمين الخولي إلا مخطئا في نظريته تلك إلى تفسير السلف ذلك أنهم حين يتناولون بالتفسير حكما تشريعيًا لا ينظرون إلى آياته التي حملته نظره منفصله عن الآيات

(١) التفسير معالم حياته منهجه اليوم : أمين الخولي ص ٣٥ - ٣٦

الأخرى بل ولا عن ما هو خارج عن الآيات أعني السنة وغيرها
فلا تعد نظرتهم تلك نظرة قاصرة وخذ القصة مثلا حين يتناولها
السلفى يستكمل مناظرها ومشاهدتها من نصوص آيات أخرى فى مواضع
متفرقة وكذا آيات العقائد لا ينظر الى آحادها نظرة مستقلة عن
سواها كل هذا يدل على كمال النظرة السلفية فى تفسير الآية القرآنية
وأن لا أثر لسلوكهم التفسير المرتب على الفهم الدقيق أو الادراك
الصحيح كما فهم الأستاذ أمين .

عودة الى الأستاذ أمين الخولى لنجمل رأيه فى المرحلة الأولى
فى التفسير البيانى أن التفسير لا يكون الا بأسلوب التفسير الموضوعي
الذى يجمع الآيات ذات الموضوع الواحد من أماكنها المتفرقة وينظر
إليها نظرة واحدة وبهذا يكون الفهم الصحيح . . . فالناظر
فى سورة البقرة مثلا يجد من الحديث عن المؤمن منين وحالهم ما أحسب انه يفهم
الفهم الصحيح إذا ما قورن بما فى سورة "المؤمنون" من الجزء
الثامن عشر ثم هو واجد فى سورة البقرة عن المنافقين وحالهم
ما لا يفهم وجهه الا مع سورة "المنافقون" فى الجزء الثامن والعشرين . .
وقصة آدم فى البقرة إنما تفسر مع ما ورد عنها فى سورة الأعراف
الحجر والكهف وغيرها (١)

هذه هى الخطوة الأولى التى يجب أن يخطوها المفسر تفسيرا
بيانيا كما يراها الأستاذ أمين الخولى

المرحلة الثانية :

الترتيب الزمني للآيات ذات الموضوع الواحد وهى ذات صلة وعلاقته
قوية بالمرحلة السابقة حتى وكأنهما خطوة أو مرحلة واحدة .

(١) التفسير معالم حياته منهجه اليوم : أمين الخولى ص ٣٦

تلك المرحلة هي مراعاة الترتيب الزمني للآيات ذات الموضوع الواحد ويقصد بها أن المفسر بعد أن يجمع آيات موضوع بعينه يجب أن يخطو الخطوة الثانية فيرتب هذه الآيات حسب ترتيب نزولها وأكد هذا الأستاذ أمين الخولي حين قال : " وترتيب القرآن لم يراع شيئا من تقدم الزمن وتأخره فمكبه يتخلل مدنيه ويحيط به ومدنيه يتخلل مكبه ويحيط به . وهكذا ترى من النظر في ترتيب القرآن على سورة - أي ترتيب كان في المصاحف المختلفة - ما لا يساير حاجات مفسره المتفهم لـه ، بل يقضي ما كان من أمر الترتيب : - بالنظر الجديد والترتيب الخاص لآي الموضوع بحيث يكشف هذا الترتيب لنا عن تلك النواحي التي عرفت أن المفسر المتفهم مضطر إلى مراعاتها وتقديرها توصلا إلى الفهم الصحيح والمعنى الدقيق " (١)

إذا فهو يرى وجوب ترتيب آي الموضوع الواحد ترتيبا خاصا بحيث يكشف هذا الترتيب عن النواحي التي يحتاجها المفسر للوصول إلى الفهم الصحيح . ثم أجمل الأستاذ أمين القول في المرحلتين السابقتين بقوله :-

" فجملة القول أن ترتيب القرآن في المصحف قد ترك وحدة الموضوع لم يلتزمها مطلقا ، وقد ترك الترتيب الزمني لظهور الآيات لم يحتفظ به أبدا ، وقد فرق الحديث عن الشيء الواحد والموضوع الواحد في سياقات متعددة ، ومقامات مختلفة ظهرت في ظروف مختلفة وذلك كله يقضي في وضوح :-

بأن يفسر القرآن موضوعا موضوعا وأن تجمع آيه الخاصة بالموضوع الواحد جمعا إحصائيا مستقصى

(١) التفسير معالم حياته منهجه اليوم : أمين الخولي ص ٣٦ - ٣٧

ويعرف ترتيبها الزمني ومناسباتها وملابساتها الحافه بها
ثم ينظر فيها بعد ذلك لتفسير وتفهم فيكون ذلك التفسير أهدي
إلى المعنى وأوثق في تحديده (١)

بقي أن أقول أن هذه الدعوة من الأستاذ أمين إلى الترتيب
التاريخي لآيات الموضوع الواحد كانت دعوة مثالية بعيدة عن
التطبيق الكامل بل أن الأستاذ أمين نفسه وتلاميذه من بعده لم يضع
أحد منهم خطة لهذا الترتيب ولم يحل أحد منهم إلى ترتيب
بعينه يراه الأفضل بالرغم من أنهم يعتبرون هذه الخطوة لا بد منها
قبل القيام بالتفسير (٢)

المرحلة الثالثة : الدراسة

وتعتبر المرحلتان السابقتان تمهيدا وتوطئة للمرحلة الثالثة
إذ أن هذه الأخيرة هي جسد التفسير البياني وأن المرحلتين السابقتين
هما القاعدة لهذا الجسد

ويقسم الأستاذ أمين الخولي هذه الدراسة إلى صنفين هما :

١ - دراسة حول القرآن

٢ - دراسة في القرآن

أولا : دراسة ما حول القرآن

فقسمها أيضا إلى قسمين دراسة خاصة ودراسة عامة قال عن أولهما :
" والدراسة الخاصة هي ما لا بد لمعرفته ، مما حول كتاب جليل كهذا
الكتاب : ظهر في نحو عشرين عاما أو كذا وعشرين عاما ثم ظل مفرقا
سنين حتى جمع في آد وار مختلفة وأحوال مختلفه وكان جمعه وكتابتـه
عملا ساير الزمن طويلا ، وناله من ذلك ما ناله . ثم هناك قرآته ومسايرة
هذه القراءة للتطور اللغوي الذي تعرضت له اللغة العربية بفعل النهضة

(١) التفسير معالم حياته منهجه اليوم أمين الخولي ص ٣٧

(٢) إتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر دكتور محمد ابراهيم
شريف ص ٥٠٣

الجاده التي أثارته الدعوة الاسلاميه والدولة الاسلاميه . فقد كانت هذه القراءات عملاً ذا أثر واضح في حياة الكتاب وفهمه . وتلك الأبحاث من نزول ، وجمع ، وقراءه ، وما إليها - هي التي عرفت اصطلاحاً - منذ حوالي القرن السادس الهجري باسم علوم القرآن (١) بعد ما تناولها المفسرون المختلفون قبل ذلك بالبحث المجمع ، والبيان المتفاوت في الاستيفاء حسب عناية المفسر واهتمامه ، ومثل تلك الأبحاث جد لازمة في نظر دارسي الآثار الأدبية ولا بد منها لفهم النصوص المدروسة والاتصال بها اتصالاً مجدياً (٢) الى أن قال " وهي دراسات ضرورية لتناول التفسير . . حتى ما ينبغي مطلقاً أن يتقدم لدرس التفسير من لم ينل حظه من تلك الدراسة القريبة الخاصة حول القرآن ، ليستطيع فهمه فهماً أدبياً صحيحاً مسترشداً بتلك الملابس الهامة في فهم القرآن " (٢)

وخلاصة الأمر أن الأستاذ أمين الخولي يشترط للتفسير الأدبي دراسة خاصة حول القرآن الكريم نحو دراسة تاريخه ونزوله وجمعه وترتيبه وناسخه ومنسوخه وبعبارة أخرى يشترط على المفسر أن يكون عالماً بأصول العلوم المتصلة بالقرآن والمعروفة بعلوم القرآن ، ولنا بحاجة إلى أن نؤكد أن المفسرين السابقين - أيضاً - لم يهملوا هذا الأمر وأولوه عنايتهم والأستاذ أمين نفسه يعترف بهذا وينقل قول السيوطي في مقدمة كتابه " الإتقان في علوم القرآن " أنه جعل هذا الكتاب مقدمة لتفسيره وأن أكثر المفسرين يُلَمِّمون في مقدمة سيرهم بشيء

(١) الصحيح أن هذا الاصطلاح عُرف في وقت أبكر من هذا فقد ألف محمد بن خلف بن المرزبان ت ٣٠٩ كتابه " الحاوي في علوم القرآن " وألف محمد بن القاسم الانباري ت ٣٢٨ كتاب " عجائب علوم القرآن " - وألف محمد بن علي الأدفوي ت ٣٨٨ كتاب " الاستغناء في علوم القرآن " (٢) التفسير معالم حياته منهجه اليوم : أمين الخولي ص ٣٨-٣٩

من القول فى النزول والجمع والقرآآت ولكن الاستاذ أمين لم يذكر أن السيوطى نفسه اشترط على المفسر العلم بالقرآآت والعلم بأصول الدين بما فى القرآن من الآيه الداله بظاهرها على ما لا يجوز على الله تعالى واشترط العلم بالناسخ والمنسوخ والعلم بأسباب النزول والقصص ، وغير ذلك .^(١) وإذا فالأستاذ أمين مسبق بهذا الشرط وبهذه الدراسة الخاصة

وأما الدراسة العامة لما حول القرآن الكريم فقال عنه الأستاذ أمين " وأما ما حول القرآن من دراسة عامة فهو ما يتصل بالبيئة المادية والمعنوية التى ظهر فيها القرآن وعاش ، وفيها جُمع وُكُتِبَ وقُـرِئَ وحُفِظَ وخاطب أهلها أول من خاطب وإليهم ألقى رسالته لينهضوا بأدائها ، وابلاغها شعوب الدنيا . فروح القرآن عريضة ، ومزاجه عربى (! !) وأسلوبه عربى " قرآنا عربيا غير ذي عوج^(٢) والنفاد الى مقاصده إنما يقوم على التمثل الكامل والإستشفاف التام لهذه الروح العربية وذلك المزاج العربى ، والذوق العربى ومن هنا لزمّت المعرفة الكاملة لهذه البيئة العربية المادية أرضها بجبالها وحرارها وصحاريها وقيعانها وسماؤها بسحبها ونجومها وأنوائها ، وجوّها بحرّه وبرده وعواصفه وأنسامه ، وطبيعتها بجديها وخصبها وقحولها أو نمائها ونباتها وشجرها . . . إلخ فكل ما يتصل بتلك الحياة المادية العربية وسائل ضرورية لفهم هذا القرآن العربى المبين . . .

(١) انظر الاتقان فى علوم القرآن : للسيوطى ج ٢ ص ١٨١

(٢) سورة الزمر : من الآيه : ٢٨

مع هذا ما يتصل بالبيئة المعنوية بكل ما تتسع له هذه الكلمة من ماضٍ سحيق ، وتاريخ معروف ونظام أسره أو قبيله ، وحكومته في أى درجته كانت وعقيدة بأي لون تلوّنت ، وفنون مهما تنوع ، وأعمال مهما تختلف وتتشعب ، فكل ما تقوم به الحياة الانسانية لهذه العروبة . وسائل ضرورية كذلك لفهم هذا القرآن العربى المبين

وإذا جهدت الدراسة الأدبية فى أن تعرف عن تلك العربية والعروبة أكثر وأعمق وأدق ما يعرف تبتغى بذلك درس أدبها درسا صحيحا ، فإن هذا القرآن رأس هذا الأدب وقلبه الخافق ولن يُدرس درسا أدبيا صادقا يفي بحاجة المتعرض لتفسيره إلا بعد أن تستكمل كل وسائل تلك المعرفة للبيئة العربية مادية ومعنوية .

أما ما دُمنّا نقرأ التشبيه العربى القرآنى ، أو التمثيل العربى القرآنى فإذا ما دته الأضواء العربيه ، والظواهر الجويه العربيه والحيّ أو الجماد المشهود في بلاد العرب لا نعرف عنه شيئا وليس عندنا عنه صورة خاصة . فما يحق لنا - مع هذا - أن نقول أننا نفسر هذا القرآن أو نمهد لفهمه فهما أدبيا ، يُهيء للانتفاع به فى نواحٍ أخرى .

وما دمنّا نذكر الحِجَر ، والأحْقاف ، والأَيَكة ، ومَدْيَن ، ومواطن ثمود ومنازل عاد ، ونحن لا نعرف عن هذه الأماكن إلا تلك الإشارات الشاردة ، فما ينبغي أن نقول أننا فهمنا وصف القرآن لها ولأهلها أو أننا أدركنا مراد القرآن من الحديث عنها وعنهم ، ثم لن تكون العبرة بهذا الحديث جليّه ولا الحكمة ولا الهداية المرجوّه مفيدة مؤثرة^(١)

خلاصة الأمر أن الأستاذ أمين يشترط أن يدرس المفسر دراسه عامه لما يتصل بالبيئة التي نزل بها القرآن سواء أكانت هذه البيئة مادية كالظواهر الجوية والأرض بجبالها وأوديتها وحرارها والسماء ونجومها وأفلاكها أو كانت البيئة معنوية كتاريخ هذه الأمة في ماضيها ونظمها وأعرافها وعاداتها وتقاليدها

وقد سبقه إلى نحو هذا الأستاذ الإمام محمد عبده حيث اشترط على المفسر علم أحوال البشر في أطوارهم وأدوارهم واشترط العلم بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وما كانوا عليه من علم وعمـل وتصرف في الشؤون دنيوية وأخروية . (١)

وحين أقول أن الأستاذ أمين سبق إلى موضوع كذا فليست أعني بحال من الأحوال سلب المنهجية الخاصة به . وإنما أعني إبراز وجوه الشبه بين منهجه والمناهج الأخرى ، وقد تتفق مناهج عدة في خطوة أو خطوات ثم تختلف ولا يعني هذا إتحادهما حين تشابههما أو إنفصامهما حين إختلفا بقدر ما يعني من وجوه التشابه ووجوه الإختلاف وهي صفة مشتركة بين كل المناهج بل والاتجاهات ففى التفسير

وأحسب أن الدراسة لما حول القرآن الكريم بشقيها العامه والخاصه ما هما إلا تمهيد وتوطئة لدراسة النص نفسه وهما — دراسة ما حول القرآن ، ودراسة النص وإن كانا يشكلان مرحلة واحدة هي المرحلة الثالثة إلا أن أولهما تمهيد إشرط الأستاذ أمين إستيفاءه للتقدم إلى دراسة النص نفسه حيث قال بعد أن استعرض الدراسة لما حول القرآن بشقيها " تلك المامه بما حول القرآن

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ١ ص ٢٢ - ٢٤

من دراسة وهي في جملتها ترجع إما إلى تحقيق النص وضبطه
وبيان تاريخ حياته . . وإما إلى التعريف بالبيئة التي فيها
ظهر وعنها تحدث وبين مغانيها ومعانيها تـقـلـب . . .
(١) وبعد إستيفاء ذلك يكون التقدم إلى دراسة القرآن نفسه

ذلكم أن الشق الثاني من المرحلة الثالثة هو روح الدراسة
البيانية وأسسها وهذا أمين نفسه يبسط لنا مرة أخرى الحديث
عن هذه الخطوة الجديدة

دراسة القرآن نفسه

وحتى تظهر معالم الطريق في هذه المرحلة أحب أن أجمل الخطوات
في هذه الدراسة لتنتقل منها إلى التفاصيل .

فدراسة النص نفسه تنقسم كما يريد الأستاذ أمين إلى قسمين :-

١ - دراسة في المفردات . من ناحيتين

(١) من ناحية معناها اللغوي

(ب) من ناحية معناها القرآني

٢ - دراسة في المركبات

قال الأستاذ أمين الخولي في بسط النظر في المفردات :- "وهي
تبدأ بالنظر في المفردات . والمتأدب يجب أن يقدّر عند ذلك تدرج دلالة
الألفاظ ، وتأثرها في هذا التدرج يتفاوت ما بين الأجيال وبفعل
الظواهر النفسية والاجتماعية ، وعوامل حضارة الأمة وما إلى ذلك مما
تعرضت له ألفاظ العربية في تلك الحركة الجياشة المتوثبة التي نمت
بها الدولة الإسلامية ، والنهضة الدينية والسياسية والثقافية التي خلفت
هذا الميراث الكبير من الحضارة وقد تداولت هذه اللغة العربية
في تلك النهضات أفواه أمم مختلفة الألوان والدماء والماضي والحاضر

فتهيأت من كل ذلك خطوات تدريجية فسيحة متباعدة في حياة ألفاظ اللغة العربية حتى أصبح من الخطأ البين أن يعمد متأدب إلى فهم ألفاظ هذا النص القرآني الأدبي الجليل فهما لا يقوم على تقدير تام لهذا التدرج والتغيير الذي مَسَّ حياة الألفاظ ودلالاتها ، وعلى التنبيه إلى أنه إنما يريد ليفهم هذه الألفاظ في الوقت الذي ظهرت فيه وتليت أول ما تليت على من حول تاليها الأول عليه السلام " إلى أن قال " ولذا كان هذا هو الأصل الأول في فهم دلالة ألفاظ القرآن فمن لنا به مع أن معاجمنا لا تسعف عليه ولا تعين ؟" (١)

ثم تحول الأستاذ أمين لنقد معاجم اللغة وبيان أنها لا تفي بهذا الغرض الذي يدعو إليه فلاسان العرب مثلاً تجاوزت فيه نصوص تباعدت عصور أصحابها وتمازجت فيه اللغويات بالدينيات كما يقول . أما القاموس المحيط فهو عنده عسارات غير ممتزجة لثقافات متغايرة متباينة من فلسفية عقلية إلى طبية عملية فأدبية لغوية ، فدينية اعتقادية أو غيرها . ثم عَقَّب الأستاذ أمين على هذا بقوله " معاجمنا لا تسعف على شيء من تحقيق هذا الأصل الثابت في تدرج الألفاظ . . . فليس أمام مفسر القرآن حين يبتغي المعنى الأول لألفاظه إلا أن يقوم بعمل في ذلك مهما يكن مؤقتاً وقاصراً فإنه هو كل ما يمكن اليوم وإلى أن نملك قاموساً اشتقاقياً تتدرج فيه دلالات الألفاظ وتتمايز فيه المعاني اللغوية على ترتيبها عن المعاني الاصطلاحية على ظهورها" (٢)

(١) التفسير معالم حياته منهجه اليوم : أمين الخولي ص ٤١-٤٢

(٢) المرجع السابق : ص ٤٢ - ٤٣

إذاً فالأستاذ الخولي يرى أن الخطوة الأولى في دراسة النص نفسه هي النظر في المفردات وذلك بوضع ترتيب زمني لتدرج دلالات الألفاظ ليعرف معنى اللفظة الواحدة وقت نزول القرآن الكريم ومعناها بعد أن تداولتها أفواه أمم مختلفة الألوان والدماء ليتم التمييز بين المعنى اللغوي والمعنى القرآني .

وهو أيضاً يرى أنه لا يوجد معجم يفي بهذا الغرض حتى الآن ورتب على هذا أن يقوم المفسر الأدبي بتحمل عبء متابعة تدرج اللفظ وممن ثم اختيار ما يراه مناسباً للفظ القرآنية وقت نزول القرآن الكريم من معاني أخرى .

ورتب الأستاذ الخولي على هذا أيضاً أن ينظر المفسر الأدبي في الألفاظ القرآنية من ناحيتين :-

١ - النظر في المادة اللغوية للفظ الذي يريد تفسيره ، لينحى

فيها المعاني اللغوية عن غيرها ثم ينظر في تدرج المعاني اللغوية للمادة نظراً لترتيبها على الظن الغالب فتقدم الأسبق الأقدم منها على السابق حتى يطمئن - ما استطاع - إلى شيء في ذلك ينتهي منه إلى ترجيح معنى لغوي للكلمة كان هو المعروف حين سمعتها العرب في أي الكتاب . . والمفسر في هذا التمييز والنظر ملزم - ما أمكن - بمحدث الدراسة في أنسب اللغات وصلة ما بينها ، ليطمئن كذلك إلى أن الكلمة عربية أصيلة ، أو هي دخيلة ، وإن كانت فما بيعتها ؟ وما معناها الأول ؟ ثم هو محاذر كذلك من إندفاع معاجمنا في رد الكلمات إلى أصل عربي يشابهها في اللفظ ، مع التكلف في الاشتقاق والربط .

٢ - وإذا ما فرغ من البحث في معنى اللفظة اللغوي انتقل بعده إلى معناها الإستعمالي في القرآن يتتبع ورودها فيه كله ، لينظر في ذلك فيخرج منه برأي عن إستعمالها : هل كانت له وحدة اطردت في عصور القرآن المختلفة ومناسباته المتغيرة ؟ وإن لم يكن الأمر كذلك فما معانيها المتعددة التي استعملها فيها القرآن ؟ وبذا يهتدي بمعناها أو معانيها اللغوية إلى معناها أو معانيها الإستعمالية في القرآن ، وهو بما ينتهي إليه من كل أولئك يفسرها مطمئنا في موضعها من الآية التي جاءت فيها " (١)

وكما بين الأستاذ الخولي خلَّو الساحة من معجم للترتيب الزمني لتداول الألفاظ العربيَّة أكد أيضا خلَّوها من معجم يعنى بمفردات القرآن ويتتبع الألفاظ فيه إلا ما وصفه بمحاولة الراغب الأصفهاني منذ قرابة ألف عام أن يعطينا مفردات القرآن في قاموس خاص بها ووصفه بأنـــــــــــــــــه "عانى فيها شبيها بما وصفنا أو بشيء من أصل فكرته لم يتم التعقيب ولكنه اللغوي ولم يستوف التتبع القرآني وفاته مع ذلك كله فرق ما بين عصره و هصرنا في دراسة اللغات وصلاتها إلا أنه في كل حال نواة تخجل من بعده وبخاصة أهل هذا العصر الطموح فيوئلمهم ألا يملكووا إلا هذا القاموس القرآني الناقص بل البدائي . وبالإلتزام هذا المنهج الأدبي يرجى كمال هذا القاموس وقواميس أخرى تتطلبها حياة القرآن ، - كتاب العربية الأعظم " (١)

وهذا ولا شك عبء آخر على المفسر الأدبي للقرآن الكريم

يتطلب منه جهدا إلى جهده السابق على أن من الحق الواجب قوله هنا أن الأستاذ أمين لم يكن قد أشار إلى خطة لتصنيف القرآن موضوعيا وساق حديثه عن هذا مجرد نظرية وإذا كان قد سكت أيضا عن طريقة ترتيب الآيات في الموضوع الواحد ولم يرشد إلى ترتيب معين وجاء حديثه أيضا هنا مجرد نظريه فقد كان موقفه في دراسة المفردات غير ذلك حيث عالج تطبيقيا بعض الأحرف الهجائية على الطريقة التي أشار إليها في معجم ألفاظ القرآن الكريم وهو وإن لم يتمه إلا أنه مثّل عملي لما يمكن أن يقوم به المفسر الأدبي بجهده الذاتي في غيبة المعجم المطلوب ولا شك أيضا أنه مهد الطريق الوعر في هذا المقام لمن أراد أن يسلك سبيل المعجم التاريخي لألفاظ القرآن الكريم (١)

من هاتين الناحيتين الناحية اللغوية وناحية الاستعمال القرآني أوجب الأستاذ الخولي النظر في مفردات القرآن لينتقل المفسر الأدبي بعد هذه النظرة إلى النظر في المركبات .

٢ - دراسة في المركبات

والخطوة التالية للنظر في المفردات هي النظر في المركبات وقد وضع الأستاذ الخولي أصول هذه النظرة وما تحتاج إليه بقوله :-
" ثم بعد المفردات يكون نظر المفسر الأدبي في المركبات وهو في ذلك - ولا مَرِيَّةَ - مستعين بالعلوم الأدبية من نحو وبلاغة . . إلخ ولكن لا على أن الصنعة النحوية عمل مقصود لذاته ، ولا لكون التفسير كما كان الحال قديما . . بل على أنها أداة من أدوات بيان المعنى

(١) اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر : د / محمد

وتحديده ، والنظر في اتفاق معاني القراءات المختلفه للآيات
الواحدة وللتقاء الإستعمالات المتماثلة في القرآن كله . . ثم على أن
النظرة البلاغية في هذه المركبات ليست هي تلك النظرة الوصفية
التي تعنى بتطبيق إصطلاح بلاغي بعينه ، وترجيح أن ما في الآيه
منه هو كذا لا كذا ، أو إدراج الآيه في قسم من الأقسام البلاغية
دون قسم آخر ! كلا بل على أن النظرة البلاغية هي النظرة الأدبية
الفنية التي تتمثل الجمال القولي في الأسلوب القرآني وتستبين معارف -
هذا الجمال وتستجلي قسماته في ذوق بارع قد إستشف خصائص التراكيب
العربية مُنْضَمّاً إلى ذلك التأملات العميقة في التراكيب والأساليب القرآنية
لمعرفة مزاياها الخاصة بها بين آثار العربية ، بل لمعرفة فنون القول
القرآني وموضوعاته فَتَأَنَّنَا ، وموضوعاً موضوعاً ، معرفة تبين خصائص
القرآن في كل فن ومزاياه التي تجلوجماله" (١)

ولا شك أن هذا المنهج في التفسير بأصوله التي وضعها صاحبه -
منهج إن كان ممكناً فبمشقة وجهد ودراية قل أن توجد عند أحد
بل أن الأستاذ أمين نفسه شعر بهذا العبء حين قال :-
ولئن كان مثل هذا مما يطلب أو يوصف في قليل من الجمل أو الأسطر
فإن تحقيقه ليس بهذه السهولة والقرب ، وإنما يقوم على إصلاح أدبي
بلاغي أحسب أن الحياة الأدبية اليوم تحاوله وهي بالغة منه إن شاء
الله مبلغاً حسناً ، ومستفيدة به في التفسير الأدبي للقرآن كما تستفيد
هذه المحاولة الإصلاحية نفسها بمزاولتها للتفسير القرآني" (٢) وإذا كان

(١) التفسير معالم حياته منهجه اليوم : أمين الخولي ص ٤٤

(٢) المرجع السابق : ص ٤٤

الخولى يقول هذا فإنه تجب الإشارة إلى أن المنهج - كما يقول
الدكتور محمد إبراهيم شريف - بهذه الصورة من القيود والمتطلبات لم
يرَ النور في محاولة ما، من محاولات أتباعه، وإنما وقعت محاولاتهم
موقعاً بعيداً عن الأمل الطموح بصورة أو بأخرى . . . (١)

زد على هذا أن الأستاذ أمين يوجب مراعاة أمر هام فى التفسير
الأدبي ينبغي على المفسر الاهتمام به هو :-

التفسير النفسى :

قال " لأن ما إستقر من تقدير صلة البلاغة بعلم النفس قد مهد
السبيل إلى القول بإعجاز النفسى للقرآن ، كما كشف عن وجه الحاجة
إلى تفسير نفساني للقرآن يقوم على الإحاطة المستطاعة بما عرف العلم
من اسرار حركات النفس البشريه في الميادين التى تناولتها دعاوة القرآن
الدينية ، وجدّ له الاعتقادى ، ورياضته للوجدانات والقلوب واستلأه
لقد يم ما إطمأنت إليه ، وتوارثته عن الأسلاف والأجيال وتزيينها بما
دعا اليه من إيمان ، ينقض مبرم هذا القديم ويهدم أصوله . . وكيف تلتطف ،
القرآن لذلك كله ، وماذا استخدم من حقائق نفسية في هذه المطالب
الوجدانية والمرامي القلبية ، وماذا أجدت رعاية ذلك كله في انجراح
الدعوة وإعلاء الكلمة . فالتفسير النفسى يقوم على أساس وظيفى
من صلة الفن القولى بالنفس الإنسانى وان الفنون على اختلافها - ومن
بينها الأدب - ليست الا ترجمه لما تجده النفس " (٢)
وأكد الأستاذ الخولى على أهميه التفسير النفسى حين قال أن اللمحة
النفسية فى المعنى القرآنى ربما تكون أحسم لخلاف بعيد الغور
كثير الشعب بين المفسرين " (٢)

(١) إتجاهات التجديد فى تفسير القرآن الكريم فى مصر: د / محمد إبراهيم

شريف ص ٥٠٨
(٢) التفسير معالم حياته منهجه اليوم: أمين الخولى ص ٤

الى أن قال " فالملاحظة النفسية حين تعلل نسج الآية وصياغتها وتعرف بجو الآية وعالمها ، ترفع المعنى الذي يفهم منها إلى أفق باهر السناء . ويدون هذه الملاحظة يرتد المعنى ضئيلاً ساذجاً لا تكاد النفس تطمئن إليه ، ولا هو خليق بأن يكون من مقاصد القرآن^(١)"

تلكم هي الخطوط الرئيسية التي رسمها الأستاذ أمين الخولي للتفسير الأدبي للقرآن الكريم وإن أردنا أن نذكرها إجمالاً فهي :-
أولاً :- جمع الآيات ذات الموضوع الواحد بعضها إلى بعض وتدبرها جميعاً وتفسيرها كذلك .

ثانياً :- ترتيب آيات الموضوع الواحد ترتيباً زمنياً حسب تاريخ نزولها
ثالثاً :- دراسة خاصة حول النص تقوم على تاريخه ونزوله وجمعه وكتابته وقرآته ونحو ذلك من علوم القرآن .

رابعاً :- دراسة عامة للبيئة التي نزل بها هذا النص ، البيئة المادية في الأرض والسما والجبال والسهول والأودية وبيئة معنوية في تاريخ هذه الأمة ونظمها وأعرافها وعاداتها وتقاليدها .

خامساً :- دراسة النص القرآني في مفرداته وذلك بدراسة :-
إستعمالات هذه المفردة لغوياً . ودراسة إستعمالها في القرآن الكريم في مواضع مختلفة ومدلولها في كل موضع .

سادساً :- دراسة النص القرآني في معانيه المركبة وذلك بالإستعانة بالعلوم الأدبية من نحو وبلاغة على أن النحو أداة من أدوات بيان المعنى وتحديده . وعلى أن البلاغة هي النظرة الأدبية الفنية التي تتمثل الجمال القولي

(١) التفسير معالم حياته منهجه اليوم أمين الخولي ص ٤٥

فى الاسلوب القرآنى ، مع التأمّلات العميقة فى
التراكيب والأساليب القرآنية لمعرفة مزايا كل منها
ولمعرفة فنون القول القرآنى وموضوعاته .

تلكم هى أبرز الخطوط التى رسمها الأستاذ أمين الخولى لمنهجه فى
التفسير حرصت كل الحرص على أن أسوقها بنصوصها التى خطها
صاحبها ودونها به ، حتى ولو أطلت الحديث وحتى لو أكثر النقل
حتى أحاذر واتحاشى اختصار مخل أو فهم خاطئ أقع فيه أو فيهمها ،
وأعرف سلفا أن خير من يتحدث عن منهج الخولى هو الخولى نفسه وكيف أعبر
عنه وأتحدث عن منهجه وقلمه لَمَّا يجف بعدُ . فمعدرة إن كان فيما سقت
من نصوصه اطاله فما أردت إلا الوفاء وما أردت إلا الإصابه

على أنا وقد وصلنا إلى هذه المرحلة يجب أن نذكر أن الأستاذ
الخولى نفسه وهو الذى وضع هذه الخطوط لم يخرج لنا دراسة تطبيقية
كاملة لهذا المنهج وإن كان قد حاول ذلك مرارا ويعلن فى خاتمه بيانه
لمنهجه هذا أنه لن يكون من العاجزين مع إعترافه سلفا بالقصور عن
الكفاية الكاملة والقدرة الموفورة حيث يقول : - " مهما يكن لهذه المطالب من أثر
يثقل خطانا ويؤخر أثمار دراستنا ويشعرنا بالنقص ويعود علينا
باللائمه فان هذه هى الحقيقة ، وهذا هو الواجب ، وأولى لنا
أن نؤثر تقرير هذه الحقيقة على أن نكذب على أنفسنا وعلى الأجيال
فنزعم الكفاية الكاملة والقدرة الموفورة ، ولئن لم يكن لنا من الكمال إلا
الشعور بالنقص فذلك أجمل بنا من التزيّد الزائف . وليس الذى نبغيه
من هذا المنهج مستحيلا ولا بعيد التحقق ، فقد شعر أسلافنا
بجملته ، وقاموا ببعضه للقرآن ، ثم قام المحدثون به كله لكتبهم الأدبية
والدينية ، ولن نكون نحن بين هؤلاء وأولئك الضائعين العاجزين (١) ."

ولئن كان الأستاذ الخولي قد صرح مرارا أن الدافع له لتأصيل هذا المنهج والدعوه اليه هو إشارة القدماء حين قسموا العلوم الاسلاميه الى ثلاثة أقسام عدوا منها علما لانضج ولا إحترق وهو علم البيان والتفسير - إن كان الخولي عدَّ هذا منطلقا لقيامه بخدمة علم البيان وعلم التفسير في كليه الآداب بجامعة فؤاد الأول^(١) فلقد انتهى به الأمر بالتفسير في نهاية نظريته إلى أن أصبح علما لم يبدأ بعد - كما يقول د / محمد شريف - ولكن من الممكن له أن يبدأ بل أن ينمو وينضج إذا ما سار على ذلك الدرب الشاق^(٢) الذي شقه الأستاذ أمين وسار فيه خطوات.

الدراسات التطبيقية :-

كثير من الدراسات التي سعت إلى تطبيق هذا المنهج والأخذ بأصوله وقواعده ، وليس بوسعنا أن نذكرها كلها ولا أن نذكر أكثرها وإنما بوسعنا أن ندرس أهمها وأشهرها .

وبهذا المقياس فليس في هذا المنهج أهم من المحاولات التطبيقية التي قدمها أستاذ هذه المدرسة ويليه فيها تلميذان من أنجب تلاميذه هما الدكتورة عائشة عبد الرحمن " بنت الشاطي " والدكتور محمد أحمد خلف الله " ولعل في تقديمي لهؤلاء الثلاثة الكفاية في ضرب المثل لهذه الدراسات في هذا المنهج وبالأستاذ نبتدي

أمين الخولي :-

ترجمته :-

ولد سنة ١٨٩٥م بشوشاي مركز أشمون بمحافظة المنوفية وتخرج في القسم العالي بمدرسة القضاء الشرعي سنة ١٩٢٠م واختير مدرسا

(١) المرجع السابق ص ٣٣

(٢) اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر د / محمد

ابراهيم شريف ص ٥١٠

بها . وترأس تحرير مجلتها في سنتيهما الأولى والثانية
وفي سنة ١٩٢٣م عُيِّنَ إماماً للمفوضية المصرية بروما ثم في
برلين ولهذا أَلَمَّ باللغتين الايطالية والألمانية وإطلع على
بحوث المستشرقين في الإسلاميات بهاتين اللغتين . وعاد إلى مصر
سنة ١٩٢٧م ليدرس بقسم التخصص في مدرسه القضاء الشرعى وفى
العام التالي نقل الى كليه الآداب بالجامعة المصرية (جامعة
القاهرة الآن) مدرسا فأستاذاً مساعداً فأستاذاً فرئيساً لقسم
اللغة العربية واللغات الشرقية ثم أستاذاً للأدب المصري ثم وكيلاً
لكلية الآداب وظل فيها حتى سنة ١٩٥٣م حيث نقل مستشاراً
فنياً لدار الكتب المصرية ثم عين مديراً لإدارة الثقافة في وزارة التربية
والتعليم حتى بلغ سن التقاعد سنة ١٩٥٦م

وأنشأ الأستاذ أمين هو وتلاميذه سنة ١٩٤٣م مدرسة أدبية
هى " الأمناء " نسبة إليه، رسالتها الفن والحياء . وهدفها
تحقيق ^{أهداف} أفنية نظرية وعملية . وأصدرت في سبيل تحقيق ذلك " مجلة
الآداب " سنة ١٩٥٦ حيث رأس الأستاذ أمين تحريرها . وعين
سنة ١٩٦١ عضواً في مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

وكلف بعد تقاعده بأعمال عديدة فانتدب مثلاً لتدريس الأخلاق
والفلسفة وتاريخ الملل والنحل في الأزهر في قسم التخصص شعبـة
الأخلاق والتاريخ . وشعبة الوعظ وكذلك في كليه أصول الديـن
ورأس قسم اللغة العربية في معهد الدراسات العليا للمدرسين ، وحاضر
في معهد الدراسات العربية العالية سنة ١٩٥٧ - ١٩٥٨م وفى
معهد الدراسات الإسلامية ، وحضر عدداً من المؤتمرات ^(١) وتوفي سنة ١٩٦٦م

(١) لخصت ما سبق من ترجمته الواردة في مقدمة كتابه (التفسير نشأته
تدريجاً تطوره) بقلم إبراهيم خورشيد رئيس تحرير النسخة العربية
من دأثره المعارف لاسلاميه

وله مقالات وبحوث في اللغة والأدب والبلاغة والنحو والتفسير نشرت في مجلات علميه وأدبيه ، وله تعليقات على كثير من مواد دائرة المعارف الاسلاميه في الأدب والفقه ومن أهمها ما كتبه في مواد التفسير وأصول الفقه والبلاغة ، وجمع أكثرها في كتاب أسمه " مناهج تجديد في النحو والبلاغة والأدب والتفسير " وطبع تعليقه على مادة " تفسير " مستقلا مرة بعنوان " التفسير معالم حياته منهجه اليوم " طبعته جماعه الكتاب سنه ١٩٤٤ م وممـره بعنوان " التفسير نشأته تدرجه تطوره " تحت سلسله " كتب دأئـره المعارف الاسلاميه " صدرت طبعته الأولى سنه ١٩٨٢ م في بيروت .

وله كتاب " من هدي القرآن " ويحتوى على ثلاثة مـن مؤلفاته " القاده . . والرسل " و " في رمضان " و (وفي أموالهم " وله أيضا كتاب عن مالك بن أنس رحمه الله تعالى وهو العدد (١١) من سلسله أعلام العرب -

والذى يهمننا هنا من مؤلفاته ما كتبه من الدراسات القرآنيه تحت عنوان " من هدى القرآن "

تفسيره :-

أسلفنا القول أنك لا تكاد تجد فيما قدمه الأستاذ أمين الخولى دراسة تطبيقية شاملة كاملة للمنهج الذى أصـلـه بل ظل الفارق بعيدا بين الواقع الذى سلكه والمثال الذى دعا إليه

لكن مع هذا فإنك واجد في تفسيره تدرجا يكاد يظهر واضحا في تقلص وإنكماش الفاصل بين الواقع والمثال .

يظهر هذا في دراسات أربع ندرسها هنا دراسة موجزة نبداً بأبعدها عن المثال وننتهى بأقربها إليه وبها تظهر المراحل التى مرّ بها الأستاذ الخولى في دراسته التطبيقية .

وقدم الأستاذ أمين الخولي هذه الدراسات تحت عنوان (مــــــن هدى القرآن) واشتملت على مجموعات متعددة من الأبحاث ذات الموضوع الواحد كالسلام والاسلام ، والطغيان فى العلم والمال والحكم ، وحكومه القرآن ، والحكم بما أنزل الله ، والفن والبيان فى القرآن ، والقرآن والحياة ، والقسم القرآنى ، والجنديه والسلم ، والقادة . . . الرسل ، وفى أموالهم ، وشخصيه محمد ، وفى رمضان وغير ذلك من الدراسات .

وإذا نظرنا إلى هذه الدراسات وغيرها مجتمعه وجدناها تحتفظ من المنهج بالخصائص التالية :-

(١) أنها تدرس القرآن الكريم حسب الموضوعات وليس حسب

تسلسل السور فى القرآن الكريم -

(٢) أنها تهدف إلى التدبير النفسى والاجتماعى فى القرآن للحياه

الانسانية ، وترى أن هذا هو المجال الخاص للقرآن وهو

السبيل المفردة لتحقيق أهداف رساله الاسلاميه

(٣) أنها تعتمد إلى معانى الآيات التى تؤدىها ألفاظ العربيه

كما كان يفهمها أهل العربيه فى عهد نزول القرآن ولا تتجاوز

إلا لالتماس ما للفظ والنظم من إحياءات أدبيه وفنيه (١)

أما المراحل التى مرّ بها تفسيره كما أشرت إليه آنفا فهى أربع

نقدم مثالا من هذه الدراسات لكل مرحلة .

المرحلة الأولى :-

الجندية والسلم . . . واقع ومثال .

(١) من هدى القرآن : أمين الخولى ص ١٠ - ١١

وكان أول حديث له عن السلام في يولييه سنة ١٩٣٧ ثم تتابعت الأحاديث وأكتفى هنا بالصورة التي قدمها الدكتور كامـل علي سعفان لهذه الأحاديث علما أن هذه الصورة ليست إلا خطوطا رئيسة لأفكارها وحسبي وحسبه أنها تشير إلى طريقة الأستاذ في التفسير أو مرحلة مربها وهي خلاصة لهذا البحث قال :-

(إن في الانسان غريزة فطرية إذا ما و انتهت التربية الصحيحة
كانت تلك الغريزة مصدر خير ونفع للانسان ، ومبعث آمال تقيه الخطر وتجنبه
الضرر وتحمي وجوده وحضارته ، وإذا ما لاقت تربية سيئة لا تسلم معها
الروح كانت مصدر شقاء وضرر ، ومبعث نقائص تخزي الانسان ، وتعرض وجوده
للدمار ، وتكتب عليه الهزيمة والخذلان) (تلك الغريزة فيما يقول قوم من
النفسيين غريزة الخوف) (هذا الخوف الغريزي النافع بإعتد الله هو
ما يعنيه الناس حين يقولون : من خاف سلم ، وهذا الخوف الأدبي
المصلح هو ما يريده القرآن في مثل قوله تعالى " وأما من خاف مقام ربه
ونهى النفس عن الهوى ، فإن الجنة هي المأوى " (١)

لكن هذه الفائدة المادية والأدبية، وهذا الخير فني
الجسم والروح ينقلب شراً ذريعاً إذا ما جاوزت الغريزة إعتد لها فآلت
إلى ذعر وهرب) ..

ومع غريزة الخوف غريزة السيطرة التي يعطيها القرآن حين (يرد ف
القوة بالعزة في مثل قوله " كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله
قوى عزيز" .. (٢) " ان ربك هو القوى العزيز" (٣) .. الى
كثير مما ورد في ذلك ..

(١) سورة النازعات : ٤٠ - ٤١

(۲) سورہ المجادلہ : ۲۱

(۳) سورہ ہود : ۶۶

فالإله في وصف القرآن : قوي عزيز غالب، له الغلبة ولرسالته
وله من الأسماء ما يناسب ذلك فهو القهار ، الجبار ، والمعز والمذل
والخافض والرافع، وما مائل هذا
والعبد الربانى هو الذي يتحلى بمعانى صفات الله وأسمائه
ويسعى لاكتساب الممكن من ذلك) . . لكنه لم يترك الغريزة دون كبـح
قوى وتنسيق فعال

إنه يروض هذه الغريزة ، حيث يتحدث عن القوة والعزة فيضـع
معاها في وصف الإله معانى السمو والخير وحسن التدبير "وان الله
لهو العزيز الحكيم" (١) كذلك يضع إلى جانب العزة العلم وهو الذي على
وفقه تجرى الأشياء صحيحة سالمة، طبق قوانينها ، ومضبـوط
نظمها " ذلك تقدير العزيز العليم " . (٢)

بل يضع إلى جانب العزة المغفرة ، وعدم المؤاخـذة على الإساءة والذنب
" وهو العزيز الغفور " (٣)

وطالما يقرن العزة بالرحمة وفيض التلطف والترفق : " ينصر من يشاء ،
وهو العزيز الرحيم " (٤) كما يقرن القوة بالأمانة : " يَأْتِ اسْتَأْجَرَهُ
إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرَ الْقَوِيَّ الْأَمِينُ " . . (٥) القوى بأبعد معانى القوة
نفسا وعقلا وجسما ، والأمين بأخطر معانى الأمانة وأكمل استعداد للمسئولية
- هو القوي الأمين الذي يشير إليه القرآن . . . ورجل القرآن الذى
يحقق القوة الجامعة ، ويمثل العزة التي يجمل مثلها لله ولرسوله

(١) سورة آل عمران : ٦٢

(٢) سورة الأنعام : ٩٦

(٣) سورة الملك : ٢

(٤) سورة الروم : ٥

(٥) سورة القصص : ٢٦

هو الرجل الذي يبنى منه القرآن أمة هي خير ما أخرج للناس" . .
أمة تحقق السلام القائم على العدل " السلام الذي أصبح شعار
هذه الأمة ، يلقي الناس به إخوانهم في الغدو والرواح . . السلام
الذي (يأسوا خراج الانسانيه ويسعفها في صراع الغرائز ، وقتال
الشهوات) . " السلام الذي سمى الله به نفسه وجعل الجنّة
(١) (٢)
(دار السلام) وأهل الجنه (تحيتهم فيها سلام) . .
تلكم هو الصورة التفسيرية التي قدمها في " الجنديه والسلام"
وهي مرحلة لا نكاد نستبين بينها وبين المنهج الذي دعا إليه
من صلة

المرحلة الثانية : القادة . . . الرسل

وهي مجموعة أحاديث أذاعها بين عامي ١٩٤١ - ١٩٤٢م وجاءت
أحاديثه عنهم عليهم السلام في عدة حلقات تحدث عن " رسل
ورسالات " وعن " القادة الرسل " وعن " عزمات القادة " وعن شمائل
القادة " وعن " تبعات القادة " وعن قادة لا جبايرة "
نختار منها مثالا أولها " رسل ورسالات وقد ألقاه إذاعة
في خلقتين ، قال في الأولى :-

" رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ،
وكان الله عزيزا حكيما " (٣) لقد جاءكم من هدى القرآن ما يمس مشكلات
كثارا من عقد الحياة العامله ، ورأيتموه يتولى التنسيق الاجتماعى
ماضيا إلى أغوار المصاعب ما سا أصولها البعيدة ، وفي القرآن من ذلك -

(١) سورة يونس : ١٠

(٢) المنهج البيانى فى تفسير القرآن الكريم : د / كامل على سعفان ص ١٦٤-١٦٦

(٣) سورة النساء : ١٦٥

كما سلف - كثير وكثير . . . والان يلتبس هدى القرآن في تقدير قيم الأشخاص والأشياء والأعمال ، ووزن البواعث والغايات التي ينبعث الناس بها في حياتهم ويصدرون عنها في تصرفهم ، ويرمون إليها في سلوكهم ويجعلونها هدفهم في سعيهم ، فقد اضطربت في ذلك الأهواء ، ولاذ الناس في تقديرهم وتأثرهم بأحكام ومذاهب أبت إلا أن تقيس كل ما في الوجود بالعروض والنقود ورأت ألا تقدر كل أجر إلا بالرتل والمتر ولم يرضها وراء ذلك جزاء ، ولا قبلت دونه ثمن ، وإطمأن من حولنا - وفيهم كثير من الخاصه - إلى متع من الحياه يشركهم فيها الحيوان الأعجم وقد يغلبهم عليها الإنسان الأول^(١) ساكن الغابه والمجهل ، فأفاضوا بذلك على دنياهم ، ودنيا غيرهم ، قسوة وقتاما ، وزادوها برودا وظلاما . . . إذ حالوا بين أنفسهم وبين متع من الروح والنعيم ، ومباهج من السنا والنور ، ولذا ائذ من الرضا والحبور ، وحينما أنكروا ذلك وحقوقه لم يحرموا أنفسهم منه فحسب بل شوشروه^(٢) على من يبتغيه ، وشوهوه على من يؤثره ففسدوا وأفسدوا ، وتأذوا وآذوا ، وعذبوا وعذبوا معهم غيرهم . . . والله المستعان " إلى أن قال :-

فيأتيها القلوب الموء منه . . كيف تناول القرآن أصول التقدير وما هديته في بيان الغايات الكريمة ، وأي اللذائذ الراقية قد تخير لكرام الناس في حياتنا المشهودة ؟ إلتمسوا الجواب عن ذلك فيما علمه لرسله وهداهم إلى أن يقولوه لقومهم ، وأن يعلنوا أنه الغاية من أدايتهم لرسالاتهم مع أنهم أولئك البشر الذين قرر القرآن بشريتهم

(١) وهل كان الانسان الأول كذلك ؟ !

(٢) بحثت في القواميس عن " ششر " أصل هذه الكلمه فلم أجد لها ذكرا

ولم يثبت لهم وراءها شيئاً فاستجدون في ذلك ما تريدون ، من هدي القرآن في هذه المشكلات الدقيقة . . . ستجدون حقيقة ثابتة مطردة في الأديان كلها وستعرفون المطلب الذي ابتغاه الرسل جميعاً من أدائهم رسالاتهم جميعاً ، ستسمعون نوحاً (ص) منذ الدهر الأول يقول لقومه (ويا قوم لا أسألكم عليه ما لا ، إن أجرى إلا على الله)^(١) (وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين)^(٢) (فإن توليتم فما سألتكم من أجر . إن أجرى إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين ")^(٣) إلى أن قال الأستاذ أمين

" واسمعوا كذلك في الرسالات الأولى هوذا يقول لقومه (يا قوم لا أسألكم عليه أجر إن أجرى إلا على الذي فطرني أفلا تعقلون)^(٤) (وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين)^(٢) وهكذا قال صالح لقومه ، تلك المقالة ، وقالها لوط ، كما قالها شعيب ، عليهم السلام جميعاً ، فتقرأ في سورة الشعراء من قصص هؤلاء الأنبياء تلك النعمة السماوية المرددة (وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين)^(٢) تردد بضع مرات في سورة واحدة . . .^(٤) وإن يقلها سالفوا الأنبياء مرة ومرة فقد قالها رسول القرآن (ص) مراراً في صور متفنه متعددة فحيناً ينفي إبتغاء الأجر بأن يهبهم ما يطلبه في مثل قوله (قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجرى إلا على الله ، وهو على كل شيء شهيد)^(٥) وحيناً ينفي الأجر بأن يطلب منهم ما هو خير لهم مما لا له هو في مثل (ما أسألكم عليه

(١) سورة هود : ٢٩

(٢) سورة الشعراء : ١٠٩ ، ١٢٧ ، ١٤٥ ، ١٦٤ ، ١٨٠

(٣) سورة يونس : ٧٢

(٤) سورة هود : ٥١

(٥) سورة سبأ : ٤٧

من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً (١) (قل لا أسألكم عليه
أجراً إلا المودة في القربى) (٢) أى برهم قرابتهم به ، وصلتهم
ما بينه وبينهم من رحم ، وأنا يؤمر أن يجهر بنفسي إبتغاء الأجر في
مثل قوله (وما تسألهم عليه من أجر إن هو إلا ذكر للعالمين) (٣) (قل
لا أسألكم عليه أجراً إن هو إلا ذكرى للعالمين) (٤) (قل ما
أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين ، إن هو إلا ذكر
للعالمين ، ولتعلمن نبأه بعد حين) (٥) وطورا ينفي هذا الطلب في صورته
الإستفهام المبعد له مثل قوله في غير موضع: (أم تسألهم أجراً فهم
من مغرم مثقلون) (٦) وهكذا يصف القرآن الرسل بهذا العزوف عن الأجر
فيقول (اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون) (٧)

أيتها القلوب المؤمنة . . . تلك الرسالة التي أداها الأنبياء طوال
حياتهم ، ولقوا فيها من العنت والإيذاء ما لقوا ، واحتملوا بسببها
ما احتملوا ، وهى بعد ذلك عمل لا مال فيه ولا أجر من حطام الدنيا
عليه ، ثم هم آخر الأمر كما قال خاتمهم عليه السلام " نحن معاشـر
الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقه " (٨) وكذلك ترقى النفس البشرية فترقى لذتها
ويهنون عندها ما حبيب إلى النفس من زينة الدنيا ، وهكذا بسط القرآن
هديه

إلى أن قال " وإن ما أحدث عنه من اللذات الراقية . . . والتي اكتفى

(١) سورة الفرقان : ٥٧ وأولها (قل)

(٢) سورة الشورى : ٢٣

(٣) سورة يوسف : ١٠٤

(٤) سورة الانعام : ٩٠

(٥) سورة ص : ٨٦-٨٨

(٦) سورة الطور : ٤٠

(٧) سورة يس : ٢١

(٨) رواه البخارى ومسلم بلفظ " لا نورث ما تركناه صدقه " انظر ما نقلناه عن
الشيخ الشنقيطي رحمه الله تعالى ، فى الباب الثانى الفصل الاول عن
دراستنا لفقه أهل السنه والجماعه

بها رسل الله الكرام فيما أدا من رسالات . . . تلك اللذات الراقية ليست من بعيد الفلسفه ولا عسير الآمال وممتنع المطالب بل هي منزله قد أرتقى اليها الكرام جميعا وبلغها في الأمم السعيده ، رجال العلم ورواد الكشف وأهل الجهاد ، ولولاها ما أقدم رجل العلم على تجارب يجربها حتى في نفسه ، ولما جازف رجل الكشف يقتحم المجاهيل والمخاطر ولما حمل المجاهد يجالد المنايا ويعانق الفواتك المدمره . . . وما خطت الانسانيه خطوه واحده في سبيل رقيها إلا على يد أولئك الذين إستهوتهم اللذائذ الراقية فنسوا أنفسهم ، وسعدوا بخير من حولهم ، أولئك رسل الحضاره وتلك رسالاتهم" (١)

وواصل الأستاذ أمين حديثه هذا في الحلقة الثانيه حيث قال : " . . . واذا ما عرفنا كيف نختار غايتنا الكريمه في هذه الحياه فقد بقي أن نعرف هدي القرآن في السير إلى تحقيق تلك الغايه المرجوه والوصول الى المقصد الجليل . . . كيف يخوض الناس الصعاب الى أهدافهم ؟ كيف يواجهون ما يعترضهم من عقبات ، ماذا يعدون لتذليلها والتغلب عليها ؟ تجد هدي القرآن عن هذا في حديث الرسل الكرام وما لقوا في سبيل تحقيق رسالاتهم وكيف واجهوا ذلك واحتملوه وماذا علمهم الله أن يفعلوا في هذا السبيل . . . فتقرأ في غير موضع أخبار تكذيبهم وسبهم في اقداع جرىء من مثل قول قومهم لواحد منهم : (إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) (٢) (إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ) (٣) (وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ) (٣) (سَاحِرًا وَّ مَجْنُونًا) (٤) الخ

(١) من هدي القرآن : القاده الرسل : أمين الخولي ص ١٤-١٩ باختصار

(٢) سوره الأعراف : ٦٠

(٣) سوره الاعراف : ٦٦

(٤) سوره الذاريات : ٥٢

بل نراهم يكيدون لهم بالقوه الباطشه الطائشه
" وقال الذين كفروا لرسلكم لنخرجنكم من أرضنا
أولتعبدون فى ملتنا " (١) " واذ يمكن ربك الذين
كفروا ليثبتوك " أى يعجزوك عن الحر كة " أو يقتلوك
أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين (٢)
كان ذلك وما يشبهه من عنف أهوج نصيب الرسل
ممن يدعون فاذا القرآن يعالجه بتهوين وقعه
على الرسل واصلاح نفسيتهم وارشادهم الى ما يحفظ
طمأنينتهم . . . من مثل قوله " فلا تبتئس بما
كانوا يفعلون " (٣) " ولا يحزنك الذين يسارعون
فى الكفر إنهم لن يضروا الله شيئا " (٤)
واسمعه إذ يأمر الرسول بالصبر على ما يقال
فيعينه على الصبر بأن يذكره بالقـدرة الصالحة
من أسلافه الأقوياء فيقول " فاصبر على ما يقولون ،
واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب " (٥) والأيد
القوة والاضطـلال بالاعباء والمشاق ويقول " فاصبر
كما صبر أولوا العزم من الرسل " (٦) واستمع
إذ يغريه بتسبيح الله ليعتز بعزته ويستمد القوة من قوته

(١) سورة ابراهيم : ١٣

(٢) سورة الانفال : ٣٠

(٣) سورة هود : ٣٦

(٤) سورة آل عمران : ١٧٦

(٥) سورة ص : ١٧

(٦) سورة الأحقاف : ٣٥

ويحتفظ بالمقاومة والإحتمال في قوله : (فاصبر على ما يقولون
وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب، ومن الليل
فسبحه وأد بار السجود" (١) "فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك
قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك
ترضى" (٢) والشاعر بقسمات الحسن القننى فى نظم القرآن
والمدر ك لا شارته النفسه يقف عند ختمه الآية الأخيرة يترجى
الرضا ، وقوله " وسبح بحمد ربك . . . لعلك ترضى " يقف وقفة يتمثل
فيها ذلك المعنى النفسى الذى أدنا عليه هذا الحديث من تقبل
الألم والشعور فى ذلك بالذنه إذ لا يكون هذا إلا حين يكون الرضا
النفسى ويظفر به الانسان فتكون العظمه الروحيه
والمقاومه النبيله وجلال الترفع ولأصحاب هذه النفوس يكون
الأمر بالصبر" (٣)

وهذه الخلاصه لحديث الأستاذ الخولى عن " رسل و رسالات" من
سلسله أحاديثه عن " القاده الرسل" تلمح فيها أنها أقرب من
سابقتهـا " المرحله الأولى " إلى تمثل منهجه والتزامه
فنى فيها هنا شيئا من الموضوعيه فى التفسير التى يدعى
اليها هذا المنهج ونرى فيها أيضا ابراز الجانب النفسى
فى التفسير وإن كان هـذا وذاك لم ينالا حظا كبيرا -
كما يتطلب المنهج - لكنهما وردا على كل حال . ومما
زالت هذه المرحله بعيدته عن التزام خط المنهج .

(١) سوره ق : ٣٩ - ٤٠

(٢) سوره طه : ١٣٠

(٣) من هدى القرآن : القاده . . الرسل أمين الخولى ص ٢٢ - ٢٤ باختصار

المرحلة الثالثة :

فى رمضان

وهي مجموعة أحاديث أذاعها فى شهر رمضان خلال ثمانية عشر عاما امتدت من سنة ١٣٦٠ إلى سنة ١٣٧٨ هـ وسأختار من هذه الاحاديث موضوعين أما أولهما فعنوانه صاحبه ب " فى رمضان " وثانيهما فى حلقتي عنوانهما " عن فلسفة الجوع " ولعل فيما اخترت دلالة على ما أردت .

تحدث الخولى فى الاولى عن " معنى حيّ - كما وصفه - لنزول القرآن فى رمضان " بين فيه المراد بانزال القرآن فى شهر رمضان الوارد فى قوله تعالى " شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان " ^(١) وذكر أن المفسرين منذ أولهم إلى اليوم يدورون حول أقوال بعينها التماسا لبيان كيف ان القرآن أنزل فى شهر رمضان مع أنه انما نزل مفرقا فى عشرين سنة أو أكثر عند المناسبات وليس فى شهر رمضان فقط ، وذكر أن هؤلاء المفسرين تارة يقولون أن القرآن نزل جملة من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا فجعل فى بيت العزة وكان ذلك فى رمضان ، ورد الاستاذ الخولى هذا القول بأنه " ما كان القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان " بنزوله من سماء الى سماء حتى يفسر بذلك نزوله فى رمضان " ^(٢) وذكر أنهم تارة أخرى يقولون أن القرآن نزل فى سائر الشهور لكن جبريل كان يعارض الرسول صلى الله عليه وسلم بالقرآن فى رمضان ويقابله معه فيه ، ورد هذا القول أيضا بقوله " لكن هل المقابلة هى النزول أو هى بعد النزول ؟ وهل يسهل تفسير الغزل بالمقابلة أو المعارضة أو المداخلة ؟ ما أظن " ^(٣) وقال انهم حينما يرون أن المراد أنزل بشأن رمضان

(١) سورة البقرة : ١٨٥

(٢) من هدى القرآن . . فى رمضان : أمين الخولى ص ١٢٦ - ١٢٧

قرآن أي جاءت عنه في القرآن آية الصيام ، ورد على هذا الرأي بأن هذا ليس مما يمتاز به رمضان ، كما أن آية الصيام لا يظهر وصفها خاصة بما ورد بعد من هدى وبينات من الهدى والفرقان بل هو وصف للقرآن كله . وذكر أنهم يفسرون المراد بالانزال بابتداء النزول ، ورد هذا القول أيضا بما فيه ضعف حيث شكك في معرفة البدء بالنزول حيث قال " وهل هذا البدء معين محدد فيشبه بمبادئ الدول والممل في انضباطها ؟ وأين كان هذا التاريخ بذلك البدء " (١) وفات على الاستاذ الخولى أن الذى حدد البدء ليس بشرا وإنما هو الله الذى أنزل القرآن فهو أعلم ببدء نزوله وتاريخ نزوله . وزاد الاستاذ الخولى ردا آخر حيث قال : " ثم قبل هذا وذاك لم عبر بالنزول عن بدء النزول وبأى شئ صرفوه الى ذلك ؟ وهم يرون أن فائدة وصف الشهر " بانزال القرآن فيه " هي التنبيه على علة تخصيصه بالصوم فيه " (١)

ومعد هذا العرض للاقوال في المراد بالنزول والردود عليها قال : " وهكذا لا تجد من هذه الاقوال التى دار حولها المفسرون جميعا فى فهم آية رمضان هذه - رأيا تترتاح اليه " ثم ساق رأيه فى الممراد بالنزول :-

" أيها الشاعرون بروعة القرآن :- لقد قصرنا النزول على المعنى المادى فى الانتقال ، والهبوط ، والانحدار ، ونحوه وليس هذا كل معنى الكلمة ، وليس هذا كل ما استعمل فيه القرآن هذه الكلمة . . لقد استعملها القرآن فى حسيات ليس فيها انتقال ، ولا هبوط . فهو يقول " أنزلنا الحديد فيه بأس شديد " (٢)

(١) من هدى القرآن . . فى رمضان : امين الخولى ص ١٢٦ - ١٢٧

(٢) سورة الحديد : ٢٥

وليس هابطا من السماء ، وهو يقول " يا بني آدم قد أنزلنا عليك لباسا يوارى سوءآتكم وريشاً " ^(١) ولييس يعنى انحدار هذا من الأعلى الى الأرض . . بل يلاحظ انه حين يقصد هذا الانتقال المادى يذكر مبدأه ويصرح به فيقول " أنزل من السماء ماء " ^(٢) وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجاً " ^(٣) " أنزل علينا مائده من السماء " ^(٤) ولم يذكر هذا المبدأ فى آيه ومضان ونزول القرآن فيه !

ومن المفروغ منه أن الألفاظ لا تقتصر على معناها الحسى أبدا بل تنتقل عنه انتقالات كثيرة الى اطلاقات معنوية . . وهم أنفسهم قالوا : الانزال تقريب الشئ والهداية اليه ، وانزال الله نعمة ، ونعمه على الخلق اعطاءهم اياها فقيم إذن هذا الوقوف عند معنى النزول المادى من سماء الى سماء أو الوصول إلى الأرض والابلاغ الى شخص

وكأن الأستاذ أحس بأن هناك اعتراضا يقول : إذا كان المراد بالنزول : التقريب والهداية فلم خصه الله بشهر رمضان مع أن هداية القرآن غير مخصوصه به ؟ ! فذهب الأستاذ الخولى يلتمس ما حسبه مستمسا وما هو بمستمسك قال : - "القرآن نعمة وهداية ، تعطى للناس ، وتقرب اليهم ، وتيسر لهم ظروف ومناسبات مع رياضه خاصه ، أوعباده خاصه فانزال القرآن فى رمضان يمكن أن يكون

(١) سورة الاعراف : ٢٦

(٢) سورة الحج : ٦٣

(٣) سورة النبأ : ١٤

(٤) سورة المائدة : ١١٤

بتقريبه إلى الناس ، وأنسهم به في شهر رمضان عند ما يرتاضون بالصوم ويدركون من الصوم ما رأينا من غايه تتساق مع الفكرة الجامعه في فهم الدين وفهم الحياه . . ففى كل رمضان اذ الناس يشعرون من الصوم بما يشعرون به ، يقرب القرآن إلى نفوسهم ، ويستبينون منه الهدى والبيئات من الهدى فى تفسير الحياه وتدبير الحياه . . والقرآن فى ذلك فرقان واضح ، يتميز به تاريخ الانسانيه عصر عن عصر قبله وهذا معنى الفرق والتميز فى كلمه الفرقان الذى فيه منه بينات على هذا الوجه يفهم أن نزول القرآن فى رمضان هو تقريبه والاياس به فيزيد الاستشفاف لهداه ، وبيناته " (١)

ولا أحسب أن هذا التعليل الذى جاء به الأستاذ الخولى مقنعا إذ أن الهداية بالقرآن الكريم وتقريبه إلى الناس وأنسهم به ليس خاصا بشهر رمضان حتى يقصر عليه . زد على هذا أن النصوص كثيرة من الكتاب والسنة فى نزول القرآن الكريم فى شهر رمضان ، ولا يلزم إقتران النزول المادى بذكر المبدأ خذ مثالا " ولو شاء الله لأنزل ملائكة " (٢) " قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة " (٣) " ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لا ينظرون " (٤) " حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء " (٥)

(١) من هدى القرآن : فى رمضان : أمين الخولى ص ١٢٧ - ١٢٨

(٢) سورة المؤمنون : ٢٤

(٣) سورة فصلت : ١٤

(٤) سورة الأنعام : ٨

(٥) سورة الأعراف : ٥٧

"وترى الأرض هامده فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت" (١) "فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت" (٢) والآيات الدالة على هذا كثيرة

وفى حديثين آخرين تناول الأستاذ الخولى معنى الجوع وصلته بالصيام وذلك تحت عنوان "عن فلسفه الجوع" ذكر فيه أن الجوع ليس طابع الصوم وقال فى الحلقة الثانية "حدثكم قبل عن الفقهاء وتعريفهم الصوم بالجوع وترك الأكل والشرب. الخ وإدارتهم الشاهد العقلى لفرضية الصوم على فعل الجوع بالنفس وردهم حكمه الصوم الى أثر الجوع أيضا ، كما رأينا الصوفية يفلسفون هذا الجوع فيسببون به كل خير كما ينسبون الى شهوة الطعام كل شر ، ويروون فى فضل الجوع ما يروون مما يعدونه حديثا ، ويذكرون مآثر العابدين فى الصوم ومدته ونريد هنا أن نعرض هذه الآراء على هدى القرآن لنرى الى أى مدى يؤيدها أو يرفضها . . . فاستمع اليه حين يقول لقريش:- "فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف" (٣) فيعد نعمتى الإطعام والإيمان اللتين خلص بهما قريشا من نعمتى الجوع والخوف. وهو بمثل هذا يعد نعم الجنة . دار النعيم المقيم . والسعادة الكبرى فيقول لآدم "ان لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى وأنت لا تظمأ فيها ولا تضحى" (٤) فالجوع والعري والظمأ والضحو - بالتعرض

(١) سورة الحج : ٥

(٢) سورة فصلت : ٣٩

(٣) سورة قريش : ٣ - ٤

(٤) سورة طه : ١١٨ - ١١٩

للشمس وحرها - كلها آلام يأمن منها من يكون في الجنة
واذا نعم أهل الجنة بألا يجوعوا فقد شقى أهل الجحيم
في وصف القرآن بألا يجدوا إلا ما لا يشبع فقال عنهم " ليس
لهم طعام إلا من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع" (١)
وعلى هذا نذكر أن الجوع والحرمان من الطعام
لن من العذاب القاسي في تعبير القرآن الأدبي ، وحسه
الغنى ، الذي نفرغ إليه - كما أتفقنا - لمعرفه نظرة القرآن
الى الجوع . . .

ولعلنا نستطيع أن نقول - بعد الذي أنسنا اليه من
هدى القرآن - ان ما اتجه اليه القوم من تلمس الآثار
في فضل الجوع وفلسفتهم لذلك الجوع على ما سمعناها منهم
ليس مما يرحب به هدى القرآن كثيرا وليس بكثير أن نقول :-
ان نظريه القوم في الجوع ليست ذات أساس سليم وهى غريبه عن الروح
الاسلاميه . بل انها ليست فى شىء من روح القرآن فى
مثل قوله : " ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء
عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين" (٢)
أيها المهتدون بهدى القرآن :- أحسبكم تقدرون ما قصد اليه
هذان الحديثان عن فلسفه الجوع فى عمل الفقهاء ورياضة الصوفيه ،
وأن هذا الجوع ليس أفضل العبادة ولا مخ الطاعة بل نقول فى طمأنينه :-
ان هذا الجوع ليس مخ الصوم نفسه ، وليس من الصواب أن يكون الجوع

(١) سورة الغاشيه : ٦ - ٧

(٢) سورة هود : ٥٢

طابع الصوم الظاهر عند المتكلمين فى الحكمه وفضل الصوم
وحبذا الصوم إمساكا عن جميع الأهواء والأخطاء والعوائد
الواهمه والفاسده ليكون الصوم رياضة مصلحه للنفوس، مجديه
على الفرد والجماعه مروضه على ما لا يسهل الارتياض عليه
فى سائر الأوقات لضعف أو إهمال أو عدم رقا به . . فيكون
رمضان وسيلة إلى التقوى التي رجاها القرآن وختم بها آية
هذا الفرض: " كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من
قبلكم لعلكم تتقون . . " (١) (٢)

وها أنت ترى الأستاذ يقترب أكثر من قبل إلى أسس منهجه
وإن كان الفاصل لا يزال بعيدا

تراه في هذه المرحلة الثالثة يولي المفردات عناية خاصة
فينظر لكلمة النزول ويقارن بين ورودها في الآية التي يتناولها
وبين ورودها في آيات أخرى ثم يستنبط المعنى الذي هـداه
إليه عمله ويظهره وإن خالف فيه كل من سبقه

وفى الجوع نظر نظرة موضوعيه وصل بها الى أن الجوع
ليس طاععا وليس هـدفـا بل هولون من العذاب القاسى فى
تعبير القرآن الأدبى وحسه الفنى ويصل من هذا إلى أن الصوم
امساك عن جميع الأهواء والأخطاء والعوائد الواهمه والفاسده
ليكون الصوم رياضه مصلحه للنفوس مجديه على الفرد والجماعه . . . الخ

(١) سورة البقره : ١٨

(٢) من هدى القرآن فى رمضان : أمين الخولى
ص ١٣٦ - ١٤٢ باختصار

المرحلة الرابعة :

ففي أموالهم . . مثالية لا مذهبية

وهي أحاديث إذاعة تباعدت سنوها - كما يقول الخولى -

من سنة ١٩٤٤ م إلى سنة ١٩٥٢ م

ولا يسعني بحال من الاحوال أن أستوفي عناصر المنهج من دراسته جاءت في حوالى ١٣٠ صفحة فى عرض سريع كهذا أقول هذا عذرا لقصور مؤكّد فإن قيلَ هذا مِنّى عذرا فإنى أقول .

أن الأستاذ الخولى قدم لأحاديثه هذه التى وصفها بأن فى ثنائها إشارات متعدده للمعالم الكبرى لهذا المنهج الأدبى فى تفسير القرآن - قدم لها بذكر طائفة من الآيات فى موضوع المال من نحو قوله تعالى : " وآتوهم من مال الله الذى آتاكم^(١)"

و " آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير^(٢)" و " لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شىء فإن الله به عليم^(٣)"

" يا أيها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون^(٤)" وغير ذلك من الآيات لكنه لم يرتبها حسب نزولها كما هو الأصل فى المنهج الذى يدعو اليه .

ثم - وبعد ذلك نظر نظرة عامة عنوانها " لمحات عامة" وهى التزام منه للأساس الذى دعا إليه وهو الدراسة العامة لكن هذه اللمحات

(١) سورة النور : ٣٣

(٢) سورة الحديد : ٧

(٣) سورة آل عمران : ٩٢

(٤) سورة البقرة : ٢٥٤

العامه لم تأت من الزوايا التي دعا الى النظر منها تماماً
بين ما يريد في هذه اللوحات فقال " نريد لتذكّر
ما يشف به الحس القرآني الكريم في ذكر القرض الحسن ، إذ يسمى
هذا الإعطاء والنضال في سبيل الخير العام قرضاً حسناً وقرضاً لله
تعالى فلا يسميه منحاً ولا تفضلاً أو ما يشبه هذا ،

ثم عرض لبيان نظرة القرآن إلى هذا المال في أيدي الواجدين
وصفته التي يعطونها به للفاقرين وأنهم إنما يعطونه حين
يقرضونه إعطاء التارك المتجاوز غير المحدّد لأجل الرد ولا الدائن
بما يقرض

ثم عرض الأستاذ الخولي لبيان غريزه حب التملك في الانسان
منذ الطفوله إلى الشيخوخه وآثارها الحسنة وآثارها السيئه
ثم بين هدى القرآن في حل تلك المشكله الكبرى ؟ وبين كيف
عالجها القرآن وأن علاجه لم يكن دخولا في مشكلاته الاقتصاديه
أو مذهبيات اجتماعيه يزيد بها الآراء رأيا والمذاهب مذهباً
ويدعنا في حيرة لا نعرف الأصوب والأصلح ؟ ووصف العلاج
القرآني لهذه الفطره نفساني دقيق يمسه مساساً خبيراً رشيداً
فيجعل الدين والتأليه والمسئوليه الآخرة عوامل فعاله في إحياء
الضمير وتقوية الإحساس بالكرامة وبالخير وتأسيس الشعور بالمسئوليه
على المراقبه الداخليه والرضا النفسي

تلكم هي أبرز ملامح اللوحات العامه التي قدمها الأستاذ
الخولي أمام دراسته تلك .

لكنه عاد في الحلقة التاليه إلى " حب المال " وتحديث
فيها عن نظره القرآن اليه ، وأن القرآن لم يعتمد من ذلك على

تجاهل أو كبت يصادم الواقع من قوه هذه الرغبة فى
البشر فهو يقول " وتأكلون التُّراث أَكْلاً لَمًّا وتحبون المال حُبًّا
جَمًّا " (١)

ثم بين أن أصحاب القرآن يدركون أن هذا الهيدى الخالد
قد عرف للبشرية حبها للتملك ، فأرضاهما لونا من الإرضاء يوفّر
ثقتها بما يوجهها إليه فى تعلية هذه الغريزة ولا تحس معه
بشك فيما يلقي إليها ، لأنها قد عرفتة مقدرا للواقع خبيراً
به لطيفاً فى تناوله فلتصغ إلى ما سيلقى إليها من حديث
عن هذه الرغبة . . (٢) الخ

وتحت عنوان " بين القصد والجور " أورد المؤلف قولـــــــــــــــــه
تعالى " ييسط الرزق لمن يشاء ويقدر " (٣)

تحدث فيه أيضا عن هذه الفطرة " حب التملك " وما تحتاجه من
مراقبة وملاحظة . لأنها حين تجنح إلى ما لا خير فيه تكون وبالا على
الفرد والأمة ومضيعة لما هى وسيله إليه وسبب من العزة والغلبه
والكره والدولة فهى إذن بحاجة ماسه إلى التوجيه
السديد . . وهذه المراقبة ليست يسيره المئونه ولا سهلة الممارسة

وقد إلتفت القرآن إلتفاتا قويا لهذه الغريزة وهو يحذّر
من شرها عند هذا الجموح فى مثل قوله " يا أيها الذين آمنوا لا
تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم
الخاسرون " (٤) كما يسوق للعبارة حال من أفسد أمره ماله وولده

(١) سورة الفجر : ١٩ - ٢٠

(٢) من هدى القرآن . . فى أموالهم : أمين الخولى ص ٢١٤

(٣) سورة الرعد : ٢٦

(٤) سورة المنافقون : ٩

فى قوله عن نوح عليه السلام " رب انهم عصونى ، واتبعوا من لــــم
يزده ماله وولده إلا خساراً" (١) وفى مثل قوله تعالى " ولا تطع كل
حلاف مهين هَمَّاز مَشَاء بنميم ، مَنَّاع للخير معتد أثيم ، عَتَل بعد ذلك
زنيـم ، أن كان ذا مال وبنين " (٢) بمثل هذه الحالة من فساد
الحال بجموح نزعه التملك والتمول ينفى القرآن أن يكون المال والولد
وسيله إلى القربى والزلفى عند الله فيقول " وما أموالكم ولا أولادكم بالتي
تقريبكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا . . . الآية (٣)

وبهذا القصد والاعتدال ينهى القرآن عن الأعجاب والأغترار بالأموال
والأولاد . . . فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله
ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون " (٤)

ففى هذه الآيات وما إليها لفت واضح إلى حال هذه النزعة
البشرية للتملك والإقتناء إذا جنحت إلى الشر ، ثم جعل الاستئذان
أمين هذا الأساس ميزانا يزن به أقوال المفسرين

ثم بَيَّنَّ أن القرآن لفت إلى الرشاد والصواب فى السلوك الذى يريده
من أصحاب الاموال " لكن الرسول والذين آمنوا معه وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم
وأولئكَ لهم الخيرات وأولئكَ هم المفلحون الآية (٥) والذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار
سرا وعلانيه فلم أجـرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون " (٦)
ولن يكون الانفاق بالليل والنهار ، وفى السر وفى العلن إلا من مال
كثير يَجِدُ فى سبيل جمعه أولئكَ المنفقون . . .

بهذه الآيات وأمثالها لفت القرآن أقوى لفت إلى خيرية غريزه التملك

(١) سورة نوح : ٢١

(٢) سورة القلم : ١٠ - ١٣

(٣) سورة سبأ : ٣٧

(٤) سورة التوبة : ٥٥

(٥) سورة التوبة : ٨٨

(٦) سورة البقرة : ٢٧٤

المهذب به الموفقه . . . فالقرآن بعد مسلكه النفسى فى تقرير
هذه الحقيقه عن الفطره يشير إلى أنها فى حاجه الى رقابته
مرشدة وتوجيه سد يد

ووضح فى " تحويل نفسى " أن القرآن حين يقصد الى تعليه غريزه
التملك وتوجيهها لم يعمد قط إلى هذا القمع الكابت فلم يجعل
المال لعنة ، ولا الغنى خطيئة ولا طرد الغنى من ملكوت الله ولا وجه الى
الزهد المنقطع عن الحياة بل " فتح مسالك ومنافذ
للتحويل النفسى ببعض ما سمعنا من توجيه لا يضمن ولا ييخل
ولا يبدد ويسرف . . ولا يغتر ويسرف . . ولا ينكر القيم ويجحد
اليقين ولا يحسب المال هو الدنيا والآخرة جميعا ولا ينسى
ما هو خير ثوابا وخير أملا . . . (١)

ثم تكلم الخولى عن " تعديل البيئه " فإذا كان أصحاب النفسيات
يقدرون فى تهذيب الغريزه تأثير التحويل النفسى ، والتبديل
النفسى ، والاستعانه بغريزة على غريزة فإنهم يقدرون - كذلك - فعل
المؤثرات الخارجيه فى هذا التهذيب ، ويقررون أن الإنسان يتأثر
بما حوله من نظم وأوضاع يخضع لها . . . وفى الحق أن القرآن
قد قدر الأثر النفسى للبيئه حينما قدر الوحدة الاجتماعيه
والصلة الوثيقه بين الفرد والجماعه . . . وفى الحق - أيضا - أن القول
عن عمل القرآن فى " تعديل البيئه " التعديل الخاص بتهذيب
غريزة التملك قول تتسع آفاقه وينبسط مداه حتى ليقترضنا النظر فى
أصول النظام المالى

(١) من هدى القرآن . . فى أموالهم : أمين الخولى
ص ٢٢٤ و ٢٢٦

والقرآن حين يهذب غريزه التملك فى أصحاب القرآن يجمع
بين الواقعية . . . والمثالية . . .

فهو حين يحمى الملكية الفردية . . واقعي . . لا يفجأ الناس بتجريد هم
من أموالهم تجريداً يَفْتَرِ هَمَّتَهُمْ وَيُثْنِي عَزَائِمَهُمْ ، ويقعد همهم فلا
يبتكرون ، ولا يجددون . . ولا يزدودون عن حماهم . .

ثم هو حين يهز أسس هذه الملكية الخاصة . . . يكون . . . مثالياً
. . . يكف من غلواء الأغنياء ، ويزلزل صلتهم بأموالهم ويجعلها
للناس جميعاً . . هم عليها أمناء مستخلفون . . وهى مال الله لا مالهم
بهذا التعديل الدينى الأساس ، السماوي الصبغة ، الإلهي
الروح يوقبهم أخطار الجموح فى التملك والوصول إليه بأى وسيلة
وإهدار الخلق والفضيلة . . (١)

"إستمع إليه حين يحدث كثيراً عن أداء هؤلاء الواجدين لما عليهم
من واجبات الزكاة فيستعمل فى ذلك كله كلمة من "الإيتاء" . . لا غيرها
فى بضع وعشرين مرة يستعمل فيها مادة واحدة هى "أتى" لـ
يغيرها على كثرة ما قال عن الزكاة فتراها فى صور متعددة: "أقاموا
الصلاة وآتوا الزكاة" (٢) "وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة" (٣) وأقام
الصلاة وآتوا الزكاة" (٤) "والمقيمون الصلاة والمؤتون
الزكاة" (٥) وتقرأ هذا فتسأل . . هل للكلمة حس فنى خاص

(١) المرجع السابق : ص ٢٢٧ - ٢٣١ باختصار

(٢) سورة الحج : ٤١

(٣) سورة البقرة : ٤٣

(٤) سورة الانبياء : ٧٣

(٥) سورة النساء : ١٦٢

يجعل استعمالها موحيا بشعور نفسي يجده من ينصت لهذا القرآن المعجز ؟

واذا الجواب عن هذا السؤال : نعم ان المادة ترجع في أصل معناها جملة إلى الاستقامة في السير والسرعة في السرعة في العطاء كما أن منها المجرى بسهولة ومن هنا تحس إحياء التعبير القرآني حينما يخصصها بالتعبير عن أداء الواجدين لزكاة أموالهم حين يؤدونها لأصحاب الحق فيها . . . ويؤدونها من مال الله الذي آتاهم . . . وينفقون مما جعلهم مستخلفين فيه فما أقوى أن يشعر التالي المتأمل من قريب وفي قوة أن الحرص على استعمال هذه المادة في أداء الزكاة إنما هو التعبير عن إعطاء في سرعة وإتجاه إلى الإعطاء يتم في سهولة^(١)

وفي قوله تعالى " خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها^(٢) قال الخولي " نشعر في مادة الأخذ بأنها التناول الجاد الحازم القوي تحسه واضحا في مثل قوله " وليأخذوا أسلحتهم^(٣) " . . . " ليأخذوا حذرهم^(٣) " فيؤخذ بالنواصي والأقدام^(٤) فنستشف هذا الجد المتناول . . . وهذا يخرج الصدقة عن مفهوم الإمتنان والتفضل بل أن الاحسان في عامته استعماله هو ضد الاساءة " إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها^(٥) " وبإلوالدين احسانا^(٦) وذلك ينفر الحس القرآني الدقيق

(١) من هدى القرآن : في أموالهم : أمين الخولي ص ٢٤٠ - ٢٤١

(٢) سورة التوبة : ١٠٣

(٣) يوره النساء : ١٠٢

(٤) سورة الرحمن : ٤١

(٥) من هدى القرآن : في أموالهم : أمين الخولي ص ٢٤٧

(٦) سورة الاسراء : ٧

(٧) سورة البقرة : ٨٣

دائما من أن يستعمل في ذكر المال المصلح لحياة الجماعه
هذا الإحسان بمعنى الإعطاء المتفضل ، والبذل المنعم
والأداء المترفع المستعلي الذي يحز في القلوب ويهيج النفوس
ويفسد ما بين المؤء منين وإنما المؤء منون إخوه" (١)

وبين الخولى عناية القرآن ب (الوسط " أى " الاتزان " فى
المال . . " والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا " (٢) ولا تجعل
يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط " (٣)
وهذا الاتزان هو الاساس الأول والفكرة العامة في حل مشكلة المال
حلا يوقى الحياة ويلات الآراء الخاطئة (٤)

ذ لكم عرض سريع وسريع لما جاء به الأستاذ أمين الخولى
مما سماه التفسير الأدبي للقرآن الكريم وجعل موضوعه " فى
أموالهم " وعدناه المرحلة الرابعة من خطوات التفسير التى خطاها
الأستاذ الخولى في سبيل تطبيق المنهج الذى دعا إليه

وسبق القول بأن الأستاذ الخولى قدم لموضوعه هذا بآيات
في موضوع المال وأنه لم يرتبها حسب النزول وهذه مخالفة
للمنهج الذى يدعو اليه .

ثم قدم دراسة عامة لهذه الآيات لكنها - كما قلنا - دراسة
غير شاملة وغير وافية بما أوجبه الأستاذ للد راسة الأدبية

(١) من هدى القرآن . . فى أموالهم + أمين الخولى ص ٢٥٢

(٢) سورة الفرقان : ٦٧

(٣) سورة الاسراء : ٢٩

(٤) من هدى القرآن . . . فى أموالهم : أمين الخولى ص ٢٥٧ - ٢٥٩
باختصار

ثم نظر في هذه الآيات وغيرها نظرة شاملة . وَقَلَّ نَظَرُهُ
في مفرداتها - وهو تجاوز آخر لعناصر منهجه ثم نظر في معانيها
المركبة لا ينظر إليها آية آية بل نظر إليها جميعا
مفردا كل نظرة بحد يث

ولست أوافق الدكتور كامل علي سعفان في إلتماسه العذر
للأستاذ أمين الخولي في مخالفاته هذه وقصوره عن تطبيق منهجه
في أحاديثه تلك بأنها طبيعة أحاديث الإذاعة ^(١) باعتبار
أن الأستاذ الخولي كان يبيها عبر الإذاعة عند كتابتها لا أوافقه
لأنني أرى أن عناصر المنهج كلها ملائمة للإذاعة لا تنبـو
عنها ولا تثقل بها . . . خاصة أنه أحيانا يتحدث عن
المفردات - مثلا - في موضع لكنه في مواضع أخرى يهملها . ولا أعرف
سببا لذلك والله أعلم . ومن الأستاذ إلى تلميذته .

عائشة عبد الرحمن " بنت الشاطي " :-

تلقت علوم الاسلام والعربية على مناهج الأزهر الشريف
على والدها وزملائه الشيوخ بالمعهد الديني الأزهرى بدمياط
وتقدمت من المنزل لامتحان كفاءة المعلمات سنة ١٩٢٩ م ثم الشهادة
العامه الابتدائية سنة ١٩٣١ م والكفاءة والثانوية سنة ١٩٣٢ م و
البكالوريا أدبى سنة ١٩٣٤ م دون أن تلتحق بأية مدرسة
لهذه المراحل

ثم تابعت الدراسة الجامعية في قسم اللغة العربية بكلية
الآداب جامعة القاهرة حتى نالت :

(١) المنهج البيانى في تفسير القرآن الكريم : كامل سعفان ص ١٧٦

الليسانس الممتاز في اللغة العربية سنة ١٩٣٩ م
الماجستير في الآداب سنة ١٩٤١ م
الدكتوراه في الآداب ، تخصص نصوص سنة ١٩٥٠ م
وتدرجت في المناصب الجامعية من معيدة بقسم اللغة العربية
بآداب القاهرة سنة ١٩٣٩ م ومدرس مساعد بالقسم سنة ١٩٤٢ - ١٩٤٤ م
إلى مدرس أ . بجامعة عين شمس سنة ١٩٥٢ م وأستاذ مساعد سنة
١٩٥٧ م ثم أستاذ كرسي اللغة العربية وآدابها سنة ١٩٦٢ م حتى
استقرت أستاذاً للتفسير والدراسات العليا بكلية الشريعة
جامعة القرويين سنة ١٩٧٠ م إلى اليوم

مؤلفاتها :

قدمت المؤلفات إلى المكتبة العربية نحو أربعين كتاباً منها :-

في الدراسات القرآنية والإسلامية :

- ١ - التفسير البياني للقرآن الكريم : في جزئين طبع خمس طبعات
- ٢ - الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق : طبعتان
- ٣ - مقال في الإنسان (دراسة قرآنية)
- ٤ - القرآن والتفسير العصري سلسله إقرأ (٣٣٥)
- ٥ - القرآن وقضايا الإنسان : ست طبعات
- ٦ - الشخصية الإسلامية (دراسة قرآنية) خمس طبعات
- ٧ - مع المصطفى عليه الصلاة والسلام أربع طبعات
- ٨ - تراجم سيدات بيت النبوة في (خمسة أجزاء) خمس عشرة طبعة
- ٩ - الأسرائيليات في الغزو الفكري .
- ١٠ - مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث (نص محقق)
- ١١ - محاسن الاصطلاح للسراج البلقيني (نص محقق)

ففي الدراسات اللغوية والأدبية والتاريخية لها عدد من المؤلفات
أذكر منها :

- ١ - لغتنا والحياة
 - ٢ - تراثنا بين ماضٍ وحاضر
 - ٣ - الخنساء
 - ٤ - أبو العلاء المعري
 - ٥ - الحياة الانسانية عند أبي العلاء
 - ٦ - مع أبي العلاء في رحلة حياته
 - ٧ - قراءة جديدة في رسالة الغفران
 - ٨ - الغفران دراسة نقدية
 - ٩ - رساله الغفران لأبي العلاء (تحقيق)
- ١٠ - أرض المعجزات : حولها غير ذلك من المؤلفات والبحوث
واشرفت على عدد كبير من الرسائل العلمية في مختلف البلدان العربية
وشاركت في عدد من المؤتمرات (١)

تفسيرها :

تصف بنت الشاطيء الأصل في المنهج الذي تلقته عن أستاذ هـا
بقولها :- " والأصل في منهج التفسير الأدبي - كما تلقيته عن أستاذي
- هو التناول الموضوعي الذي يفرغ لدراسة الموضوع الواحد فيه ،
فيجمع كل ما في القرآن عنه ويهتدي بمألف إستعماله للألفاظ والأساليب
بعد تحديد الدلالة اللغوية لكل ذاك . . . وهو منهج يختلف
تماما عن الطريقة المعروفة ، في تفسير القرآن سورة سورة ، يؤخذ

(١) أخذت هذه الترجمة من (بيان وتقرير عن الأستاذة الدكتورة عائشة
عبد الرحمن المرشحة من جامعة عين شمس لجائزة الملك فيصل العالمية
لخدمة الاسلام سنة ١٤٠٣ هـ ، ولم تظهر بها .

اللفظ أو الآية فيه مقتطعا من سياقه العام في القرآن كله مما لا سبيل معه إلى الاهتداء إلى الدلالة القرآنية لألفاظه أو إستجلاء ظواهره الأسلوبية وخصائصه البليانية^(١)

وإذا ما أردنا أن نستقرئ تفسير الدكتور عائشة منهجاً فيه فإننا سنجد له معالم واضحة

أهمها أن الأستاذ الخولي جعل "المقصد الأول للتفسير أدبي محض صرف" كما نقلناه عنه وجاءت تلميذته لتؤكد هذا بقولها "أن الذين يُعَنّون بد راسة نواحٍ أخرى فيه - أي في القرآن - وإلتماس مقاصد بعينها منه لا يستطيعون أن يبلغوا من تلك المقاصد شيئاً دون أن يفقهوا أسلوبه الفذ ويهتدوا إلى أسرار البليانية كي لا يغيب عنهم شيء من دلالاته فسواء أكان الدارس يريد أن يستخرج من القرآن أحكامه الفقهية أو يستبين موقفه من القضايا الاجتماعية أو اللغوية أو البلاغية أم كان يريد أن يفسر آيات الذكر الحكيم تفسيراً عاماً على النحو الذي ألفناه في كتب التفسير فهو مطالب بأن يتهياً أولاً لما يريد ويعدّ لمقصده عدته من فهم مفردات القرآن وأساليبه فهما يقوم على الدرس المنهجي الاستقرائي ولمح أسرارها في التعبير"^(٢)

وتأتى بعد ذلك قواعد منهجها في التفسير وأهمها :-^(٣)

أولاً : العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب :

وقررت هذا في مقدمة تفسيرها ورتبت عليه نظرتها إلى أسباب

(١) التفسير البلياني للقرآن الكريم : د / عائشة عبد الرحمن ج ١ ص ١٨

(٢) المرجع السابق : ج ١ ص ١٥

(٣) استفدنا جمع هذه القواعد مما كتبه الدكتور كامل سعفان في كتابه "المنهج البلياني في تفسير القرآن الكريم" ص ١١٥ - ١١٩

النزول حيث قالت " أن المرويات في أسباب النزول موضع اعتبار في فهم الظروف التي لا بسـت نزول الآية مع تقد ير أن الصحابة الذين عاصروا نزولها ورُوِيَتْ عنهم أقوال فيها ربطها كل منهم بما وهم أو فهم أنه السبب في نزولها وهذا هو معنى قول علماء القرآن : أن المرويات في أسباب النزول يكثر فيها الوهم ، ونقد ر معه أن السببية فيها ليست بمعنى العلية التي لولاها لما نزلت الآية وأن العبرة في كل حال بعموم اللفظ المفهوم من صريح نصها لا بخصوص السبب الذي نزلت فيه " (١)

أما المرحلة التطبيقية عند ها فهي تورد سبب النزول ثم تعقب عليه بقاعدة الاصوليين هذه وتعلق عليه وخذ مثلا لذلك ما قالته في تفسير قوله تعالى " إن الانسان لفسى خسر إلا الذين آمنوا " (٢) قالت : " وللمفسرين في الانسان قولان : أنه لعموم الجنس أو أن (ال) للعهد مراداً بالانسان جماعة من المشركين : الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن عبد المطلب . . . ولا نقف عند ما اختلفوا فيه فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب الذي نزلت فيه الآية والسياق ظاهره لا يخص الانسان بفلان أو بآخر والتعميم فيه مستفاد صراحة من الاطلاق ثم إستثناء "الذين آمنوا وعملوا الصالحات" وهذا الإستثناء ينقطع إذا ما كان الانسان خاصا بالمعهودين الذين ذكروهم وليس فيهم من يخرج بالإستثناء مع الذين آمنوا وعملوا الصالحات " (٣)

(١) التفسير البيانى للقرآن الكريم : د / عائشه عبد الرحمن ج ٢ ص ٩

(٢) سورة العنكبوت : ٢

(٣) التفسير البيانى : د / عائشه عبد الرحمن ج ٢ ص ٨١

فهى كما ترى لا تكتفى بإيراد القاعدة الأصولية بل تحرر سبب رفضها ، ولكنها أحيانا تكتفى بإيراد القاعدة خذ مثلا لذلك ما قالته فى ما ورد من سبب نزول قوله تعالى " أرأيت الذى يكذب بالدين " ^(١) قالت " وقالوا فى أسباب النزول أنها نزلت فى : أبى سفيان أو العاص بن وائل السهمى أو الوليد بن المغيرة ، أو أبى جهل وقال ابن عباس : " نزلت فى منافق جمع بين البخل والمراة " والعبرة على كل حال بعموم اللفظ " ^(٢)

وهذا الأخير هو أكثر عملها فى أسباب النزول تكتفى بإيراد القاعدة
ثانيا : استقرار اللفظ القرآنى فى كل مواضع وروده :

وقد بسطت هذا الأصل فى مقدمة تفسيرها حيث قالت عنه : " والمنهج المتبع هنا هو الذى خضعت له فيما قد مُت من قبل ، بضوابط الصارمة التى تأخذنا باستقرار اللفظ القرآنى فى كل مواضع وروده للوصول إلى دلالاته . . . وإذ نضع معاجم العربيه وكتب التفسير فى خدمة هذا المنهج فإننا نحاول أن نذكر حسَّ العربية للألفاظ التى نتدبرها من النص القرآنى عن طريق لمح الدلالة المشتركة فى شتى وجوه إستعمالها لكل لفظ وواضح أنه لا سبيل إلى دراسة أي نص فى لغة ما دون فقه لألفاظه فى لغته ، ثم يكون للنص بعد ذلك أن يحدد لكل لفظ دلالاته الخاصة من شتى الدلالات المعجمية أو

(١) سورة الماعون : الايه الأولى

(٢) التفسير البيانى : د / عائشه عبد الرحمن ج ٢ ص ١٨٥

يضيف إليها ملحظا "ينفرد به" (١)
ثم توضح بعد ذلك أن القول بدلالة خاصة للكلمة القرآنية
لا يعني تخطئة سائر الدلالات المعجمية وإنما يعني أن لهذا
القرآن معجمه الخاص وبيانه المعجز فلا يعترض معترض بأن العربية
تعرف صيغا ودلالات أخرى للكلمة .

وقد اعتنت الدكتورة عائشة عبد الرحمن بهذا الأصل عنايته
كبيرة فجاء تفسيرها محتويا على معجم لألفاظ السور التي تناولتها
بالتفسير ، بل أن عنايتها تلك جاءت فيما اعتقد على حساب فكرة
الموضوع التي طال ما دعت إليها كما سيأتي بيانه إن شاء الله .

وهي حين تدرس كلمة قرآنية تبذل وسعها في إستقراء معانيها
في القرآن ومدلولاتها حتى تصل - حسب فهمها - إلى ما
ترى أنه الصواب ولا شك أنها قد تصيب وقد تخطئ .

تقول الدكتورة عائشة في معنى الساعة من قوله تعالى " يسألونك
عن الساعة أيَّانُ مُرْسَاهَا " (٢) :- " ولفظ ساعة في العربية يعني
الجزء من الوقت ، وأضيف إليه حديثا إستعمالها في جزء محدد منه
بستين دقيقة .

ويستعمل مَعْرَفاً ب (ال) للعهد في الوقت الحاضر فيقال أزورك الساعة
أي الآن ، ثم غلب على الساعة إستعمالها في الآله الضابطه
للوقت ، بعد إختراعها

لكن للقرآن إستعماله الخاص للساعة ، فهو لا يستعملها نكرة إلا في
برهنة من الوقت قصيرة دون تحديد لها بالدقائق والثواني :-

(١) التفسير البياني : د / عائشة عبد الرحمن ج ٢ ص ٧-٨

(٢) سوره النازعات : ٤٢

الروم ٥٥ " يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة"
النحل ٦١ " فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون"
ومعها الاعراف : ٣٤ وسبأ : ٣٠ ويونس : ٤٩
يونس : ٤٥ " ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار"
الاحقاف : ٣٥ : " كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا
إلا ساعة من نهار"

أما حين يستعمل القرآن " الساعة " معرفةً بأل ، فتلك - دائماً -
هي ساعة الآخرة ، ولم يتخلف هذا في أى موضع من
الموضع الأربعين التي : جاءت " الساعة " فيها في القرآن الكريم
والملاحظ البياني في هذا الاستعمال المضطرب أن هذه الساعة
تنفرد دون ساعات الزمان كله بأنها الحاسمة الفاصلة التي يتغير فيها
نظام الزمن وسير الكون ، لما يحدث فيها من حدث هائل خطير
وهو معنى يقوى ويتضح بإسناد القيام ، وإلتيان والمجيء إلى هذه
الساعة المتميزة الحاسمة دلالة على بروزها وشخصها وفعاليتها .

الانعام ٣١ :- " حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة "

الانعام ٤٠ :- " أو أتتكم الساعة "

يوسف ١٠٧ :- " أو تأتيهم الساعة بغتة ومعها الحج ٥٥

والزخرف ٦٦ ومحمد ١٨

" ويوم تقوم الساعة " الروم ١٢ ، ١٤ ، ٥٥ ومعها المؤمنون ٤٦ ،

والجاثية ٢٧

سبأ : ٣ :- " وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة ، قل

بلى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ "

القمر ١ :- " إقتربت الساعة وإنشق القمر "

الكهف ٣٦ : - " ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبید هذه أبداً وما أظن الساعة قائمة " ^{رحمة}
فصلت : ٥٠ : - " ولئن أذقناه ^{رحمة} منّا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي وما أظن الساعة قائمة " (١)

ويمثل إستقراءها للفظ "ساعة" و "الساعة" في القرآن الكريم كان إستقراءها لإلفاظ أخرى كثيرة منها "يتيما" في قوله تعالى " أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى " (٢) لكنها هنا زادت عن ذاك بإيراد أقوال المفسرين في المراد باليتيم قالت : - " ففي اليتيم وإلياء قال " الرازي " إنه من قولهم درة يتيمة ، والمعنى ألم يجدك واحداً في قريش عديم النظر ، فأواك أي جعل لك من تأوي إليه وهو أبو طالب ، وقرئ : فأوى - بالتخفيف - أي رحم .

ويقول الزمخشري ، مُحَقَّقًا : " أن تفسير يتيم هنا بالدارة اليتيمه من بدع التفاسير " وإنما اليتيم عنده فقدان الأب ، ومثله أبو حيان في البحر ، والشيخ محمد عبده .

وقال " الراغب " في المفردات : اليتيم - في آية الضحى - إنقطاع الصبي من أبيه قبل بلوغه

وهذا هو الأصل في اليتيم لغة ، ثم قيل لكل منفرد : يتيم ومنه الدرة اليتيمه أي المنفردة "

ثم بعد أن ساق الدكتور هذه الأقوال للمفسرين قالت : - " ونحتكم إلى القرآن ، فنراه إستعمل اليتيم ، مفردا ومثنى وجمعا ثلاثا وعشرين مرة كلها بمعنى اليتيم الذي هو فقدان الأب ويلحظ فيه اقتران اليتيم بالمسكنه في عشرة مواضع : -

(١) التفسير البياني : د / عائشه عبد الرحمن ج ١ ص ١٤٤ - ١٤٥

(٢) سورة الضحى : ٦

البقره : ٨٣ ، ١٧٦ ، ٢١٥ والنساء : ٧ ، ٣٥ والانفال :

٤١ والحشر ٧ والدهر ٨ والفجر ١٧ والبلد ١٥

كما ذكر فيه من آثار اليتيم : الجور ، وأكل المال ؛ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيراً " النساء : ١٠ ومعها الانعام ١٥٢ والاسراء ٣٤ والنساء : ٦٤٢ وعدم الاكرام : " كلا بل لا تكرمون اليتيم ، ولا تحاضون على طعام المسكين " الفجر : ١٧ ، ١٨

والدع : الذي هو الدفع العنيف مع جفوة : - " أرأيت الذي يكذب بالدين ، فذلك الذي يدع اليتيم ، ولا يحض على طعام المسكين الماعون : ١ - ٣

والقهر ، في آية الضحى : ٩

ثم قالت الدكتورة عائشة بعد هذا : - " وأمام هذا التباعد لا نملك إلا أن نستبعد تفسير اليتيم بغير ذاك الذي في القرآن وقد ولد محمد يتيماً ثم تضاعف يتمه بموت أمه وجده ، لكنه تعالى نجاه من آثار اليتيم التي هي : بشواهد من آيات الكتاب الكريم : الدع ، والقهر ، والإنكار ، والجور ، مما كان مظنة أن يكسر نفسه ، فلا يتطلع إلى بعيد الآفاق فذلك هو قوله تعالى " ألم يجدك يتيماً فآوى " ترشياً بهذا الإيواء الإلهي - غير المقيد بمتعلق - إلى ما بعده من نعمة الهداية بعد حيرة ، وتهيئة لحمل الرسالة الكبرى " (١)

وبهذا ترفض الدكتورة عائشة ما أورده من تفسير للرازي لليتيم ،

وتقصره على فقدان الأب

(١) التفسير البياني : د / عائشة عبد الرحمن ج ١ ص ٤٣ - ٤٤

ومثلاً ثالثاً نظهر به مدى عناية الدكتور باستقراء ألفاظ القرآن ومدى انتشاره في تفسيرها فهي تفعل ذلك حتى ولو لم يرد اللفظ في القرآن إلا مرة واحدة كيف! خذ مثلاً كلمة المقابر" من قوله تعالى " ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر" (١) لم يأت قط في غير آية التكاثر ، وعلى حين جاءت " القبور" خمس مرات ، كما جاء القبر" مفرداً في المخلفين الذين قعدوا عن الخروج للجهاد مع الرسول .

" ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون " التوبة " ٨٤

وقد تجد الصنعة البلاغية في استعمال المقابر هنا مجرد ملاءمة صوتية للتكاثر ، وقد يحس أهل هذه الصنعة ونحس معهم فيها نسق الإيقاع وإنسجام النغم لكن أهذا كل ما في الاستعمال القرآني للفظ المقابر في آية التكاثر؟

الذي أراه أن وراء هذا الملحظ البلاغي اللفظي ، ملحظاً بيانياً يتصل بالمعنى : فالمقابر جمع مقبره وهي مجتمع القبور..... واستعمالها هنا ملائم معنوي لهذا التكاثر ، دال على مصير ما يتكالب عليه المتكاثرون من متاع دنيوى فان ... هناك حيث مجتمع القبور ومحتشد الرمم ومساكن الموتى على اختلاف أعمارهم وطبقاتهم ودرجاتهم وأزمتهم وهذه الدلالة من السعة والعموم والشمول لا يمكن أن يقوم^{بها} لفظ " القبور" بما هي جمع لقبر . فبقدر ما بين قبر ومقبره من تفاوت يتجلى إشار البيان القرآني "المقابر" على القبور" حين يتحدث عن غايه ما يتكاثر به المتكاثرون وحين يلفت إلى مصير هذه الحشود من ناس يلهيهم تكاثرهم عن الاعتبار بتلك المقابر التي هي مجتمع الموتى ومساكن الراحلين الفانين

فتأويل المفسرين - فيما قرأت - المقابر بالقبور ليس
إلا أثراً لمنهجهم في تناول مفردات القرآن تناولاً لفظياً معجماً
مجرداً عن إحياء سياقه وسره البياني ، معزولاً عن الاستعمال القرآني الذي
لم يجيء بالمقابر هنا لمجرد المشاكلة اللفظية والرنين الصوتي ،
وانما هي الملاءمة المعنوية أيضاً بين التكاثر والمقابر بما
فيهما من سعة وشمول وعموم وهو هو الإعجاز البياني لا يقوم
فيه لفظ القبور مقام المقابر بما تلفت إليه من مصير للحشود
والتكاثر ، وبما تضع أمام المتكاثرين من عبرة رادعة زاجرة حين تصدمهم
بذكر المقابر إثر " ألهاكم التكاثر " (١)

وكون الدكتور عائشة تستنبط هذا مع أن اللفظة هذه
لم ترد في القرآن إلا مرة واحدة يدل على مدى حرصها على جلاء
معاني المفردات جلاءً لا ينظر صاحبها إلى اللفظة المفردة
مجردة من مثيلاتها أو حتى من جملتها

ومثلاً أخيراً من عنايتها بالمفردات نذكره لتأكيد اهتمامها
في ذلك ، ذلك تفسيرها لـ " السعي " في قوله تعالى "
" إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى " (٢) أوردت المعنى اللغوي أولاً : - " والسعي
في اللغة المشي ، لحظ فيه أن الساعي يبتغي عملاً أو يتجه
إلى مقصد يدأب له فكان السعي بمعنى العمل مع القصد والدأب
ثم أوردت الاستعمال القرآني فقالت " وفي الاستعمال القرآني
للمادة نجد الدلالة للسعي بمعنى : المشي والحركة على الحقيقة

(١) التفسير البياني : د / عائشة عبد الرحمن ج ١ ص ٢٠٧ - ٢٠٨

(٢) سورة الليل : ٤

أو التخييل والمجاز ، فى آيتى (طه) عن عصا موسى
ألقاها " فإذا هى حية تسعى " (١) وحبال السحرة وعصيمهم
ألقوها " يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى " (٢) وفى
آيتى التحريم والحديد ، فى نور المؤمنين " يسعى
بين أيديهم " يوم القيامة كما نجد دلالة السعى على العمل
مع الدأب فى آيات : -

" فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه "
الانبياء ٩٤ " ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن
فاللئك كان سعيهم مشكورا " الاسراء ١٩ " قل هل ننبئكم بالآخسرين
أعمالا ، الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون
أنهم يحسنون صنعا " الكهف : ١٠٤

ودلالة القصد أوضح فى آيات : -

" ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى فى
خرابها " البقرة : ١١٤

" ويسعون فى الأرض فسادا " المائدة ٣٣ ، ٦٤
وواضح أن السعى فى آية الليل هو من العمل الكسبي مع القصد
والدأب ومثله السعى فى آيات (الانسان ٢٢ : النجم ٤٠ ، الغاشية ٩) (٣)
ولا أظن الدكتور عائشة مصيبة فى تصنيفها آية البقرة السالفه
(١١٤) وآيتى المائدة (٣٣ ، ٦٤) على أن السعى فيهما بمعنى
القصد ذلكم ان الذين منعوا مساجد الله ان يذكر فيها اسمه

(١) سورة طه : ٢٠

(٢) سورة طه : ٦٦

(٣) التفسير البيانى : د / عائشة عبد الرحمن ج ٢ ص ١٠٤

وسعوا فى خرابها ، لم يقفوا عند درجه القصد وانما جاوزوها الى العمل وزادوا عليه الدأب. وقل مثل ذلك فى الذين يسعون فى الارض فسادا فانهم جاوزوا القصد الى العمل والدأب عليه فلا يصح أن يجعل هذا معنى للسعي هنا

ولعل حماسها الشديد لتقرير هذا الأساس فى التفسير أوقعها - من حيث لا تدري - فى أنواع ثلاثه من الاخطاء : -
أولها : التصور فى الاستقراء :

وذلك بأن تنظر فى بعض الآيات المشتركة فى لفظ واحد وتقرر المعنى على ضوءها ويفوتها أن تنظر فى آيات أخرى مشتمله على اللفظ ذاته ، ولو أدركت ذلك ونظرت فيه لاختلف الحكم الذى وصلت اليه أولا .

ومن الأمثلة على ذلك أنها فى تفسيرها لقوله تعالى " والضحى والليل إذا سجدى " (١) " ترددت فى تأويله " أقسم بالضحى وأقسم بالليل إذا سجدى " قالت " لأن القرآن الكريم لا يستعمل القسم مسنداً إلى الله سبحانه إلا مع لا النافية ، بإستقراء كل آيات القسم فى القرآن ، فكان لي من هذا الإستقراء ما يؤذن بأنه سبحانه فى غير حاجه الى القسم " (٢)

وإذا نظرنا فى آيات القسم هذه التى تقول الدكتور عائشة أنها لم تجد القسم فيها مسنداً إلى الله إلا مع لا النافية وجدنا الأمر غير ذلك فهناك مواضع أقسم الله بها بنفسه من غير أن ينفىها بـ لا فمن ذلك قوله سبحانه : -

(١) سورة الضحى : ١ ، ٢
(٢) التفسير البيانى : د / عائشه عبد الرحمن ج ١ ص ٢٥

(١) " فوريك لنحشرنهم والشياطين "

(٢) وقوله " فوريك لنسألنهم أجمعين "

(٣) وقوله " فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم "
 (٤) وقوله " فوريك السما والارض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون "

فهذه كلها أقسام مسنده إلى الربّ وهو الله سبحانه وتعالى
وغير منفية ب لا وعلى هذا يظهر قصورها في الاستقراء .

ونذكر مثلاً آخر على ذلك عندها أنها ممن يرفض القول بالترادف
اللفظي وترفض القسم بالحلف وتقول " وفي القاموس: حلف : أى أقسم

لكن التتبع للاستعمال القرآني يمنع هذا الترادف : فلقد جاءت مادة "حلف" في القرآن

الكريم في ثلاثة عشر موضعاً كلها - بغير إستثناء - في
مقام الحنث باليمين وأكثرها مسند إلى المنافقين " (٥) ثم ساقى
المؤلفة الآيات تلك وقالت : " أما القسم فيغلب مجيئه في الأيمان
الصادق " (٥)

ولنا معها وقفه . . عند آيات من القرآن الكريم جاء فيها القسم

في مقام الحنث باليمين وهو خلاف ما توصلت إليه نذكر من هذه الآيات :-

قوله تعالى :- " اقسموا بالله جهداً أيمانهم إنهم لمعكم حبطت

أعمالهم فأصبحوا خاسرين " (٦)

وقال سبحانه " وأقسموا بالله جهداً أيمانهم لا يبعث الله من

يموت " (٧)

(١) سورة مريم : ٦٨

(٢) سورة الحجر : ٩٢

(٣) سورة النساء : ٦٥

(٤) سورة الذاريات : ٢٣

(٥) التفسير البياني : د / عائشة عبد الرحمن : ١ ص ١٧٣ - ١٧٤

(٦) سورة المائدة : ٥٣

(٧) سورة النحل : ٣٨

وقال سبحانه " ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة " (١)

وقال سبحانه " وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفورا " (٢)

وقال سبحانه " وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها " (٣)

وقال سبحانه أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمته ادخلوا الجنة " (٤)

وقال سبحانه " أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال " (٥)

هذه بعض الآيات في " القسم " التي جاءت في مقام الحنث الصحيح أن الدكتورة عائشة عدت هذا النوع وقالت " وحين يسند القسم في القرآن إلى المجرمين فإنهم في ظنهم غير حائثين " (٦)

لكن هل يصح القول أنهم يظنون أنهم كذلك في آية المائدة السالفة " وأقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين " لا شك أنهم وهم يقسمون يعلمون أنهم حائثون لأن ما أقسموا عليه ليس في درجة الظن بل حقيقة بيّنه في قلوبهم .
وهل يصح ذلك أيضا في آية سورة إبراهيم " أولم تكونوا أقسمتم

(١) سورة الروم : ٥٥

(٢) سورة فاطر : ٤٢

(٣) سورة الانعام : ١٠٩

(٤) سورة الاعراف : ٤٩

(٥) سورة ابراهيم : ٤٤

(٦) التفسير البياني : د / عائشة عبد الرحمن ج ١ ص ١٧٤

من قبل ما لكم من زوال" فهل كانوا يعتقدون حقيقةً الخلود ؟ !
أم أنهم كانوا يقسمون وهم يعلمون كذبهم وحنثهم - عناداً واستكباراً
وهذا الذي قلناه وغيره يظهر لنا أن الحلف والقسم على معننى
سواء من ناحية الحنث وعدمه ولا تصح هذه التفرقة التي توصلت
إليها الدكتورة عائشة .

وتخطىء الدكتورة عائشة - وكلنا يخطىء ويصيب - أحياناً
بعد أن تستقرىء آيات القرآن في لفظة واحدة لكنها والحماس يدفعها
لا تصيب البيان الصحيح لبعض الآيات وذلك كالمثال السابق مباشرة حيث
ظننت أن المجرمين في ظنهم غير حائثين بالقسم فبنت على ذلك ما بنت .
ومنه المثال الذي ذكرته قبل صفحات في استقراءها
لدلاله " السعى " فى القرآن الكريم -

ومنه أيضاً ما قالته فى معنى " مثقال " فى قوله تعالى " فممن
يعمل مثقال ذرة خيراً يره " ^(١) فقد ذكرت أن " مثقال " وردت فى
القرآن الكريم ثمانى مرات فى اثنتين منها أضيف مثقال إلى حبة
من خردل . ثم رجحت أن المقصود بمثقال حبة من خردل هنا ليس
خفه الوزن وإنما ضآله الحجم . وفى المرات الست الباقية اضيف " مثقال "
إلى ذرة رجحت فى اثنتين منها " ضآله الحجم " ثم قالت " على
حين تتعين دلاله " مثقال ذره " على خفة الوزن فى الآيات الأربع ^(٢)
الباقية

وحين ننظر فى استقراءها هذا فإننا نجد ها جعلت المراد
بـ " مثقال " فى قوله تعالى " ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم

(١) سورة الزلزلة : ٧

(٢) التفسير البيانى : د / عائشة عبد الرحمن ج ١ ص ١٠٠ - ١٠١

(١) نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أُتينا بها وكفى بنا حاسبين
ضآلة الحجم وليس خفة الوزن ، ولا أدري ما الذي جعله
تحمله على ذلك مع أن الآيه تتحدث عن وضع الموازين لـوزن
الأعمال فكان هذا قرينه على أن المراد بالحبّة من خردل الوزن ،
وليس الحجم ،

وفي مقابل هذا جزمّت الدكتور عائشة بأن المراد بـ"مثقال"
في قوله تعالى " قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله ، لا يملكون
مثقال ذره في السموات ولا في الأرض" (٢) جزمّت بغير قرينة بأن المراد
خفه الوزن مع أنه قابل لضآله الحجم أيضاً

والامثلة على اخطائها في الاستقراء كثيرة نكتفي بمـ
ذكرنا منها

ثانيها : تحديد المعنى قبل الاستقراء اللغوي :

وقد سبقني بإدراك هذا الدكتور كامل سعفان حيث قال " أن
الدكتور عائشة تمضي في الإستقراء اللغوي بعد تحديد
المعنى فيبد وعلا لا مبرر له " (٣)

والامثلة أيضاً على هذا كثيرة

في تفسير قوله تعالى " اذهب الى فرعون إنه طغى" (٤)
حدّدت معنى الطغيان أولاً ثم إتجهت إلى الإستقراء ثانياً فقالت :-
" والطغيانُ تجاوز الحد ، ويستعمل لغة في الماء يتجاوز الحد الى

(١) سورة الانبياء : ٤٧

(٢) سورة سبأ : ٢٢

(٣) المنهج البياني في تفسير القرآن الكريم : د / كامل على سعفان ص ١٢١

(٤) سورة النازعات : ١٧

الخطر ، ومنه في القرآن : إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ" (١)
وفسروا الطاغية كذلك بالطوفان في قوله تعالى " فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلَكَ—
بالتاغية" (٢)

على أن أكثر استعماله القرآني : في تجاوز الحد في العصيان
والكفر وهو المعنى القريب في آيات ذكرت المؤلفه عددًا منها—
ثم قالت كما جاء بمعنى تجاوز الحد في التجبر والعتو والظلم في
آيات . . . " (٣)

وهي - كما ترى - حددت المعنى أولاً ثم استقرأت الآيات ثانياً—
ووصلت بها إلى أن أكثر استعماله القرآني في تجاوز الحد وهو ما ذكرته
أولاً فبدا عملها لا مبرر له .

ومثلاً آخر تفسير الشَّدِّ حيث قالت في " وإِنَّهٗ لَحَبُّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ" (٤)
" الأصل في الشَّدِّ قوة العقد والوثاق والإحكام مادياً كما في آيه محمد ع
ومعنوياً في مثل آيات : - يونس ٨٨ . . . الدهر ٢٨ . . طه ٣١ . .
القصص ٣٥ . . . ص ٢٠ . . . كما يعبر القرآن عن بلوغ الرشد والقوة
بصيغة بلغ ، أو يبلغ أشده في مثل آيات الانعام : ١٥٢ الاسراء ٣٤
يوسف ٢٢ القصص ١٤ غافر ٦٧ الاحقاف ١٥ الكهف ٨٢ الحج ٥ .
أما صيغه شديد فجاءت في القرآن في نحو أربعين موضعاً" (٥)

(١) سورة الحاقة : ١١

(٢) سورة الحاقة : ٥

(٣) التفسير البياني : د / عائشه عبد الرحمن ج ١ ص ١٢٨

(٤) سورة العاديات : ٨

(٥) التفسير البياني : د عائشه عبد الرحمن ج ١ ص ١٦٢ - ١٦٣

وهى هنا - أيضا - كما ترى قدمت تحديد المعنى على الاستقراء وهو خلاف الأصل في هذا المنهج ، لكنها والحق يقال كثيرا ما تلتزم الأصل فى ذلك .

ثالثها : إعتدادها الشديد باستقراءها :

وظهر هذا بصور متعددة وأنماط مختلفة منها :-

- ١ - أنها تتيه بما توصلت اليه من معنى للكلمة قرآنية على المفسرين وأنها لم تقرأ لأحد منهم مثل هذا ، وكثيرا ما تفعل هى ذلك .
- ٢ - تقلل وتستصغر بصيغ متعددة متنوعه من شأن المفسرين السابقين وما توصلوا إليه من آراء .
- ٣ - جزمها بصحة ما وصلت اليه وأنه هو المتعين وتخطئتها كل قول سواه .
- ٤ - أنها تضع نفسها فى مقابل المفسرين فتذكر إجماعهم على معنى أو تسوق القول منسوبا إليهم بصيغة الجمع . ثم تذكر مقابل ذلك رأيها المخالف لما جاءوا به .

هذه أهم صور إعتدادها برأيها أذكرها هنا إجمالا وللتفصيل موضعه عند بيان رأيي فى تفسيرها إجمالا وإنما ذكرته هنا لأن جهودها فى استقراء ألفاظ القرآن هي مبعث ذلك وسببه بل أنا نجد فى هذه المواضع التى تستقرى بها كلمة أو كلمات قرآنية .

هذه - فيما أرى - أهم الامور التى أوقعها فيها حماسها الشديد لتقرير أساس " الاستقراء لالفاظ القرآن الكريم عند التفسير "

ولئن أطلت الحديث عن هذا الأساس فلأنه جوهر منهجها وأصله بل عموده الذى يقوم عليه . ولعلي بعد هذا أذكر الأساس الثالث الذى يقوم عليه تفسيرها .

ثالثا : الاهتمام بدلالة السياق :-

وهى سمة قصرتها المؤلفة على منهجها الموضوعي وقطعت السبيل على المناهج الأخرى للاهتمام ، إلى تفسير القرآن ، إن لم تسلك منهجها وأنهم لم يبلغوا مبلغا لذلك . . .

قالت " والأصل في منهج التفسير الأدبي كما تلقته عن أستاذي هو التناول الموضوعي الذي يفرغ لدراسة الموضوع الواحد فيه ، فيجمع كل ما في القرآن عنه ويهتدي بمألفوف إستعماله للألفاظ والأساليب بعد تحديد الدلالة اللغوية لكل ذاك وهو منهج يختلف تماما عن الطريقة المعروفة في تفسير القرآن سورة سورة ، يؤخذ اللفظ أو الآية فيه مقتطعا من سياقه العام في القرآن كله مما لا سبيل معه إلى الاهتمام ، إلى الدلالة القرآنية لألفاظه ، أو استجلاء ظواهره الأسلوبية وخصائصه البنيوية . . . ويلتزم في دقة بالغة قول السلف الصالح " القرآن يفسر بعضه بعضا " - وقد قالها المفسرون ثم لم يبلغوا منها مبلغا - ويحرر مفهومه من كل العناصر الدخيلة والشوائب المقحمة على أصالته البنيوية " (١)

وإذا نظرنا إلى الجانب التطبيقي عندها وجدنا مجموعة من الأمثلة منها " العقبة " في قوله تعالى " فلا اقتحم العقبة " (٢) قالت " لكن ما العقبة التي يتحدث عنها القرآن هنا ؟ أتعب المفسرون أنفسهم في تأويلها : ففي الطبري عن الحسن : عقبة والله شديدة ، مجاهدة الإنسان نفسه وهواه وعدوه

(١) التفسير البياني : د عائشة عبد الرحمن ج ١ ص ١٨

(٢) سورة البلد : ١١

الشیطان ، وقريب منه ما قاله الزمخشري ونقله الشيخ محمد عبده
وقيل العقبة جهنم أو جبل فيها . . . إلى أن قالت الدكتورة
. . . والواقع أننا في غير حاجة إلى شيء من هذا ومثله ، فالقرآن
نفسه قد تولى بيان " العقبة " حين أتبعها بالسؤال اللافت
: " وما أدراك ما العقبة ، فك رقة ، أو إطعام في يوم
ذي مسغبة ، يتيما ذا مقربة ، أو مسكينا ذا متربة ، ثم كان
من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة " فهذا بيان
مُفَصَّل للعقبة التي يجب أن يقتحمها الإنسان بما تهيأ له من
وسائل المكابدة والنضال والإدراك والتمييز وهو كذلك بيان
لأوضاع ظالمة نشأت عن غرور القادرين وطغيان أصحاب المال في
" هذا البلد " فليس ما كان المجتمع المكي يعانيه من مآسي الرق
ومن التصدع الطبقي ومن البغي والاستبداد إلى حد
إنتهاك حرمة الرسول في البلد الحرام ليس هذا كله إلا أثرا لطغيان
هذا الإنسان الذي غرته قوته فاستعبد مخلوقين مثله وملك رقابهم
بأغلال الاسترقاق المهين ، كما زين له جاهُ الثراء أن يباهي
بأنه أهلك مالا لُبَدًا ، وعلى مقربة منه يتيم محتاج أو مسكين لا صق
بالتراب أو ضاع مريضة استقرت على مر الأجيال وتوارثها
" هذا البلد " ولدًا عن والد وطبقة في أثر طبقة ، وكان الإنسان
جد يرا بأن يظلوم طغيان المال وغرور القوة ، وأن يحتمل أعباء
البذل والإيثار من أجل خير الجماعة على ما في ذلك من
مشقة وعناء " (١)

ومثلا آخر " الكبد " في قوله تعالى " لقد خلقنا الإنسان في كبد " (٢)

(١) التفسير البيانى : د عائشه عبد الرحمن ج١ ص ١٩٢ - ١٩٣

(٢) سورة البلد : ٤

فهى تذكر أن المفسرين لم يختلفوا في أن معناها في آية
البلد هو : الشدة لكن أقوالهم شتى في تحديد هذه الشدة ، ثم
سأقت المؤلف عدة من الأقوال وعقبت عليها بقولها : " ما نظن
المكابدة هنا تنصرف إلى ما ذكره من مشاق الحمل والنمو والعيش
والموت والحساب كما نأبى أن يكون " الكبد " في الآية هو مرض
القلب وفساد الباطن كما قال الزمخشري "

ثم أبدت الدكتور رأيتها " وإنما الكبد - فيما نرجح - هو ما هُيَّ
له الانسان بفطرته من احتمال المسؤولية ومشقة الاختيار بين
الخير والشر "

وعلت ذلك بـ " ووجه ارتباطه بالقسم قبله ، بحال أهل مكة
وما إختاروا لأنفسهم من إستحلال أذى الرسول وهو مقيم بالبلد الحرام
واضح ظاهر وهو أوضح ارتباطا بالآيات بعده
من ضلال الغرور بهذا الانسان الذى وهبه الله وسائل الإدراك
والتمييز وبيّن له معالم الطريقين : الخير والشر " (١)

وفي تفسير النازعات لم تطمئن الدكتور إلى ما اطمأن اليه
أكثر المفسرين - كما تقول - من أنها الملائكة تنزع الأرواح وإختارت أنها
الخيال وما نطمئن اليه من تفسير النازعات بالخيال يوجهه
الآيات بعدها في يسر وبلا تكلف فهى تنزع في عدوها وتغرق
فيه وهو الملحظ نفسه في السبح الذى يجمع له السابح قوته
وبهذا النزاع السابح تسبق إلى الغاية فتدبر من الأمر ما أجمعت
له في معاناة " (٢)

(١) التفسير البيانى : د عائشه عبد الرحمن ج ١ ص ١٨٥

(٢) المرجع السابق : ج ١ ص ١٠٩

رابعاً : القرآن هو القاعدة :

ففي التفسير تقول " نحتكم الى سياق النص في الكتاب المحكم ملتزمين ما يحتمله نصا وروحاً ونعرض عليه أقوال المفسرين فنقبل منها ما يقبله النص ، ونتحاشى ما أقحم على كتب التفسير من مدسوس الإسرائيليات والتأويلات المذهبية " (١)

وليس الأمر كذلك في التفسير فحسب بل في كل قاعدة لغوية أو بلاغية حيث تقول : " يكفي أن يأتي التعبير في القرآن - معجزة البيان - ليكون هو الشاهد والحجة والأصل الذي تعرض عليه كل قاعدة لغوية أو بلاغية لا أن نحكم فيه قواعد من صنع النحاة والبلاغيين وأكثرهم طارئون على العربية لم يكسبوها ذوقاً وسليقة وإن أجادوها علماً وصنعة " !! (٢)

ولهذا فهي ترفض كثيراً من تأويلات المفسرين لتوافق قواعد النحو ولا يسعنا إلا أن تأتى ولو بمثال واحد لهذا

ففي تفسير قوله تعالى " ولسوف يعطيك ربك فترضى " (٣) قالت " وفي الصنعة الإعرابية : أثار بعض المفسرين هنا مشكلات ما أغنى البيان القرآني عنها : القاعدة النحوية عندهم أن اللام في (سوف) إن كانت للقسم لا تدخل على المضارع إلا مع نون التوكيد ، وإن كانت اللام للابتداء فإنها لا تدخل إلا على الجملة من المبتدأ والخبر ...

(١) المرجع السابق : ج ١ ص ١٠

(٢) المرجع السابق : ج ١ ص ٤٢ وانظر ج ١ ص ١٠ - ١١

(٣) سورة الضحى : ٥

لا بد اذن من تكلف وإحتيال ، لتسوية الصنعة !

وقد رأى الزمخشري أنه " لا بد من تقدير مبتدأ محذوف وأن يكون أصل العبارة : ولأنت سوف يعطيك ربك فترضى . . . وكذلك قال " أبو حيان " : أن اللام هنا لامُ إبتداء أكدّت مضمون الجملة على إضمار مبتدأ أي ولأنت سوف يعطيك .

ونذكر جور الصنعة الإعرابية على هذا البيان العالي إذا إحتكنا إلى حسّ العربية ، ووازننا بين وقع التعبير القرآني ولسوف يعطيك ربك فترضى ، ووقع ذلك التعبير الآخر المقدر . ولأنت سوف يعطيك الذى قال عنه " الزمخشري " أنه الأصل !!

وأنى لبشر يعجزه أن يأتي بسورة من مثل هذا القرآن أن يقول في آية منه ما يقول " الزمخشري " في آية الضحى لا بد من تقدير كذا . . . لأن أصل التعبير كذا ١.١ (١)

وكما قلت الأمثلة على هذا كثيرة والغرض البيان لا الاستقصاء ولعله فيما ذكرنا إن شاء الله

خامسا :- ترك الاطناب عما أُبهم في القرآن الكريم :

وكثيرا ما تدم أولئك الذين يطنبون في بيان أمر أغفله النص القرآني ، إذ لو كان في ذكره فائدة أو ترتّب عليه معنى لذكره القرآن

ففي النعيم في قوله تعالى " ثم لتُسألنَّ يومئذ عن النعيم " (٢) تقول " وقد اختلف المفسرون في هذا السؤال عن النعيم ، ممن يكون ؟

(١) التفسير البياني : د / عائشه عبد الرحمن ج ١ ص ٤١ - ٤٢

(٢) سورة التكاثر : ٨

ولمن يكون ؟ وأين يكون ؟ فمنهم من قال : ان السؤال يكون من
الملائكة ومنهم من قال أن السؤال من الله

واعجبا ! أثر القرآن أن يسكت عن ذكر السائل ، تركيزا للاهتمام
في السؤال نفسه ، ويأبى المفسرون إلا أن يختلفوا فيمن يكون
السائل ، مع أن صنيع القرآن صريح في الصرف عمدا عن مثل
هذا " (١)

وفي قوله تعالى " فأراه الآية الكبرى " (٢) قالت : - " ونؤثر
ألا نحدد الآية هنا ما دام القرآن نفسه لم ير تعيينها في هذا
الموضع ، مكتفيا بوصفها بالكبرى وهي صيغة تشهد بمبلغ دلالة
الآية على صدق موسى وعلى قدرة ربه ، رب فرعون والناس جميعا " (٣)
وفي قوله تعالى " ما ودعك ربك وما قلى " (٤) قالت

ولا نرى أن نقف هنا عندما ورد في بعض كتب التفسير من تحديد
سبب الإبطاء في الوحي بتأويلات دخيلة . . . وما نراها
وأشباهها مما يتعلق به النظم القرآني ، وإلا لما سكت عنها
كذلك لا نرى وجها للوقوف عندما ذكر مفسرون في تحديد مدة الإبطاء
. . . إذ يغنيننا عن مثل هذا سكوت القرآن نفسه عن تحديد فترة الوحي
باليوم أو بالشهر ، ولو كان البيان القرآني يرى حاجة إلى هذا
التحديد ليزيد في اليقين النفسي أو يبلغ غايته من البيان لما أمسك
عن ذلك ، لأن مقتضى البيان أن يستوفي كل ما يدعو إليه المقام مما
يتصل بغايته ، فإذا أمسك هنا عن ذكر سبب الإبطاء وتحديد مدته

(١) التفسير البياني : د / عائشة عبد الرحمن ج ١ ص ٢١٨

(٢) سورة النازعات : ٢٠

(٣) التفسير البياني : د / عائشة عبد الرحمن ج ١ ص ١٣٠

(٤) سورة الضحى : ٣

فلأن الذي يعنيه من الموقف هو جوهر الموقف لا تفصيلاته الجزئية فالمهم هنا هو جوهر الموقف ولا شيء من جزئياته بذى جدوى على المعنى وإلا لكان إهماله والسكوت عنه قصورا في حساب البلاغة باعتراف أصحابها أنفسهم ومعاذ البيان المعجز أن يُظن به أى وجه من القصور" (١)

لكن ما نأخذه عليها في هذا أنها وهي تعيب على هؤلاء المفسرين خوضهم فيما أبهمه القرآن نراها أحيانا تورد أقوالهم وتوازن بينها وتنقل نصوص أصحابها من مصادرها الأصلية ثم بعد هذا كله تقول " والأليق بجلال الموقف أن يكتفى فيه بالرضى على ما أراد له البيان القرآنى فوق كل تحديد ووراء كل وصف وتدعو إلى عدم الخوض في مثل هذا وكان الأولى أن لا تورد هذه الأقوال التي عابتها عليهم وتكتفي بالإشارة إليها وانظر مثلا لذلك ما أوردته لهم في بيان ما أعطاه الله لنبيه في قوله تعالى " ولسوف يعطيك ربك فترضى " (٢) " (٣)

سادسا : رفض التفسير العلمى التجريبي :-

لا أعرف احدا في العصر الحديث - فيما قرأت - رفض التفسير العلمى بقدر رفض الدكتور عائشه له فهي تبدي حماسا شديدا للرفض فلها في ذلك كتاب مستقل وفصول في كتاب ومقالات في مجلات.

ويبدو أن موقفها هذا متأثر بموقف أستاذها أمين الخولي

(١) التفسير البياني : د / عائشه عبد الرحمن ج ١ ص ٣٦ - ٣٧

(٢) سورة الضحى : ٥

(٣) التفسير البياني : د / عائشه عبد الرحمن ج = ص ٣٩ - ٤١

الذى علمها هذا المنهج في التفسير في ضميرها وقلبها وعقلها
كما تقول في إهداء غالب مؤلفاتها

ولا يخفى أن رفض التفسير العلمى من أول ما يرد بناءً على أصول
منهجهم وهم يرفضونه لثلاثة أسباب

الاول : الناحية اللغوية في حياة الألفاظ وتدريج دلالتها لو ملكتنا منها
- ما لا بد ان نملكه - فى تحديد هذا التدريج وتأريخ ظهور
المعاني المختلفة للكلمة الواحدة ، وعهد استعمالها
فيها لوجدنا من ذلك ما يحول بيننا وبين هذا التوسع العجيب
في فهم ألفاظ القرآن وجعلها تدل على معانٍ واطلاقات لم
تُعرف لها ولم تُستعمل فيها

الثاني : الناحية الادبية أو البلاغية ، والبلاغة فيما يقال مطابقـة
الكلام لمقتضى الحال فهل كان القرآن على هذا النحو المتوسع
فى التفسير العلمى كلاماً يوجه إلى من خطب به من الناس فى
ذلك العهد مراداً به تلك المعاني المذكورة مع أنها معان من
العلم لم تعرفها الدنيا إلا بعد ما جازت آماداً فسيحة . .
الثالث : الناحية الدينية أو الاعتقادية : وهي التى تبين مهمة
كتاب الدين وهل هو كتاب يتحدث إلى عقول الناس وقواهم
العالمه عن مشكلات الكون وحقائق الوجود العلميه ؟
والحق البين أن كتاب الدين لا يعنى بهذا من حياة الناس
ولا يتولاه بالبيان ولا يكفيهم مؤنته حتى يلتمسوه عنده ويعدوه
مصدراً فيه " (١)

(١) التفسير معالم حياته منهجه اليوم : امين الخولى ص ٢٥ - ٢٦

ولئن كان هذا قول الأستاذ فلقد وصفت التلميذة التفسير العلمي بأنه " خطر على عقلية الجماهير ، أن نخايلها بهذه الألفاظ المضخمة من بدع التأويلات العصرية العلمية ، تمسخ عقليتهم ويختل بها منطقهم وتُخدَّر وعيهم بغرور السبق إلى علوم العصر" (١)

وانظر ما قالتها الدكتور في تفسير قوله تعالى " خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ " (٢) فقد أوردت تفسير الزمخشري " إن في الآية تفخيماً لخلق الانسان ودلالة على عجيب فطرته " قالت : " وقد نقله الرازي ثم أضاف اليه في تأويل " عَلَّمَ الْقَلَمَ " كون الانسان من علقه وهي أخس الأشياء ثم صيرورته عالماً والعلم أشرف المراتب ثم أوردت الدكتور عائشة قول أبي حيان وعقبت على هذه الأقوال بقولها " وكل هذا مما يمكن أن يقال ، وليس هو على أي حال بأبعد مما ابتدأه محدثون إتجهوا بهذه الآية إلى مجال البحث في علم الأجنة والتمسوا المراجع الأجنبية لعلماء الفسيولوجيا والبيولوجيا لفهم آية نزلت على النبي الأمي في قوم أميين لم يسمعوا قط ولا سمع عصرهم بعلم الأجنة ، وغير متصور أن يكون القرآن الكريم قدّم لهم من آيات ربوبية الخالق وقد رتبة ما لا سبيل لأحد منهم إلى تصوره فضلاً عن فهمه وإدراكه

وإنما فهموا من العلق ما تعرفه لغتهم وبيئتهم وعصرهم والعربية قد إستعملت العلق مادياً في كل ما يعلق وينشب : - كالدم ، والمحور الذي تعلق عليه البكرة ، وعلقت المرأة حملت ، ومعنويًا في العلاقة

(١) القرآن وقضايا الانسان : د / عائشة عبد الرحمن ص ٤٢٨

(٢) سورة العلق : ٢

تنشعب بين إثنين حبا أو بغضا وفي الضلة تربط بينهما

ولم يكونوا في حاجة إلى درس في علم الأجنّة أو مراجعة كتاب في المكتبة الأمريكية التي ظهرت بعد هم بقرون ، ليفهموا آية خلق هذا الانسان من علّق في أرحام الأمهات وهم الذين أَلْفُوا إستعمال : علقت المرأة ، بمعنى حملت

وإستعمال العلق هنا ، جمع علقه ، إيذان بما ذهبنا إليه من إطلاق في عموم لفظ الانسان

ولا يشير السياق إلى أن القصد من " خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ " توجيه المصطفى ومن يؤمنون برسالته إلى النظر في علم الأجنّة وإنما هي آية الله في هذا الانسان : - خلقه من علق وخصّسه بالعلم ، واحتمل أمانة التكليف فازدهاه الغرور وأطغاه الشعور بؤهم الإستغناء عن خالقه فنسي أن إليه سبحانه الرجعى والمصير .^(١)

وتصف الدكتور عائشه التفسير العلمى بأنه " بدعة " عند تناولها بالتفسير لقوله تعالى " فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره " ^(٢) حيث تقول : =

" وجاء محدثون ببدعة التفسير العلمى فذهبوا إلى أنها الذرة التى إكتشف العلم سرها فى القرن العشرين !!

- ثم علقت على هذا قائلة " والواقع أن مثل هذا التحديد ليس مراد القرآن ولا هو من مألوف بيانّه . والعريية قد عرفت الذرّ فى كل ما يُمثّل الضآلة والصغر وخفة الوزن تقول : - ذرت الملح والدقيق والفتات

(١) التفسير البيانى : د / عائشه عبد الرحمن ج ٢ ص ١٨- ١٩

(٢) سورة الزلزله : ٧

نثرته باطراف الأصابع والذر الهباء يُرى في شعاع الشمس وبولغ
في وصف تناثر النمل الصغير المنبث ف قيل : - ذر وفي لسان
العرب نص صريح على أنّ "الذرة ليس لها وزن" لفرط صغرها وخفتها
ونوءثر أن نفهمها في ضوء هذا الحس اللغوي وعلى هدي
البيان القرآني دون تكلف لتقدير الأوزان والأحجام والألوان
وما فهم العرب الذين بعث فيهم رسول " منهم من قوله تعالى
مثقال ذرة إلا أنه التناهي في الضآله والخفه والصغر حتى ليكون من الهباء
الذي لا وزن له
وهو ما يتلاءم ماديا وفنيا مع جو الموقف ونسق السياق من
الزلزلة والإنفجار والتفتيت والتشتيت فهم يخرجون أثقالا
ويصدرون أشتاتا ويرون أعمالهم مثقال ذرة من خير أو شر" (١)

ولعل فيما ذكرناه ما يظهر حقيقة موقفها من التفسير العلمي
ترفضه كل الرضى وتذمه كل الذم لأنه يخالف قواعد وأصول
منهجها الأدبي ولا شك - أنها - وفقها الله - قد تطرفت في الرضى
دفعها الى ذلك - فيهما أحسب - تطرف خصومها في التفسير العلمي
والحق وسط بينهما وبينهم - وقد أفردناه بدراسة خاصة في حديثنا
عن المنهج العلمي التجريبي ولا نرى موجباً لإعادته هنا
فليُنظر هناك .

سابعاً : التفسير الموضوعي

لا شك أن الأسس - أى أسس - ليست على درجة واحدة دائماً
فقد يكون بينها تباين في القيمة وإن استوت في النوع وإذا نظرنا

(١) التفسير البياني : د / عائشه عبد الرحمن ج ١ ص ١٠٢

الى أسس منهج التفسير البيانى فانا ولا شك نرى أن أهم هذه الأسس اثنان :

١ - الاستقراء للمفردات

٢ - التفسير الموضوعي

وللتناول الموضوعى عند الدكتور عائشه منزلة أيضا بل عدته فى مقدمة تفسيرها الأصل الذى يقوم عليه المنهج فى التفسير فقالت :
" والاصل فى منهج التفسير الأدبى - كما تلقيته عن أستاذى - هو تناول الموضوعى الذى يفرغ لدراسة الموضوع الواحد فيه فيجمع كل ما فى القرآن - عنه ويهتدى بمألف استعمله للألفاظ والأساليب بعد تحديد الدلالة اللغوية لكل ذاك
وأجبه بمحاولتى اليوم الى تطبيق المنهج فى تفسير بعض سور قصار ملحوظ فيها وحدة الموضوع فضلا عن كونها من السور المكية حيث العناية بالأصول الكبرى للدعوة الاسلامية " (١)

لكن هل التزمت الدكتور عائشه هذا الأصل الذى دعت اليه؟ سجل مخالفتها لهذا الدكتور عفت الشرقاوى ومن بعده الدكتور محمد ابراهيم شريف فقال الأول ونقل عنه الثانى " ولقد نلاحظ أن المؤلف قد خالفت أستاذها فلم ترتبط بفكرة الموضوع التى طال دعوته اليها ، ولو فعلت لكان أمامها فسحة من الدراسات المنتجة الخصبة ذلك أن التحديد الموضوعى يسعف على تنبئه دقيق الى الدلالات المستخدمة فى الموضوع ، وعلى كل حال فان المؤلفه فسرت هذه السور القصار ، فلم تبعد كثيرا - عن التفسير الموضوعى لأن الوحدة الموضوعية ملحوظة فى كل سورة على

(١) التفسير البيانى : د / عائشه عبد الرحمن ج ١ ص ١٨

حدة الى حد ما ، وفوق ذلك فان تفسير السور يفتح مجالات ،
أخرى أمام المفسر ، قد تختلف عن الدراسة الموضوعية
ومن ذلك مثلا مسألة المناسبة بين الآيات وملاحظة السياق في
السورة الواحدة " (١)

وكان من ذلك ما قدمته الدكتورة عائشة في تفسير سورة ،
العاديات حيث قالت : - وتبدأ بعرض صورة مثيرة لغارة عنيفة
مفاجئة ، تباغت القوم صباحا فلا ينتبهون اليها الا وقد توسطت
جمعهم فبعثر تهم وسط عاصفة من النقع المثار

وتقع هذه الصورة العنيفة بعد واو القسم لافتة الى ما عهد
القوم من مثل تلك الغارات المفاجئة المصيبة ، وما تحدث من بعثرة
وحيرة وارتباك ثم تأتي بعدها صورة أخرى لغيب غير مشهود ،
ولكنه واقع حتما . . ذلك هو البعث فجأ على غير موعد فاذا هم
في حيرة وبعثرة وارتباك ، وقد لفظتهم القبور لليوم الآخر كالفراش
المبثوث ، واذا كل ما فى صدورهم قد حصل لم تفلت منه خافية
مغمرة ، مطوية في أعماق الصدور ومستكن الضمير

وفي كل لفظ من الصورة ، (٢) بل في كل حرف منها سره البياني
الرائع فيما قصد اليه القرآن من احضار مشهد ليوم البعث شاخصا
مجسما ، وتأکید وقوعة ، والانداز بما ينتظر الانسان فيه من حساب
دقيق عسير" (٣)

هذا مثل من الأمثلة القليلة لتطبيق التناول الموضوعي في التفسير

عند الدكتورة عائشة

(١) اتجاهات التفسير في مصر في العصر الحديث : د عفت محمد الشرقاوى
ص ٣١٧ " واتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر د : محمد
ابراهيم شريف ص ٩٧

(٢) كذا وردت ولعلها تريد " السورة "

(٣) التفسير البياني : د / عائشة عبد الرحمن ج ١ ص ١٥١

رأيي في تفسيرها :

ذكرت أثناء عرض أسس منهجها بعض المخالفات للمنهج أو الأخطاء التي أحسب أن الدكتور عائشه قد وقعت فيها ، ولعلني أذكر هنا الملاحظات العامة

فمنها ما سبق - أيضا - أن أشرت اليه وإلى صورته أجمالا ووعدت بضرب الأمثلة فيما بعد وهذا أو أن انفاذ الوعد ،

قلت هناك أن من عيوبها - وجل من لا عيب فيه - اعتدادها الشديد بآرائها وذكرت له أربع صور :

أولها :- أنها تتيه بما وصلت اليه من معنى لكلمة قرآنية على المفسرين

والأمثلة على هذا كثيره منها قولها " هذا ما نطمئن اليه في التفسير البياني للقسم بالضحى والليل اذا سجي ، ولا أعرف - فيما قرأت - أحدا من المفسرين التفت الى هذا الملحظ التفاتا واضحا متميزا ، وإن يكن بعضهم قد استشرف له من بعيد ، لكن وسط حشد من تأويلات شتى ، لا تخلو من تكلف واغراب " (١)

وفى موضع آخر تقول " ولا أعرف أحدا من المفسرين أو البلاغيين التفت الى اطراد هذه الظاهرة الاسلوبية في القرآن مع وضوحها الى درجة العمد والاصرار " (٢) قالت هذا في طبعة تفسيرها الأولى ولما أعادت طبعه عدلت العبارة إلى " وقد شغل أكثر المفسرين والبلاغيين بتأويل الفاعل عن الالتفات الى اطراد هذه الظاهرة الأسلوبية في هذا الموقف مع وضوحها الى درجة العمد والاصرار ،

(١) التفسير البياني : د / عائشه عبد الرحمن ج ١ ص ٢٦ - ٢٧
(٢) المرجع السابق : الطبعة الاولى ج ١ ص ٧٠ والطبعة الثالثة ج ١ ص ٨٥

وسرها البيانى دقيق جليل" (١)

وثانيها أنها تقلل بصيغ شتى من شأن المفسرين السابقين وتفسيرهم وتسوق عباراتها عنهم أحيانا بما يشبه السخرية بل لم أجـد كلمة "المفسرين" في كتابها الا وسياقها كذلك وهو أمر خطير

ولست بالأول ولا بالوحيد الذى أدرك ذلك منها فهذا الدكتور محمد ابراهيم شريف يقول " ما كان هناك من مبرر لحملتها السافرة على قدامى المفسرين واعتدادها الشديد بما تحقق من نتائج ووصفها المفسرين بالدأب على افساد البيان القرآنى" (٢) ومن قبله الدكتور عفت الشرقاوى قال " ولكن ما يلفت النظر في منهج المؤلفة حملتها السافرة على قدامى المفسرين واعتدادها الشديد بما تحقق من نتائج" (٣)

وتصف كثيرا نتاج المفسرين بصيغة الجمع بصفات تستغرب من ذلك قولها " واكثر المفسرين على أن " يصدر الناس " هنا بمعنى يخرجون من القبور وتفسير يصدر بـ " يخرج أو ينصرف بعيد عن حس العربية . . . " (٤) وقالت " ولكن كثيرا من المفسرين ذكروا في أشات أقوالا بعيدة لا يعين عليها الحس اللغوى للمادة " (٥) وتقول " ولشد ما تكلف المفسرون في تأويل الساهرة " (٦) وقالت " وأيان : للبعد ولا أدري لم فات جمهرة المفسرين أن يلحظوا موقعها هنا على كثرة تعلقهم بما له اتصال بالصنعة النحوية " (٧)

- (١) المرجع السابق : الطبعة الأولى ج ١ ص ٧٠ والطبعة الثالثة ج ١ ص ٨٥
(٢) اتجاهات التجديد في التفسير القرآن الكريم في مصر : د / محمد ابراهيم شريف ص ٦٠٧
(٣) اتجاهات التفسير في مصر في العصر الحديث : دعت محمد الشرقاوى ص ٣١٧
(٤) الى (٧) انظر التفسير البيانى : عائشه عبد الرحمن الصفحات حسب الترتيب ج ١ ص ٩٧ ، ٩٩ ، ١٢٥ ، ١٤٥

وقالت " وتدبر هذه الآيات يرينا مافي قول المفسرين من جور على
 المعنى القوى المثير " (١) وقالت " لكن ما العقبة التي يتحدث عنها القرآن
 هنا ؟ أتعب المفسرون أنفسهم في تأويلها . . . والواقع أننا في غير حاجة
 الى شيء من هذا ومثله " (٢) وقالت " وليس بعجيب أن يفوت هذا السر
 البياني جمهرة المفسرين الذين كان جهدهم أن يجمعوا كل ما يمكن أن
 أن يحتمله المدلول المعجمي للفظه وكل ما قيل في تأويله دون أن يلتفتوا
 الى الإيحاء الباهر للفظ " زرم " (٣) وقالت " فتأويل المفسرين - فيما
 قرأت - المقابر بالقبور ليس الا أثرا لمنهجهم في تناول مفردات القرآن تناولا
 لفظيا معجميا مجردا عن إيحاء سياقه وسره البياني معزولا عن الاستعمال
 القرآني " (٤) وقالت " وليس النص القرآني في وضوح بيانه بمسئول عن هذا
 الخلاف ، وانما يسأل عنه منهجهم في التفسير وهو منهج لا يرى بأسا
 في تفسير الآية الواحدة بالنقيضين كيلا تفوته الاحاطة بما قيل في الآية " (٥)
 وتقول بلهجة ساخرة " ثم يجيء المفسرون - غفر الله لهم - فيقولون . . .
 وفاتهم النذير العالي الصادر . . . وأعجبا أثر القرآن أن يسكت عن ذكر
 السائل ويأبى المفسرون الا أن يختلفوا فيمن يكون السائل . . .
 لكن كيف يمكن ادخال المؤمنين مع الكفار في سؤال واحد ؟ الجواب عند
 المفسرين حاضر " (٦)

معذرة أن أطلت فما ذكرت الا القليل من عباراتها بل لم أجدها في أى
 موضع - فيما قرأت - تذكر المفسرين أو قولاً لهم موضع الثناء والقبول اللهم
 الا مرة واحدة قالتها في المقدمة . . . قالت هناك : " وما يجرؤ منصف على
 أن يجحد فضل أحد من هؤلاء جميعا وهم الذين بذلوا في خدمة القرآن
 جهودا جليلة وتركوا آثارهم من بعدهم شاهدة بمقدار ما عانوا " (٧)

(١) الى (٥) انظر التفسير البياني : د - عائشة عبد الرحمن الصفحات حسب الترتيب

ج ١ ص ١٦٥ ، ١٩٢ ، ٢٠٦ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩

(٦) التفسير البياني : د عائشة عبد الرحمن ج ١ ص ٢١٨-٢١٩

(٧) المرجع السابق : ج ١ ص ١٧

لكن هل تشفع لها هذه الكلمة في المقدمة أن تقف هذه الوقفات الكثيرة في تفسيرها منهم وهل يشفع لها هذا أن تذكر أقوالهم دائما بصيغة الرفض والانكار و على كل حال - غفر الله لنا ولها - ولعلها تعيد النظر فيما قالت مادام في العمر بقية وفي الأجل فسحة .

ثالثها جزمها بصحة ما توصلت اليه وتعين القول به ورفض ما سواه . حتى وان كان لم يورده أحد من المفسرين من قبل وعلى هذا فكل من سبقها وسبق عصرها لم يصل الى الحق حتى قالته واقرأ معي قولها " ولكن هذا المعنى المتعين ، هو الوحيد الذي لم يذكره المفسرون - فيما قرأت - وهم يعدون كل ما يمكن أن يقال في تفسير " النعيم " ويذكرون فيه ذلك الحشد المختلط الا نعيم الآخرة الذي يصر القرآن على تخصيص لفظ النعيم به ، والذي يجب أن يحتكم وحده في توجيه آية التكاثر " (١)

والحق أن المفسر القديم كان أكثر حيطة منها حين وضع في اعتباره أن التفسير قول على الله وخشي دائما القطع بقول لا يعلم أنه مراد الله من قوله فلم يكن يجرؤ على الجزم بتأويل واحد - يكون ما عداه خطأ - مالم يرد في ذلك نص صريح وانما فهم أن النص الذي يقبل التأويل هو طائفة من الامكانات وقد يرجح بعضها مستعينا في ذلك بالسياق العام للنص ولكنه لم يجزم بمعنى واحد يخطئ ما سواه كما فعلت الباحثة " (٢) ولا يمكن - كما يقول الدكتور عفت الشرقاوى - أن يبلغ اعتزاز المفسر المنصف برأيه حدا يجعله يخطئ بصرامة وحدة آراء الآخرين أمام هذا النص ، الا اذا كان صاحب نحلة أو هوى خاص " (٣)

(١) المرجع السابق : ج ١ ص ٢٢٣

(٢) اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر : د محمد ابراهيم

شريف ص ٦٠٧

(٣) اتجاهات التفسير في مصر في العصر الحديث : د عفت الشرقاوى ص ٣١٨

رابعها اعتدادها بنفسها الى درجة أنها تذكر أقوالهم مقابل قولها فتقول مثلا لا نستطيع أن نطمئن الى تفسير "النازعات" بما أطمأن اليه أكثر المفسرين" (١) وكان الاولى أن تذكر رأيها بغير هذه الصيغة ، وتقول في موضى آخر "ونتفق مع المفسرين في" (٢) وقالت (٣) "ولا حاجة بنا بعد هذا الى الوقوف عند ما قاله بعض المفسرين في" (٣)

وقالت " لكن المفسرين أجمعوا على الى أن تقول وعندى وتقول وحين تلوذ بكتاب العربية الأكبر ومعجزاتها البيانية الخالدة نهتدى الى هذا الملحظ الذى غاب عمّن قيدهم جمود المصطلح النحوى فطبقوه صنعة شكلية بعيدا عن ذوق العربية " (٤) وتقول أخيرا " واختلفوا كذلك في . . . وأمام هذا الاختلاف تلوذ بالقرآن الكريم . . . هذا المعنى المتعين هو الوحيد الذى لم يذكره المفسرون " (٥)

هذه صور أربع لا اعتدادها بتفسيرها وما توصلت اليه من آراء حبذا لو تخلصت منها الدكتور عائشه حتى تظهر صورة تفسيرها أكثر جلاء وأكثر قبولا وما أجملها من صورة

واذا ما أردنا أن نقيم هذا التفسير في هذا المنهج فإن هذا يذكرنا بملاحظة سبق ذكرها ألا وهي تخلف النتائج عن المقدمات أعني قصور المحاولات التطبيقية عن الأسس الموضوعية والقواعد المرسومة لهذا المنهج ذلكم أن هذا المنهج حتى ساعتنا هذه فيما قرأت - لم يشهد تطبيقا كاملا في احدى محاولات التفسير ذلكم أن بعضها يأخذ بشق ويأخذ بعضها بالآخر .

(١) الى (٥) التفسير البياني : د عائشه عبد الرحمن وهى حسب الترتيب ج ١ ص ١٠٨ ، ١١٣ ، ١٤٧ ، ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢٢٠ ، ٢٢٣

" فعلى حين يركز بعضها على الموضوع ويختار كثيرا من آياته نجده يتعثر في المعجم والاستعمال وتفتر جهود في هذه المجالات وعلى حين تنجح بعض المحاولات في الدراسة المعجمية والاستعمال القرآني والسياق تتعثر في الموضوع فلا تلتفت اليه أو تستغني عنه أصلا وهذا ما وقع فعلا من بنت الشاطي^١ فلم ترتبط بفكرة الموضوع الذي طالت دعوة أستاذها اليها وتحمست هي كثيرا في الترويج لها^(١)

لكنها والحق يقال جاءت بمنحى آخر في هذا فعند ما لم تلتزم موضوعا بعينه اختارت سورا قصارا لاحظت فيها وحدة الموضوع الى حد ما

فهى بذلك لم تخرج عن التفسير التقليدي بالتزامها للسورة اطارا لتفسيرها وهي أيضا لم تبعد كثيرا عن التفسير الموضوعي لمراعاتها وحدة الموضوع في كل سورة تناولتها بالتفسير

وبهذا يمكن أن نقول انها قد جمعت في محاولتها بين " التحديد الموضوعي^(٢) وبين التناول الأدبي التقليدي للسور التي فسرتها^(١)

ولا يفوتني في ختام حديثي عن هذا التفسير أن أبدى اعجابي بما بذلته الدكتورة عائشه وبكثير مما توصلت اليه من آراء

(١) اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر : د / محمد ابراهيم

شريف ص ٥٩٧ - ٥٩٨

(٢) نعنى به الموضوعية الجزئية ذلكم ان المواضيع في السور التي تناولتها الدكتورة لها ما يماثلها ويكملها في سور أخرى لكن الدكتورة اكتفت بما في سورة عما في السور الأخرى وليس هذا بالموضوعية الشاملة

قلت من قبل فجاءت بما يدعمها أو كشفت وجهها آخر في التفسير
له أصالة وذلك عن طريق تتبع الأسلوب القرآني ومفردات القرآن
حيث يجد القارئ حقا أن للقرآن الكريم قواعد وأن له استعمالات
يخفي أن لا تغيب عن ذهن مفسر القرآن الكريم

وكم أتمنى أن تعاود الدكتور عائشة النظر فيما قيل في
تفسيرها من مآخذ وسقطات وتواصل من بعد هذا التفسير
سدد الله الخطي وعفا عنا الزلل انه سميع مجيب

وقد كنت وعدت أن اتبع هذه الدراسة بدراسة أخرى بكتاب آخر
في هذا المنهج ^{كلا} _{ذي} لكون آخر وهذا أو ان الوفاء

.....

الدكتور محمد أحمد خلف الله

الكتاب : الفن القصصي في القرآن

أولا : المؤلف

هو الدكتور محمد أحمد خلف الله ، أما حياته الشخصية فلا أعرف عنها شيئا ولم أجد لها ذكرا ، أما فكرة ونتاج قلمه فله عدد من المؤلفات والمقالات

وهو من الذين أرادوا الشهرة في فترة كان الالحاد أقصر طريق إليها فأصدر عددا من المؤلفات حشاها به حشوا

كان أولها - كما سيأتي - كتاب الفن القصصي في القرآن الكريم - زعم فيه أن قصص القرآن أساطير وأنها لا تلتزم الحقائق وغير واقعة وغير ذلك . . .

ومنها القرآن ومشكلات حياتنا المعاصرة ، وكتاب القرآن والدولة وكتاب هكذا بينى الاسلام وشارك في كتاب " محمد والقوى المضادة " وغير ذلك من كتب الدراسات الأدبية واللغوية والتراجم

ولا أريد أن أسترسل في الحديث عن الرجل فليس هذا مقام محاكمة أو كشف زيف فكره وإنما هو مقام التعريف الموجز والاشارة السريعة وكم وقفت مبتسما - ابتسامة أسى وأسف - وأنا أقرأ مقالة سطرها دكتور فاضل نقد فيها الكتاب الأخير للدكتور محمد أحمد خلف الله : " الأسس القرآنية للتقدم " ويبدو أن الدكتور الفاضل لا يعرف كثيرا الدكتور محمد أو أنه يحسن الظن أكثر من حد القبول ذلكم أنه يقف أمام عبارة من عبارات الدكتور خلف الله المألوفة ويعتقد أنها من أخطاء المطبعة !! العبارة تلك تقول " وهنا

سؤال يطرح نفسه : ألا يزال العقل البشرى مقيدا بسلطان الله الواحد الأحد الذى يدعو الاسلام الى عبادة واتقائه غضبه " ؟ " وينقل القارىء الى اجابة من تفسير المنار ولكنه قبل أن ينقله الى هذه الاجابة يقول " وأنا حين أنقل عن هذا الكتاب انما أرجو أن يطمئن القارىء الى الأساس الذى بني عليه التوحيد ، وكيف كان تحريرا للعقل البشرى من سلطة الآلهة بما فيهم الله " (١) ؟ !!

أرايتم الحاد كذا ؟ ! لو نسب هذه الفكرة لنفسه لعد هذا الحاد وأي الحاد فكيف وهو يزعم أن هذا هو الأساس الذى يبنى عليه التوحيد في الدين الاسلامي ؟ !!

قلت انى ابتسمت أسى وأسف عند وصف الدكتور الفاضل كاتب النقد لهذا بأن المطبعة وحدها قد تكون مسؤولة عن هذا الارتباك الفكرى والأسلوبى الذى يجسد اتجاهها غير اسلامي بالتأكيد (١) ولو قرأ بقية مؤلفاته لوجد فيها نحو هذا وأشد منه

قصدت من هذا الذى أوردته أن المؤلف لا يزال حتى آخر ما صدر من مؤلفاته يبيث الالحاد وما زال بعض المخدوعين يعدده مفكرا اسلاميا ؟ !

نسأل الله له الهداية وأن يفتح قلبه للحق وأن يجعله سيفا على الباطل فيما بقي من عمره

(١) مجلة الامه القطريه (العدد الخمسون صفر ١٤٠٥ ص ١٥ مقال ، "الاسس القرآنية للتقدم وحوار حول بعض مقولاته " للدكتور محمد أحمد العزب والنص المنقول عن كتاب " الاسس القرآنية للتقدم " ص ٣٦

الكتاب :

عانت مصر وعانى علماءها في القرن الرابع عشر الهجرى
معاناة شديدة من فئة جعلت سبيل الالحاد وسيلة لاشتهارها
وباعت دينها بدنياها

عانت دعوة قاسم أمين حين أصدر كتابيه " تحرير المرأة " و " المرأه
الجديدة " وكانت ضجة ثم سكون كسكون المقابر !!

وكانت دعوى طه حسين " فى الشعر الجاهلي " مزمارا من
مزامير المستشرقين وجاء من بعده علي عبد الرازق
وأظهر كتابه - الاسلام وأصول الحكم - ثم المدعو محمود أبو ريقة
واضواءه بل ظلماته على السنة المحمدية وفى عام
١٩٤٧ كتب محمد أحمد خلف الله كتابه " الفن القصصي
فى القرآن الكريم " وبعده بسنتين اثنتين أصدر ^{محمد} محمود أبو
زيد تفسيره " الهداية والعرفان فى تفسير القرآن بالقرآن "
بتنظيم عجيب وترتيب دقيق كأنه مرسوم توالى هذه المؤلفات
وتتابعت ما أن يسترد العلماء الصالحون أنفاسهم فى الرد على
ملحد حتى يكون الآخر قد نشر ونثر ما فى جعبته فيبدأ أولئك
المعركة من جديد وهكذا دواليك .

وبين ملحد وآخر يخرج من لا يقل عنهم خبثا بما يشغل المجاهدين
ويقت من عضدهم وهم كثير وكثير منهم المسلم نسبا ومنهم النصرانى
عقيدة ، ومنهم من تاب من بعد ومنهم من ينتظر
وهذا الكتاب اذا له قصة نحكيها قبل أن ندرسه

قصة الكتاب :-

في سنة ١٩٤٧ م قدم محمد احمد خلف الله ، الطالب في كلية الآداب بجامعة فؤاد الاول رسالة للحصول على الدكتوراة عنوانها :-

" الفن القصصي في القرآن الكريم "

قرر فيها أن القرآن أساطير وأن ورود الخبر في القرآن الكريم لا يقتضي وقوعه ، ويخشى على القرآن من مقارنة أخباره بحقائق التاريخ ويقول ان التاريخ ليس من مقاصد القرآن أن التمسك به خطر أي خطر على النبي عليه السلام وعلى القرآن بل هو جدير بأن يدفع الناس الى الكفر بالقرآن كما كفروا من قبل بالتوراة وأن المعانى التاريخية ليست مما بلغ على أنه دين يتبع وليست من مقاصد القرآن في شيء ومن هنا أهمل القرآن مقومات التاريخ من زمان ومكان وترتيب للأحداث ^(١) ويقول إنا لا نتحرج من القول بأن القرآن أساطير لأننا في ذلك لا نقول قولاً يعارض نصاً من نصوص القرآن ^(٢) وقال وقال

وقامت الاحتجاجات وكتبت الرود ورفضت البرقيات للمسؤولين ورفضت رساله وطالب أولئك بتطبيق أحكام الردة على خلف الله ولكن

وكان ما كان . . . يقوم الفكيهة بعد الفينة من سولت له نفسه بالخروج على الاسلام في ناحيه من نواحيه الاعتقادية فيثور احتجاجاً عليه فئة من الغيورين على دينهم ويحميه منهم

(١) الفن القصصي في القرآن الكريم : د محمد احمد خلف الله ص ٤٢ ، ٤٤

(٢) المرجع السابق : ص ١٧٩ - ١٨٠

رجال من الوزراء وفى مستقبل قريب ينال الرجل مكافأة
خروجية أضعاف ما كان له من المراكز والمناصب ويكون
هذا المصير غبطة لآخرين افتتكر المهزلة في أيام أخرى
على مسائل أخرى مماثلة (١)

أما مصير الكتاب فقد طبع طبعته الأولى سنة ١٩٥٣ ثم توالى
طبعاته بعد ذلك سنة ١٩٥٧ سنة ١٩٦٥ سنة ١٩٧٢ وأنا
لله . وأنا اليه راجعون

منهجه:

نحمد الله ان المؤلف بين بنفيسه سبب سلوكه الدراسة الأدبية
ومنهجه فيها

أما الأول فقال عنه " أما الأسباب التي جعلتني أعنى بالدراسة
الأدبية وأجعل من القرآن ميدان أبحاثي ، فترجع قبل كل شيء
الى نوع من الاستهواء عمل على اذاعته في نفسى درس أستاذنا
الخولي عن المنهج الأدبي في فهم القرآن وتفسيره فقد كانت
تلك اللفتات تستقر في نفسى استقرارا يجعلني أتخيل تمثل هذا
المنهج والسير عليه في تفسير كتاب الله " (٢)

أما صله أمين الخولي بالرسالة بعد ذلك وحين قامت الاعتراضات
عليها فقد أعلنها بنفسه حين قال " فلولم يبق في مصر والشرق
أحد يقول انه حق لقلت وحدي وأنا أقذف في النار انه حق حق " (٣)

(١) موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعبادة المرسلين : مصطفى

صبرى ج ١ ص ٣١٨

(٢) الفن القصصي في القرآن الكريم : د محمد احمد خلف الله ص ١

(٣) المرجع السابق : ص : ح

أما صلته بالرسالة وصاحبها قبل ذلك فقد بيّنها الاستاذ محمد سيد كيلاني حين تحدث عن الاستاذ أمين الخولي وقال " بأنه كان يدرس مادتي التفسير والبلاغة وظل أمره مستورا إلى سنة ١٩٤٧ لا يدري أحد في خارج الكلية ما يلقنه أمين لتلاميذه من أنواع الكفر والضلال " (١)

وأما الثاني - أعني منهجه في التفسير فقد عدد خطواته حيث قال :-

أولا : جمع النصوص :

إذا كانت معرفة نص ما تستلزم حتما وجوده كانت (٢) أولى الخطوات من غير شك هي الوقوف على النصوص وجمعها ، واني لا اعترف بأنني لم أجيد موضوعي (٣) هذا من حيث هذه الناحية عناء يذكر ذلك لأن القصص القرآني موجود في القرآن ومن هنا لم يكن عملي في هذه المرحلة الا الرجوع الى المصحف

ثانيا : الترتيب التاريخي للنصوص

وهذا الترتيب يدل الباحثين على التطور في الفنون والآداب ، ويستوى في ذلك عند هم التطور الداخلي ، والتطور الخارجي . ونقصد بالأول أن يدلنا هذا الترتيب على تطور ذوق الكاتب وأفكاره أو ميادينه الفنيّة ونشاطه النفسي . ونقصد بالثاني : دلالة النص على التطور العام لتاريخ الآداب والفنون من حيث صلته بالسابق واللاحق والدور الذي لعبه النص في الحياة الادبيه ومجراها العام .

(١) ذيل الملل والنحل : محمد سيد كيلاني ص ٨٦-٨٧

(٢) لعل العبارة " فقد كانت " أو " فان أولى . . "

(٣) لعل العبارة " في موضوعي "

وانى لأ عترف هنا أيضا بأن هذه الخطوة - وان تكن أشق من الأولى وأعسر - إلا أنى لم أبذل فيها جهدا يذكر ذلك لأنى اعتمدت فى هذا الترتيب التاريخي للقصص القرآنى على المصحف الملكي^(١) وان كنت أعلم انه ليس بالترتيب التاريخي الدقيق . لكن ليس في الامكان أبدع مما كان

وعلى كل فقد أفادنى هذا الترتيب التاريخي فيما يخص القصص القرآنى بدراسة التطور الداخلي لهذا القصص . .^(٢)

أما التطور الخارجى فقد حالت بينى وبينه عقبات منها أن الوقوف على النصوص السابقة للقصص القرآنى من أقاصيص الجاهليين لا سبيل اليها ومنها أن صلة القصص القرآنى باللاحق يتوقف أولا على صلتها بالمعاصر من أحاديث (الرسول صلى الله عليه وسلم) وهذه من الأمور التى سأفرغ لها بعد بحثي هذا ان شاء الله

وقفت من هذه الخطوة اذا عند الفائدة التى نجنيها من التطور الداخلى - وحسبى هذا في هذا الموضوع

ثالثا : فهم النصوص

وهنا لا بد من التفرقة بين نوعين من الفهم :-
الأول : الحرفي : وهو الذى يقوم على دراسة معنى الألفاظ والتراكيب والجمال ، كما يقوم على توضيح العلاقات الغامضة والاشارات التاريخية

(١) لا اعرف " المصحف الملكي هذا ، ولا " المكى " ايضا ان كان في العبارة خطأ مطبعي
(٢) سبق أن ذكر المؤلف أنه يعنى بالتطور الداخلى : تطور ذوق الكاتب وأفكاره أو ميادينه الفنية ونشاطه الحسى النفسى " فهل يطلب هذا في كلام الله عز شأنه ؟ !

وكل تلك أمور تتوقف الى حد كبير على ثقافة الدارس - تلك الثقافة التي شرطها بالنسبة لموضوعنا هذا المفسرون في المفسر والتي حددت ميادينها الاصوليون في مقدمات كتبهم ،
وانى لا اعترف هنا بأنى قد وقفت على الكثير من هذه الأمور من كتب التفسير المختلفة وكان الجهد الذى أبدله يقوم على المقارنه والترجيح والوقوف عند بعض اللمسات التى تفتح آفاقا واسعة أو تصحيح أخطاء بعض الأقدمين .

الثاني : - الفهم الأدبى . وهو ذلك الفهم الذى يقوم على تحديد ما في النص من قيم عقلية وعاطفية وفنية ، فنقف على ما في النص من صور وآراء ونبحث عما خلف هذه الصور وهذه الآراء من أخرى لم يشعر صاحب النص بالحاجة الى التعبير عنها . اما لأنه كان يفهمها في نفسه ، واما لأن المعاصرين له كانوا يفهمونها عنه ، واعتقد أن هذا الصنيع في الفهم الأدبى كان جديدا بالنسبة لموضوعي هذا اللهم الا في القيل النادر

رابعاً : التقسيم والتبويب

ثم قال المؤلف " عند ما يصل الباحث الى هذا الحد من الفهم الأدبى يكون قد أقام من العلاقات ما تسمح له بأن يقسم بحثه أبواباً وفصولاً يقيم كل واحد منها على نوع من العلاقات التى يوحى بها المنهج أو القصد من الدراسة . فقد تجمع النصوص لما بينها من علاقات في الموضوع ، وقد تجمع لما بينها من علاقات في الصياغة وقد تجمع لما يتسلط عليها من مقاصد وأغراض

خامساً : الأصالة والتقليد

وهذه مسألة من أهم المسائل عند الدارسين لحياة العلوم والفنون وعند

من يريدون الفهم الدقيق العميق للمسائل العلمية والأدبية ذلك لأنها هي التي ستدلنا على المواد التي تكون منها النص وعلى كيفية تكوينه وعلى أي منها من عند الأديب وأيها سبق إليه لقد درست هذه المسائل وكانت لها نتائج قيمة . بعضها يخص اثبات التجديدها في الحياة المكية الأدبية - وذلك كمسألة القصة الاسطورية ووجودها في القرآن الكريم ، وبعضها الآخر يخص القوة القادرة على تحويل المواد من تاريخية الى أدبية أو الى قصصية حتى لتصبح سحرا من السحر أو أشد تلك هي الخطوات المنهجية التي سرت عليها والتي انتهت بي الى هذا البحث" (١)

ولا شك ان هذه الخطوات التي قدمها المؤلف بنفسه هي قواعد التفسير البياني في القرآن الكريم كما وضعها أستاذة أمين الخولي اذا فلم يأت الدكتور خلف الله بما هو جديد في التأصيل وان جاء بما هو جديد في الانتاج

ومادام الأمر كذلك فلا أظن الامر يحتاج الى أن أضرب أمثلة من تفسيره استخرج لها منهجه ، بل يحتاج الى التمثيل فحسب

أمثله من تفسيره

ليس من السهل على باحث مثلي أن يتجه الى دراسة موضوعية (ذات موضوع واحد) ثم يقتطف منها أمثلة (وافية) في سطور قليلة كيف يفعل هذا وصاحب الدراسة لا يقرر الفكرة الواحدة الا في فصل كامل ، لا ريب عليّ بعد هذا اذا ما جاء ضرب الأمثلة هنا مختصرا " كما وكيفا " فلم أوجه العناية لهذا الكتاب استيفاء دراسة ولا استيفاء نقد وان كنت أبذل وسعي في أن آتي بشيء من هذا وذاك

واذا كان الأمر كذلك فاني أرى لزاما أن أبين مدلول كلمتين قبل

(١) الفن القصصي في القرآن الكريم : د محمد احمد خلف الله ص ١٣-١٧ باختصار

أن الحج في ظلمات هذا الكتاب وصاحبه أما أولا ههما فمهي
" الحرية " وأما الثانية فكلمة حملها زورا عنوان الكتاب " الفن "

اذكر بيانها هنا - وان كان مكان ذلك - آخر الدراسة كـ
جرت عادتي بذلك لأن الأمر هنا يختلف . . . هنا ظلمة بل ظلمات
وهنا عد و متربص يتحين غفلة فكان حمل السلاح واجبا وتأخيرته تقصيرا

اما الحرية - كما أرى - فكلمة ذات جانبيين جانب أصيل وجانب
زائف ونحن في عصرنا هذا نعاني من جانبيها الزائف

لا أريد بالجانب الزائف جانب استعمالها المشلول فحسب تمس
بعض المجلات والجرائد الذات الالهية فيقال . . . حرية وحين تمس
من بعيد بعض الذوات تقوم الدنيا ولا تقعد لا أريد هـذا
الجانب فحسب بل أريد جانبا زائفا آخر هو الأصل فيها
ذلكم الفهم السيء " لمدلول " الحرية . فكم من جريمة ارتكبت
باسم الحرية وكم من ظلم ارتكب باسم الحرية وكم من رق
ارتكب باسم الحرية بالها من حرية ؟ !

مدلوله الحرية الصحيح لا يعني شيوعية امتلاكها وحوزها الا لمن
أقام شروطها والا فلا حرية . . .

الحرية الأصلية تحمل معها مبرراتها وحججها القوية التي تخوض بها
في عباب البحار لا تخاف دركا ولا تخشى غرقا أما الحرية الزائفة
فهى التي لا تقوم على سند ولا على برهان الا سند الهوى وانحراف الفكر
عن جادة الصواب

وعلى درجات هذه الحرية يتربع هذا الكتاب " الفن القصصي
في القرآن الكريم " لأنه لا يحمل من الأدلة الصحيحة والبراهين القوية
ما يؤهل له للتحدث باسم الحرية الاصيلية .

لست - والحمد لله - ممن يلقى ^{بالمعنى} التهمة جزافا ولكنى رأيت
شخصا ينظر في كتاب الله القرآن الكريم ثم بغير حجة ولا برهان
يجعله متهما ويحاكمه بغير حجة ولا برهان الى كتب محرفة
وتاريخ محرف ثم يحكم بغير حجة ولا برهان للتاني على الأول .

دعوا - جدلا - ثبوت سلامة القرآن وتحريف التوراة والانجيل
وسلموا كذلك - انهما على درجة واحدة - وحاشا - فكيف تأتى
له أن يحكم لهذا على ذاك أو لذاك على هذا ان لم يكن صاحب
هوى أو انحراف فكر ؟ !

كان عليه قبل أن يحاكم بينهما أن يأتى بالدلالة على صحة
وثبوت أحدهما وتحريف الآخر ثم بعد ذلك يجعل من الصحيح حكما
ومن المحرف متهما أما اذا ارتد اليه طرفه وهو حسير ولم يستطع
اثبات هذا ولا ذاك فليحذر استعمال الحرية فانها ستكون حينئذ حادا
في ظهره

أما الكلمة الثانية والتي استعملها بغير حق فكلمة " الفن " فـ في
عنوان كتابه وقد بين هذا من قبلي من رجوله الشهادة - سيد قطب
رحمه الله تعالى حيث قال " ويزيغ أناس فيزعمون أن هنالك خلقا
للحوادث أو تصرفا فيها يقصد به الى مجرد الفن - بمعنى التزييق الذى
لا يتقيد بواقع " ثم جلا رحمه الله تعالى الصواب فقال : " والقرآن
كتاب دعوة ، ودستور نظام ، ومنهج حياة ، لا كتاب رواية ولا تسلية
ولا تاريخ ، وفي سياق الدعوة يجيء القصص المختار بالقدر
وبالطريقة التى تناسب الجو والسياق ، وتحقق الجمال الفنى
الصادق الذى لا يعتمد على الخلق والتزييق ، ولكن يعتمد على ابداع العرض
وقوة الحق ، وجمال الأداء " (١)

(١) في ظلال القرآن : سيد قطب ج١ ص ٥٥

إذا فالفن عند سيد رحمة الله تعالى هو ابداع العرض و قوة
الحق وجمال الأداء ومعناه عند ذاك التزويق الذى لا يتقيد بواقع
وفى الحقيقة أنا لا نجد فى قواميس اللغة الا أن " الفن : واحد
الفنون وهى الانواع ، والأ فانيين : الأساليب وهى أجناس الكلام وطريقة" (١)
ولا نجزم أن اللغة مع هذا أو مع ذاك لكننا نجزم أن قدسية القرآن الكريم
تشكل أقوى سياج عند المؤمن يمنع وصف الفن فيه بالتزويق الذى
لا يتقيد بالواقع

لكن هذا المفهوم للفن هو الذى قصده الدكتور محمد أحمد خلف الله
بل ولم يجد كلمة ثماثل الكذب والاختلاق والأسطورة ومخالفة
الواقع . . . الخ الا كلمة الفن فاخترها ليزيف بها كتابه ويدلس
بها

أقول هذا - أولا - حتى يدرك القارئ مدى شرعية " الحرية" العلمية
التي تزعّم امتلاكها خلف الله وأمثاله ويدرك أيضا مفهوم الفن عنده -
ليس عليه بعد هذا أن يخوض ويأى فى لغو هذا الكتاب وباطله فالى
ذاك

الحرية الفنية:

ويقصد بها مسألة الخلق الفني أى أن للقاص أن يختار بعض
الأحداث التاريخية دون بعض وأن يهمل مقومات التاريخ
من زمان ومكان وترتيب للأحداث . . . والقرب أو البعد من الواقع
التاريخي وبعبارة أخرى تحرى الصدق والصحة أو المجاوزة عن هذا
التحرى (٢) يعني اختراع أو اختلاق الأحداث !!

(١) الصحاح : الجوهري ج ٦ ص ٢١٢٧

(٢) الفن القصصي في القرآن الكريم : د محمد أحمد خلف الله ص ٤٧

وزعم أنه قام - حسب المنهج الأدبي في التفسير باستقراء قصص القرآن لمعرفة وجود هذه الظاهره " الحرية الفنية " فيه أم لا وتوصل الى أنها موجوده قال : - " يدلنا الاستقراء على أن ظواهر كثيرة من ظاهرات الحرية الفنية توجد في القرآن الكريم " (١)

ويعدد الدكتور خلف الله ما يحسبه أدلة لذلك ومنها : -
" اهمال القرآن حين يقص لمقومات التاريخ من زمان ومكان " (١)

ونحن لا ننكر أن القرآن كثيرا ما يهمل في قصصه الزمان والمكان لكننا نرفض كل الرض ان يكون اهمال ذلك لاختلاق القصة فليس بين هذا وذاك هذا التلازم الا عند من عدم الحجة .

وقل مثل ذلك فيما زعمه من أدلة أخرى عدّ منها " اختيار القرآن لبعض الاحداث دون بعض فلم يعن القرآن بتصوير الأحداث الدائرة حول شخص أو الحاصلة في أمة تصويرا تاما كاملا " (٢)

والغريب في هذا أن الدكتور خلف الله نفسه يعترف بأن القرآن كان يكتفي باختيار ما يساعده على الوصول الى أغراضه - أي ما يلفت الذهن الى مكان العظة وموطن الهدايه " (٢)
وما دام المؤلف يعرف أن هذا غرض القرآن من القصة فكيف يرتبب على اهمال القرآن لا حاجه الى الغرض به - أن هذا من الحرية الفنية التي تدل على اختراع القصة أو الحدث ؟ !

ومما عده كذلك اهمال القرآن الترتيب الزمني أو الطبيعي في ايراد الأحداث وتصويرها " (٢) وما قلناه هناك نقوله هنا .

(١) المرجع السابق : ص ٥١

(٢) المرجع السابق : ص ٥١

وعُدَّ منها اسناد القرآن بعض الاحداث لأناس بأعينهم ———
في موطن ثم اسناده نفس الأحداث لغير الأشخاص في موطن آخر
وضرب مثلاً " ومن ذلك قوله تعالى في سورة الأعراف " قال المــــــلا
من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم " (١) اذ نراه في سورة
الشعراء مقولاً على لسان فرعون نفسه " قال للملاء حوله ان هذا لساحر
عليم " (٢) وكذلك نجد في قصة ابراهيم من سورة هود ان البشرى بالغلام
كانت لامراته بينما نجد البشرى لابراهيم في سورة الحجر وفي
سورة الذاريات " (٣)

وما رأيت من يجادل في عقيم مثله !! فما المانع في القصة أن
يكون فرعون وقومه قد تبادلوا هذا القول في مجلسهم وقالوا بــــه
جميعاً وهم في هرجهم ومرجهم وما المانع في أن يكون فرعون
قال ذلك وردده ملوؤه من بعده وهل نسبة قول الى شخصاً و
طائفة تدل على اختصاصهم به دون سواهم خذ مثلاً أوسع
حدثنا القرآن عن مواقف الأمم من أنبيائهم " كذلك ما أتى الذين
من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون أتواصوا به بل هم
قوم طاغون " (٤) فاذا كانت الأمم تتفق على قول واحد ألا يتفق ملأ
وملكهم على قول واحد يردده كل واحد منهم ، أى اختلاف أو أى اختلاق
في هذا . كبرت كلمة تخرج من افواههم .

(١) سورة الاعراف : ١٩

(٢) سورة الشعراء : ٤٣ (والمؤسف أن المؤلف أخطأ في الآيتين فكتب
(لساحر عظيم) !!)

(٣) الفن القصصي في القرآن الكريم : د محمد أحمد خلف الله ص ٥٢

(٤) سورة الذاريات : ٥٢ - ٥٣

ولا مانع أيضا أن تكون الملائكة قد بشرت ابراهيم وامرأته
معا باسحاق ، أو أن تكون بشرت أحدهما أولا ثم الآخر ثانيًا
ثم جاء القرآن يخبر ببشراهم لابراهيم في سورة ولا مرأته في
سورة أخرى وهل يعد هذا دليلا على الاختلاق ؟ !

واستدل أيضا لدعواه الزائفه بانطاق القرآن في قصصه الشخصي
الواحد في الموقف الواحد بعبارات مختلفة حين يكرر القصة
تصويره للموقف الواحد بعبارات مختلفة وضرب مثلا للأول تصوير
القرآن لموقف الاله من موسى حين رؤيته النار فقد نودي في
سورة النمل " أن بورك في النار ومن حولها " (١) وفي
سورة القصص " أن يا موسى انى أنا الله رب العالمين " (٢) وفي
سورة طه " انى أنا ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى " (٣) (٤)

يقول هذا وهو الذى لم يجف مداد قلمه حيث قال قبل سطور " ان
القرآن لم يعن بتصوير الاحداث الدائرة حول شخص أو الحاصله
في أمة تصويرا كاملا " (٥) اذا كان قال هذا قبل أسطر فكيف
يستغرب أن يذكر في سورة النمل بعض نداء الله سبحانه وتعالى
لنبيه موسى عليه السلام وفي طه بعضه الآخر وفي القصص
بعضه الآخر ايضا لم لا يكون هذا وأكثر منه هو حديث الله
سبحانه لموسى عليه السلام في ذلك الموقف ذكر في كل سورة بعضه ! !

(١) سورة النمل : ٨

(٢) سورة القصص : ٣٠

(٣) سورة طه : ١٢

(٤) الفن القصصي : د / محمد أحمد خلف الله ص ٥٢ - ٥٣

(٥) المرجع السابق : ص ٥١

وضرب مثلاً للتأني بقول الله تعالى لموسى عليه السلام "خذها ولا تخف" (١) ومرة أخرى "يا موسى لا تخف انى لا يخاف لدى المرسلون" (٢) ولا شك أن القول في هذا كالقول فيما سبقه، لو كان يفقه ؟! وضرب مثلاً آخر بتغيير القرآن بالرجفه مرة وبالصيحة أخرى والطاغية في غيرهما وتعبيرة في انشقاق الحجر عن الماء في قصة موسى فانفجرت مرة (٣) وانجست أخرى

والغريب أن هذا الذى يعده هذا الدكتور تناقضاً واختلافاً ؟! يعده العلماء حقاً وجهاً من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم هو التكرار في القصص القرآني حيث تتكرر القصة الواحدة بالفاظ وأساليب متعددة تحقق في كل مقام أسلوباً يتسق مع أسلوب القصة ونظمها من غير تناف ولا تجاف بل ان بينها من التناسق والترابط ما دعا علماء البلاغة الى التحلق جثوا على الركب للتزود من هذه الأساليب الباهرة والتسلح بها في ميادينهم و الحديث عن هذه الشبهات والترهات التي قذفها الدكتور خلف الله طويل لا تخرج كلها عن دائرة قصور الفهم ان أحسننا به الظن كل هذه الشبهات التي جاء بها أراد بها تقرير الحرية الفنية في القرآن الكريم وفهم أن وجود الحرية الفنية يعنى الاختلاق للأحداث والوقائع

(١) سورة طه : ٢١

(٢) سورة النمل : ١٠

(٣) الفن القصصي : د / محمد أحمد خلف الله ص ٥٣

رأيي

والذى يدعو - في - لكل هذا الحرص على اثبات الحرية الفنية في القرآن بهذا المفهوم الخاص عنده أن كل ما الصق به بالقرآن من شبهات واتهامات باطلة لا يثبت الا بهذا والا لما أصبح له من مستمسك

حيث رتب على الحرية الفنية في القرآن أمورا عديده لا ،
يسعنا أن نذكرها مفصلة وهى اجمالا :

١ - ان القرآن أساطير

تماما كما قال المشركون " وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملئ
عليه بكرة وأصيلا " (١)

٢ - ان القرآن يجارى المعتقدات الجاهلية والتقاليد العربية
وليس على الحقيقة العقلية والواقع العملى (٢)

٣ - ان القرآن يجارى عقائد أهل الكتاب !
فمن ذلك التردد (!!) في بيان عدد أهل الكهف لأن القرآن لم
يرد ذكر الحقيقة وانما أراد مجارة اليهود لأن اليهود اختلفوا
فى أمر العدد فنزل القرآن بهذه الأقوال حتى يكون التصديق من المشركين
بأن محمدا عليه السلام نبي ومثله عدد السنين التى لبثوها فى
الكهف وغير ذلك من الأحداث (٣)

٤ - أن أخبار القرآن قابلة للنسخ (٤)

٥ - أن فى القرآن أخطاء تاريخية (٥)

٦ - انكار الوحدة القصصية فى القرآن الكريم

(١) سورة الفرقان : ٥

(٢) الفن القصصي : د / محمد أحمد خلف الله ص ٥٧

(٣) المرجع السابق : ص ٥٤ - ٥٥

(٤) المرجع السابق : ص ٦٠

(٥) المرجع السابق : ص ٦١

ولأن القصص عنده متضاربة مختلفة فانه لا ينظر للقصة المتكررة
فى القرآن على أنها قصة واحدة بل " على أنها أقاصيص
مستقلة وليست من قبيل الأجزاء فهي عرض أدبي للحادث تختلف
ألوانه باختلاف أغراضه (٢)

خلاصة الأمر أن المؤلف أراد أن يرد على شبهات المستشرقين
والملاحدة فسلم لهم كل ما قالوا وزاد عليه وزعم أن هذا كله
لا يمس من قيمة القرآن ولا من مكانته لان القرآن كتاب هداية
وارشاد لا كتاب تأريخ وعلى هذا فله أن يسلك الحرية الفنية
فيخترع من الاحداث ما يخترع وكأن القرآن كلام بشر عجز عن الاقناع والحجة
بالواقع فجنح الى الخيال وعجزت مداركه عن الحق فمالت
الى الاختلاق سبحانه هذا بهتان عظيم

ولا شك أن هذا أمر خطير يكشف ضعف عقيدة صاحبها وأنه أراد
أن يعرف فجاء بما لا يعرف وباع دينه بدينه ، أدعو الله
سبحانه أن يهديه ويمن عليه بالتوبة والعودة الى الاسلام

وكما قلت فلست أقصد من هذا الحديث عن هذا الكتاب الدراسة
المستوعبة له ولكنى قصدت بيان نوع من التفاسير الأدبية
التي سلك صاحبها الاستقراء لنوع من آيات القرآن الكريم هي آيات
القصص فأخطأ الطريق وضل السبيل

رأى في هذا المنهج

كأى منهج في التفسير لا شك أن لهذا اللون من التفسير محاسنه وله عيوبه . ولكن ذكرنا في بعض أسسه وقواعده ما قد نحسبه خلا فانه بحسابنا يغنى عن اعادته كرة أخرى في هذا الموضوع

ومع هذا فأنى مورد هنا ما لم أورد هناك وسأرتبها هنا حسب ترتيبها المنهجي فمن ذلك مثلا

أولا التفسير الموضوعي :

ولنا في دعوة الأستاذ أمين الى التفسير الموضوعي أكثر من وقفه . . . أولها أن التفسير الأدبي وهو يدعو الى سلوك سبيل التفسير الموضوعي لا يقدم خطة مثالية لسلوكه وانما يكتفى بابرار محاسن التفسير الموضوعي دون أن يخطو الى رسم خطوات السير فيه

واذا نظرنا الى الدراسات الأدبية التطبيقية لهذا المنهج وجدناها تسلك التفسير الموضوعي حقيقة أو اعتقادا ووجدناها ايضا لا تلتزم موضوعا واحدا بعينه فيكتب أحدهم مثلا عن قصص القرآن وآخر عن جدله وآخر عن أمثاله وأقسامه وآخر عن الأموال وعن القادة . . . الرسل أو عن السلام فى الاسلام أو عن الدولة ونظام الحكم فى الاسلام وغير ذلك من الموضوعات ولا شك أن هذا التفاوت والتباين في والتعدد في الموضوعات يخدم المفسر الفرد في اختيار ما يلائم رغبته فيختار من هذا البحر من الموضوعات ما يناسب رغبته لكن وهنا المحك كيف ستختار أو تكتب هيئة أو منظمة أو لجنة تسعى

لتفسير القرآن الكريم كله - اكرر كله - تفسيراً موضوعياً . . . الملاءمة الشخصية والمناسبة للربغة الفردية مفقودة فيها وهي مجموعة أفراد ؟! ولا يبقى من سبيل الا سبيل واحد هو حصر الموضوعات التي تناولها القرآن الكريم وجاء بالحلول الصحيحة لها نهنا يتسع الباب ولا أظن أن في قدرة أنسان أو لجنة أو هيئة أن تحصر كل هذه الموضوعات والقضايا التي عالجها القرآن الكريم لأن من الآيات وهي محدودة معدودة ما يعالج قضايا وموضوعات شتى . . . فتبقى كالدواء الواحد الذي يعالج به ألف مرض ومرض أو تبقى كالميزان الذي يوزن به ألف موزون وموزون فهل يستطيع هؤلاء أن يحصروا تلك الموضوعات التي عالجتها تلك الآيات المحدودة وإذا ما تجاوزوا هل سيفعلون في آيات أخرى ثم أخرى ثم أخرى لست أقول هذا تعجيزاً ولا ، تشبيطاً عن سلوك التفسير الموضوعي لكني أردت أن أبين .

ان لا ننتظر تفسيراً موضوعياً كاملاً للقرآن الكريم لأنه - في اعتقادي - ليس في قدرة أحد حصر كل الموضوعات التي عالجها القرآن في هذه الحياة .

وأردت أيضاً أن أبين ان دعاة المنهج الأدبي في التفسير لم يرسموا عريضة ولا دقيقة لحصر هذه الموضوعات ولو من ناحية أبوابها العامة الواسعة الشاملة . وهذا ولا شك يعد قصوراً في تأسيس المنهج أحبت الإشارة اليه لتلافيه ما أمكن

هذا من ناحية المنهجية في التفسير الموضوعي وموقف دعاة التفسير الأدبي منها وإذا ما نظرنا نظرة أخرى هي أعمق من الأولى وتساءلنا عن الدافع لدعاة التفسير الأدبي الى التزام التفسير

الموضوعي وجدنا أنهم يفعلون ذلك لأمر عددت منها ثلاثه
أولها : اعتقادهم ان طريقة السلف في تفسيره مرتبلا لا تمكن من
الفهم الدقيق والادراك الصحيح لمعانيه وأغراضه

وسبق لي ايراد هذا الاعتقاد عندهم وردت عليه هناك باجاز
ثانيها: أن دعاة التفسير الأدبي أرادوا أن يتلافوا بالتفسير
الموضوعي اللون المذهبي في التفسير أو الانجراف به من تفسير
الى مباحث في الفقه أو الاسرائيليات أو النحو أو العلوم التجريبية
أو غير ذلك مما انتشر في التفاسير القديمة

وثالثها : أراد دعاة المنهج الأدبي من الدعوة الى التفسير الموضوعي والتحذير من التناول المتفرق للموضوع الواحد مما يشتت الذهن فيه ولا يوءدى الى الفهم الكامل لعلاج القرآن الكريم واستحضارة كاملا

هذه في اعتقادي أهم ثلاثة أمور أرادوا بدعوتهم للتفكير
الموضوعي أن لا يقع فيها المفسر فهل أصابوا الحق في ذلك ؟ !

﴿ أما أولها فسبق بيان الرد عليهم فيما وضعوا فيه تفاسير السلف
فقد بينت هناك أن السلف وإن لم يتناولوا التفسير الموضوعي تطبيقا
فإنهم قد استفادوا منه نظريا فلا يفسر أحدهم آية إلا ويستحضر أن في
ذهنه أو في مقاله الآيات الأخرى المشابهة ويزيدون أيضا
أنهم يستحضرون معها ما هو خارج عن كلماتها أعني بذلك السنة
النبوية وهذا هو مضمون التفسير الموضوعي

أما ثانيها فاني أعتقد أن التفسير الموضوعي والالتزام به ليس من التلون المذهبي والانحراف في
هو الذي يمنع التفسير عن الحق الى الضلال والذي يمنع من ذلك . انما هو
شيء بعيد عن القواعد المنهجية والأطر المحبوبة وانما يكمن في سويداء
القلب

والواقع - كما يقول الدكتور الفاضل محمد ابراهيم شريف -
ان التفسير القرآني حديثا لم يشهد ما خرج به عن حده وطبيعته
الا من أشهر محاولات الاتجاه الادبي تمسكا والتزاما وعصمة
بالموضوعية ولم يشهد تاريخ التفسير على طوله ما يزيل يقين الاطمئنان
الى معطيات النص القرآني التاريخية مثلما شهد من هذه
المحاولة . . . (١)

ونحمد الله ان هذه المحاولة لم يجف مداد ^{قلبي} بعد من الحديث
عنها تلکم هي " الفن القصصي في القرآن الكريم " للدكتور محمد أحمد
خلف الله

أما ^{فروا} ثالثها فلقد وقع دعاة التفسير الأدبي فيما قروا منه ووقعوا
في نفس ^{الخطأ} الحضرة التي حذروا منها

فاذا كان دعاة المنهج الأدبي قد حذروا من التفسير المرتبب
لأنه يوءى الى التناول المفرق للموضوع الواحد حسب وروده في
السور مما يشتت ذهن - فانهم قد تناولوا بالتفسير موضوعات
ذات شعب شتت تناولهم لتلك الشعب الذهن أكثر مما شتته أولئك

وتفصيل ذلك وبيانه يطول ولعل في ضرب المثال ما يغني
عن كثير من المقال واذا كان الأمر كذلك فانا نضرب المثل بالدراسة
الموضوعية لـ " الظلم في القرآن الكريم " قد بيد وظاهرا أنه
موضوع منفصل بذاته لكنه كغيره من الموضوعات بينه وبينها
تداخل وترابط لا تصل الى الحق فيه الا عبر مسالك و ممرات
الموضوعات الاخرى

فدراسة الظلم توجب بيان الشرك وهو في أبواب العقائد لأن الشرك

(١) اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر : د / محمد ابراهيم
شريف ص ١٧٥

ظلم عظيم - ولنفسك عليك حق ولجسدك عليك حق وارهاقهما
بالتكاليف ظلم فدخلت من هنا العبادات . . . ولزوجك ولولدك
ولجارك عليك حق والتقصير فيها ظلم فدخلت من ذلك المعاملات
كما لا تنفصل عنها معان أخرى كعمل سوء والافتراء
وتعدى حدود الله والانحراف عن الصراط المستقيم
ومنع مساجد الله من أن يذكر فيها اسمه وكنتم الشهادة والكذب على
الله والتكذيب بآياته والاعراض عنها واتباع الهوى وأكل الربا
وأخذ مال الآخرين بغير حق وأكل أموال اليتامى وترك الحكم
بما أنزل الله وتولى الكفار وخيانة الأمانة واتهام البرىء . . .
و وغير ذلك كثير

كل هذه معان تدخل تحت الظلم ولا تتم دراسته إلا ببيانها
وهذا يظهر جليا أن موضوع الظلم ليس مستقلا بذاته وليس منفصلا
عن الموضوعات الأخرى وإنما هو موضوع متصل مترابط معها اتحدت
في داخله كل هذه الموضوعات وإن كانت صبغته الخارجية
ذات موضوع واحد

ومن هنا فإن المفسر الموضوعي يخطئ حين يتصور أنه
بدراسة الظلم في القرآن الكريم إنما يتناول موضوعا واحدا حقيقة
بل الحق أنه يتناول موضوعات عدة ومن هنا أيضا يخطئ صاحب
المنهج الأدبي أن يعتقد أنه بالدعوة إلى التفسير الموضوعي
قد تحاشى تشتيت الذهن - المزعوم - هناك بل وقع فيما حذر منه
وهذا نعتقد بأن الدعوة إلى هذا اللون من التفسير - لهذا
الهدف - قد أصبحت غير ذات جدوى

ثانيا : - الترتيب الزمني :-

يرى دعاة المنهج الأدبي في التفسير أن ترتيب آيات القرآن الكريم حسب تاريخ نزولها أمر ضروري للتفسير وخطوة لا بد منها قبل الاقدام عليه . ولي في هذا ملاحظتان أذكرهما هنا الأولي : أن لا أحد ينكر ما لمعرفة ترتيب النزول من منزله كبيرة ودرجة عالية في التفسير إذ يترتب على ذلك أمور قد تقلب الحكم رأسا على عقب كيف لا والناسخ والمنسوخ إنما يعرف بهذا وسواه كذلك لكن وما أصعب لكن هذه . . . هل اتفق السلف أو الخلف على ترتيب معين لنزول آيات القرآن الكريم ؟ قد نعرف تقدم آيات وتأخر أخرى لكننا لا نعرف يقينا ترتيبا كاملا لها . وإذا كنا نجزم بذلك جزمنا فان بناء المنهج الأدبي على أساس علم يقينا فقد أمر يحتاج الى إعادة نظر

الثانيه : - أن أحدا من دعاة المنهج البياني أو الأدبي في التفسير لم يحل الى ترتيب معين لا في القديم ولا في الحديث ولم أر أحدا منهم قدم محاولة لهذا الترتيب ، ولئن كان إهمالهم للخطة في التفسير الموضوعي قد يلمس له عذرا بأن النص موجود لكنه يحتاج الى جهود وجهود فان الأمر هنا يختلف إذ أن الجهود فيه مهما توافرت فانها تفتقد السند والأدلة التي تأخذ بيدها الى الصواب والا كانت كجهود من ينفخ في رماد

ثالثا : النظر في المفردات وتدريج دلالة الألفاظ

يعتبر دعاة المنهج البياني في التفسير تتبع تدريج دلالة الألفاظ الأصل الأول في فهم دلالة ألفاظ القرآن وهم يقصدون من هذا الوصول الى معناها في الوقت الذي تليت فيه أول ما تليت وتفسيرها به ولنا في هذا وقفات

الاولى : أن العربي لا يفهم بعربيته كل ألفاظ القرآن الكريم
ذلكم أن القرآن الكريم خالق لمعناه في كثير من الأحيان وليس
انعكاسا للعقل العربي أو الظروف التأريخيه المحدوده (١) فمن الألفاظ
القرآنية ما يطابق كل المطابقة مدلولها في وقت نزولها ومنها
ما لا يطابقه كذلك فهذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقف - وهو العربي
القح - حائرا في مدلول كلمة "أبًا" وهذا رجل عربي آخر
يفهم الخيط الأبيض والخيط الأسود انهما خيطان يلمسهما بيده
ويضعهما تحت وسادته وعلى مستوى الجماعة أولئك الصحابة
رضى الله عنهم لم يفهموا مدلول الظلم في احدى الآيات
حتى بينه المصطفى صلى الله عليه وسلم " انه ليس الذى تعنون . . . (٢)
ومن هذا وأمثلة أخرى كثيرة نذكر أن القرآن وان كان نزل بلسان عربي
مبين وان كان العرب الخالص يفهمون ويدركون مراميهم بمقتضى سليقهم
العربية الا أن ألفاظه الكريمة ليست صماء خالصة بل ان فيها من
المعاني الجديدة ما يضيف على اللغة اشراقة أخرى من المدلول
الصحيح بحيث لا تنكرها اللغة ولا يعافها الذوق وهذه قد يقصر عنها
أحيانا معناها وقت نزولها فلا يكفى - وحده - لجلاء معناها الصحيح
فيحتاج مع ذلك الى النظر في المركبات واستكناه معنى هذه المفردة
على ضوءها . خلاصه الأمر أن الاستعمال القرآني للمفردة قد
يحمل معه معاني متجددة ليست مطابقة كل المطابقة مدلولها
الوضعى في وقت نزول القرآن الكريم

(١) اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر : د محمد ابراهيم

شريف ص ٢٨٥

(٢) رواه الامام احمد في مسنده رقم ٣٥٨٩ عن عبد الله بن مسعود رضي

الله عنه وقال أحمد شاكر اسناده صحيح (مسند الامام احمد ج ٥

ص ٢٠٧ ، ومعناه رواه البخاري وغيره

الثانيه : - ان تتابع العلماء في تفسير القرآن الكريم يشهد أنهم لم يقفوا في ألفاظ اللغة على معنى واحد لا يتجدد ولو فعلوا لانقطع مسار التفسير ولما تسلسل الى عصرنا هذا والى أن يرث الله الأرض ومن عليها ولما أوردوا في الكلمه الواحدة معاني متعددة ولما حرص كل واحد منهم أن يسوق مع رأيه آراء العلماء الآخرين

وهذا اعتراف منطوق حينما ومفهوم أن معاني الكلمات القرآنية غنية ومتجددة يضيف كل مفسر منهم ما يراه مناسباً ويروض ثقافته وتصوره للمعنى في حرية حتى يستخرج ما قد يستنبطه من معاني جديدة والا فلافائدة فيما جاء به الا التكرار والترديد

واذا كان الأمر كذلك فان التزام المنهج البياني لمدلول الكلمة ومعناها وقت نزول القرآن الكريم تعطيل لها عن معاني أخرى لـم تظهر بعد تحمل معناها مطابقة القرآن الكريم لمقتضى حال كل عصر من العصور معلنة اعجازا مستمرا متجددا لا ينقطع وداعية الى زيادة التأمل والتدبر في آيات الله .

وليس هناك ما يمنع أن تحتل ألفاظ القرآن الكريم وهى كلام الله سبحانه وتعالى الذى لا يشابهه كلام بشر معاني لم تظهر بعد ادخلها الله سبحانه وتعالى لأهل العصور التالية ليكون ما فيها من مفاهيم وحقائق اعجازا لهم وأى اعجاز" (١)

الثالثه :- ان الدعوة الى معرفة مدلول الألفاظ وقت نزول القرآن لا شك تعين على معرفة رأى صائب لكن هل الوصول الى هذا من السهولة

(١) اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر: د / محمد ابراهيم شريف ص ٣٦ هـ

بمكان ؟ الحق انه ليس من السهل - ان كان ليس من المستحيل - الوصول الى معرفة معنى من المعانى التى فهمها الصحابة لكن الذى أراه يكاد يصل الى درجة المستحيل أن تعرف كل المعاني التى فهمها الصحابة من النص القرآنى الواحد فضلا عن النصوص كلها

لست أقول هذا تعجيزا ولا تثبيطا للهمم فلاستاذ أمين الخولى يعترف بهذا حين يقول " واذا كان هذا هو الاصل الأول في فهم دلالة ألفاظ القرآن فمن لنا به مع أن معاجمنا لا تسعف عليه ولا تعين فليس امام مفسر القرآن حين يبتغي المعنى الأول لالفاظة الا ان يقوم بعمل في ذلك مهما يكن مؤقتا وقاصرا فانه هو كل ما يمكن اليوم " (١)

لكن الحق الذى أراه في هذا ان لا يجعل الوصول الى هذا المعنى هو الاصل الأول في فهم الالفاظ القرآنية وانما يعتبر معينا للوصول الى رأى صائب لا يمنع من معاني أخرى صائبة يحملها كلام حكيم خبير انزل كتابه للأمم في عصر الرسول ولها في سائر العصور الى أن يرث الله الأرض من عليها

ولئن كانت مطابقة النص القرآني لمقتضى الحال وقت نزول القرآن أمرا مطلوبيا فان مطابقتها لمقتضى أحوال الامم والعصور التالية وهي مخاطبة به على حدّ سواء مع العصر الاول - امر ايضا مطلوب ومن الخير أن نسعى لبيان الاخير سعينا لبيان الأول .

رابعاً : قبول التفسير النفسي ورفض العلمي التجريبي :-

والحديث عن مطابقة الكلام لمقتضى الحال حديث عن البلاغة في

(١) التفسير معالم حياته منهجه اليوم : امين الخولى ص ٤٢ - ٤٣

القرآن الكريم ومن هنا نطلق الاستاذ الخولي ليقرر أمرا آخر على هذا سقنا نصه في حد يثنا عن أسس المنهج ومنه قولـــــــــه " ان ما استقر من تقدير صلة البلاغة بعلم النفس قد مهد السبيل الى القول باعجاز القرآن النفسى للقرآن الخ (١)

ولأن أرباب المنهج البياني ينظرون الى مفردات القرآن من زاوية معانيها وقت نزوله فانهم يرفضون كل ما تفسره من نظريات أو حقائق علمية حديثة لأنها لم تكن من مدلول المفردة حينذاك .

ومن هنا نرى ثغرة في منهجهم أو سمها ان شئت اضطرابـــــــــا في المنهج كان الموقف الحق أن يرفضوا النظريات الحديثة لعلم النفس والنظريات العلمية الحديثة جميعا أو أن يقبلوها جميعـــــــــا اذ كيف يسوغون تفسير النص القرآني الكريم بنظريات علم النفس الحديثة التي لم تكن من مدلول المفردة وقت نزول القرآن الكريم فـــــــــي نفس الوقت الذي يرفضون تفسيرها تفسيراً علمياً كذلك

خامسا : بين النظرية والتطبيق :

أبرز اسس المنهج البياني في التفسير هي النظر في المفردات ثم الدراسة الموضوعية

وذا نظرنا الى نتائج اتباع هذا المنهج واصحابه وجدنا بعضها يهتم بالموضوع وقد يجيد التطبيق لكنه يتعثر في أول درجات النظر في المفردات فلا يكاد يخطو فيها خطوة

(١) التفسير معالم حياته منهجه اليوم : امين الخولي ص ٤٥

وفي الجانب الآخر نجد دراسات نجحت في النظر في
المفردات لكنها اذا حاولت - ان حاولت - التفسير الموضوعي تعثرت فيه ولم
تكد تخطو خطوة واحدة !!

وهذا يكون المنهج البياني في التفسير حتى ساعتنا هذه
مجرد نظرية لم تطبق بعد تطبيقا كاملا واتي على هذا بشاهدين
الاول الدكتور عفت محمد الشرقاوي حيث قال " لكن الذي
لا نفهمه أن آثار الشيخ أمين الخولي نفسه في التفسير لا تحتكم
الى هذا المنهج طويلا في استخراج الدلالة وهكذا ظل الفسار
بعيدا بين الواقع والمثال في آثارهم جميعا . . . " (١)

الثاني الدكتور محمد ابراهيم شريف الذي قال " تجدر الإشارة الى
أن المنهج بهذه الصورة من القيود والمتطلبات لم ير النور في محاولة
ما من محاولات أتباعه وانما وقعت محاولاتهم موقعا بعيدا عن
الأمل الطموح بصورة أو بأخرى . . " (٢)

وقال أيضا ب " تخلف النتائج عن المقدمات العريضة في دعوة
المنهج الأدبي الموضوعي وقصور محاولاته ووقوعه
في منزلة أدنى بكثير من طموح أصحابها ، فلم تشهد الدعوة تطبيقا
كاملا في إحدى محاولات التفسير " (٣)

بل قال ما هو أشد " وفي تصورنا الآن أن أمين الخولي اذا كان
قد بدأ نظريته التفسيرية ليجدد منهج التفسير القرآني فلقد
انتهى الأمر بالتفسير في نهاية نظريته الى أن أصبح علما لم يبدأ بعد
ولكن من الممكن له أن يبدأ بل أن ينمو وينضج اذا ما سار على ذلك
الدرب الشاق بكل صعوباته ومسئوليته . . . " (٤)

(١) اتجاهات التفسير في مصر في العصر الحديث شجدة عفت محمد الشرقاوي ص ٣١٠
(٢) (٣) (٤) اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر : د محمد ابراهيم
شريف الصفحات علي التوالي ٥٠٨ ، ٥٩٧ ، ٥١٠

بقي أمر ينبغي أن لا أغفله وإن كان حقه أن أذكره في أول حديثي عن المنهج . . كان حقه كذلك لو أن الاستاذ أمين الخولي صرح به لكنه لأمر لا أدريه كتمه وأحسب هذا يخولني ذكره في الملاحظات على المنهج

ذلك الأمر هو جانب التأثير ومصدره عند أمين الخولي في تقرير هذا المنهج

حقيقة أن الاستاذ أمين الخولي تأثر - فيما أرى بثلاثه أشخاص الاول والثاني منهما كان جانب التأثير بهما غير كبير جداً ولعله لهذا أشار أولمحيهما وهما

١ - الراغب الاصفهاني في كتابه " مفردات القرآن "

٢ - الاستاذ الامام محمد عبده في تفسير " المنار "

لكنه لم يذكر الثالث ولم يشر اليه من قريب ولا من بعيد مع أن كما يقول الدكتور السيد أحمد خليل - لا نكاد نظفر بجديد عنده يختلف عما دعا اليه " شلاير ما شر " (١)

ويقول الدكتور في موضع آخر عن القواعد التي أصلها شلاير ماشر الالمانى لتفسير أى نص :- "وقد كان لهذه القواعد والأصول مكانها البارز في حركة مجددة قام بها الأستاذ أمين الخولي في الجامعة دون أن يشير رحمه الله تعالى الى تأثير هذه القواعد واستفادته منها " (٢)

(١) دراسات في القرآن : الدكتور السيد أحمد خليل ص ١٤٥ - ١٤٦

(٢) المرجع السابق ص: ١٣

ومن المعلوم - كما أشرنا في ترجمته - أن الاستاذ أمين الخولي
عمل في المفوضية المصرية في برلين وأنه أَلَمَّ
باللغة الألمانية

وببقى السؤال حائرا يبحث عن اجابة لِمَ لَمْ يذكر الاستاذ /
أمين الخولي تأثيره بقواعد التفسير عند شلاير ماشر الألماني
الجنسية

ومع هذه الملاحظات على هذا المنهج فانه يبقى له وجه آخر مشرق
حيث خط سبيلا بينا الى الحقيقة القرآنية وأرشد الى
اسلوب أدبي صحيح في تذوق أساليب القرآن

وأهم من هذا كله أنه كشف عن آفاق جديدة للاعجاز في
القرآن الكريم وجدد في الأدباء المعاصرين الحس الفني حيث الابداع
في العرض وقوة الحق وجمال الأداء وهو حس كادت أن تنطفئ ناره
في مجتمع الهته تيارات المادة في العصر الحديث

وفوق هذا كله قدم بعض أرباب المنهج البيكاني نماذج أصيله
لتفسير المفردات حيث التتبع للفظ في القرآن الكريم واستخراج معناها
من وحي السياق

واذا ما ابتعد أصحاب هذا اللون في التفسير عن تلك المزالق
والمتاهات التي أشرنا الى بعضها فانه يؤمل لهذا المنهج ان يحتل
في العصر الحديث مكانة سامية . سدد الله الخطى وأصلح النوايا
انه سميع مجيب

الباب الرابع

الاتجاه الأدبي في التفسير

الفصل الثاني

منهج التذوق الأدبي في التفسير

المراد به :

لا أقصد بالتذوق الأدبى إطلاق العنان لكل قارئٍ لأعمال
ذهنه الذاتى لاستخراج معانى النص . . . لأن هذا
سيؤدى بنا - حتما - وعلى أحسن الأحوال الى أن نجسد
من تفسير الآية الواحدة ما يساوى عدد القراء بل أكثر منهم .

ولكنى أقصد به الموازنة بين الذات . . . و . . . الموضوع . . .
فللذات حقها فى جانب الاستغراق فى النص والشعور به
بحيث لا يصل الى الاستغراق الصوفى التام الذى يطغى على
النص وعلى جانب الجمال الاجتماعى فيه . . . وللموضوع حقه
فى التزام مدلوله اللغوى وحدوده الشرعية والتنبيه الدقيق
الى المعنى الصحيح السليم والتزام أبعاد معانيه ومدلولاته
بحيث لا يتجاوزها فيشطج .

ان الموازنة بين الذات والموضوع - فى رأى - هــ
التي تستقر بصاحبها فى ميدان التذوق الأدبى ويقدر الموازنة
يكون الاستقرار فيه . . فان طغت الذات على الموضوع خرج
عن نطاقه الى نطاق التفسير الصوفى الذى يعتمد على
الأوهام أكثر مما يعتمد على الحقائق . . . وجنح بصاحبه الى
الخيال الجارف الذى لا يعتمد على قواعد ثابتة ولا أصول
راسخه بل يموج ويضطرب كما تضطرب الريشه فى الهواء ومن
هنا نفذ الباطنيون الى الاحاد فى تفسير القرآن الكريم
حيث لا ارتباط بالنص ولا بمدلوله بل انسلاخ منه !!

وان طغى الموضوع على الذات خرج عن نطاق التذوق الأدبى
الى نطاق التفسير العلمى البحت وضاعت جوانب جذبات النفس

X وارتباطها بالنص وأصبح المفسر والنص كتلتين منفصلتين لا تمانح بينهما
ولا تجاذب وحينئذ يكاد المفسر أن يكون مجرد آله لا تفاعل بينهما
وبين معمولهما ..

إذا فالتذوق الأدبي - عندى - يقوم على الموازنة بين الذات
والموضوع .. هو وسط بينهما

والتذوق للقرآن الكريم حركة نفسيه وانطباع ذاتي لا يملك الإنسان
له ردا ولا يستطيع له منعاً بل لابد أن يظهر أثره فى
خلجات سامعه وسكناته شاء ذلك أم أبى وقد أدرك المشركون
ذلك ولذلك سعو الى حسم سماعه أولاً " وقال الذين كفروا لا تسمعوا
لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون " (١) وانما فعلوا ذلك لادراكهم
أنهم لا يملكون دفعا للتأثير بل قد يأخذ منهم بالألباب ويؤدى
بهم الى ما لا يريدون وكل ما يملكونه أن يتداعوا الى عدم
سماعه واللغو فيه عند تلاوته حتى لا يصل الى شغاف قلوبهم
فان وصل فإنهم لا يملكون الا أن يقولوا - حقيقه - ان أعلاه لثمر
وان أسفله لمغدق .. الخ وقد يكابرون ويعاندون ويزعمون
أنه سحر

حتى الجن كانت النزعة الانطباعية عندهم عند سماعهم له أن قالوا
" انا سمعنا قرآنا عجبا .. " (٢)

والنصارى عند سماعهم له تفيض أعينهم من الدمع وإذا سمعوا
ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع ممّا

(١) سورة فصلت : ٢٦

(٢) سورة الجن : الآيه الاولى

عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكثبنا مع الشاهدين^(١)
والذين يخشون ربهم تقشعر جلودهم عند سماعه ثم تلتين
وتلتين قلوبهم معها " الله نزل أحسن الحديث كتابا
متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم
ثم تلتين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله . . . " ^(٢) الآية

هذه وتلك ^{بعض} مظاهر التأثر بالقرآن الكريم وتذوق
نصوصه ظهرت بين الناس على اختلاف أنواعهم بل والجن
أيضا واختلفت بين فيض الدمع وقشعريره الجلد ولين القلوب واطهار
علامات الدهش والعجب

ولكن هذه المظاهر لم تتجاوز التأثر الذاتي فلم يترجمها
أحد أحرفا على الورق يفيض بها ذوقه السامي ويسطرها
قلمه الطاهر معالم يهتدي بها من قصر باعه وقلت بضاعتها
فلم يتذوق النص أو لم يستطع التعبير عنه

وحين تظهر عبارة صادقة معبرة عن مظاهر تذوقه فان الألسن
حينئذ تتداولها وأن الرواة يتناقلوها كما يتناقل الصاغة
الجواهر الثمينه حتى وان كانت العبارة قصيرة حتى وان كانت مجمله
وخذ مثلا عبارته قالها الوليد بن المغيرة حين استمع إلى
آيات من القرآن وهو الكافر ما ملك من أمره الا أن قال :-
" والله ان لقوله الذي يقول لحلاوه وان عليه لطلاوه وانه لمثمر
أعلاه ومغدق أسفله وانه ليعلو وما يعلى - وانه ليحط -
ما تحته " ^(٣)

(١) سورة المائدة : ٨٣

(٢) سورة الزمر : ٢٣

(٣) انظر فتح القدير : الشوكاني ج ٥ ص ٣٢٩

تداول الرواة هذه العبارة لما فيها من تعبير صادق عن
التذوق للنص القرآنى وقدره التعبير عنه ، هذا والعبارة موجزة
ومعناها مجمل

كيف الأمر اذا وفق الله عز شأنه رجلا يخرج تفسيرا
شاملا للقرآن الكريم يحمل مثل هذه المعانى الساميه ويترجم
دقائق جذور التأثير من أصولها أحرفا نيرة على الورق
تحكى قمة من قمم التذوق الأدبى للنص القرآنى الكريم .

لا أنكر بادىء ذى بدء أنى وقفت طويلا وقفة شحيح
ضاع فى الترب خاتمه وقفت أدق النظر وأرجع البصر
ملتصا أثرا يبصر أولا يكاد يبصر لمعالم هذا المنهج وآثار
السائرين فيه

لم أكد أجد فى الجادة الا أثرا لقدمين هما لرجل واحد
تمشيان فيه بعزيمة وثبات وكأنهما تسيران على خط شق لهما
من قبل بل كأنهما تسيران على نور البصيرة والبصر

وعدت أسائل نفسى أيعد طريق ييسر الا من قدمين
اثنتين من مناهج التفسير؟ وكان جوابها - وأحسبه حقا -
أن المناهج كلها تبدأ كذلك ثم يكثر سالكوها وهى
من أول أمرها تعد منهاجا

اذا فلا تثريب على ان أعتبرت تفسير سيد قطب رحمه
الله تعالى منهاجا فى تفسير القرآن الكريم ، وحده

ولعل لمعتراض أن يقول كيف تقدم النتيجة على المقدمة ؟
زعمك أن انفراد سيد قطب رحمه الله تعالى فى المنهج لا يمنع
من اعتباره منهاجا زعمك هذا نتيجة لمقدمة تثبت انفراد رحمه

الله تعالى فهل - حقا - انفراد سيد قطب رحمه الله
تعالى في هذا المنهج ؟

وجواب هذا المعترض ليس بإيراد التفسير كلها وعرضها حتى
أثبت به ما أقول فهذا أمر يطول ويشق . ولكنه بالشهد
وهم كثير

فهذا الدكتور محمد ابراهيم شريف يصف تفسير سيد قطب رحمه
الله تعالى " في ظلال القرآن " بأنه " يمثل تيارا برأسه يجمع فيه
بين الذاتية والذوقية، والفنية الجمالية " (١)

ويصفه في موضع آخر بالندرة من اعتبارات كثيره (٢)

ويصف الدكتور عدنان زرزور منحى سيد قطب رحمه الله
تعالى بأنه " منحى خاص " (٣)

أما الدكتور محمد المبارك فيعترف لسيد بأن له " فضل كبير
في السبق الى الكتابة والنشر في هذه الموضوعات على أسلوب
حديث " (٤)

بل أن الدكتور عفت الشقاوى الذى تحاشى الحديث عن سيد
قطب - وهو يكتب عن " اتجاهات التفسير في مصر في العصر الحديث "
لم يجد بدلا لسيد قطب وحين اضطر لذلك وصفه بـ " أحد الدارسين " (٥)
وكتب دراسة لكتابه " التصوير الفني في القرآن الكريم " فى عشر
صفحات (٦) ومع هذا تحاشى ذكره أيضا فى المصـ

(١) اتجاهات التجديد فى تفسير القرآن الكريم فى مصر: د محمد ابراهيم
شريف ص ٥٨٣

(٢) المرجع السابق : ص ٥٩٣

(٣) علوم القرآن : الدكتور عدنان زرزور ص ٤١٦

(٤) دراسته أدبيه لنصوص من القرآن : محمد المبارك ص ٨

(٥) اتجاهات التفسير فى مصر فى العصر الحديث: د / عفت محمد الشقاوى

الطبعة الأولى سنة ١٩٧٢ م ص ٣٣٨

(٦) المرجع السابق انظر ص ٣٣٨ الى ٣٤٨

والمراجع فلم يذكر اسم كتابه حتى لا يضطر لذكر اسمه .

وهو مع هذا يذكر في نهاية حديثه عنه قوله " لا يعثر الباحث على نماذج كثيرة في جهود المفسرين المحدثين تتخذ التذوق وحده رائدا في التفسير كما رأينا في المحاولة السابقة " (١) ولا نظن أنه وجد نماذج ولو قليلة ولو كان قد وجد لما ذكر سيد قطب مثلا وإنما وجد دراسه وصفها بأنها مماثلة الى حد ما " (١)

ما قصدت من هذا أن أذكر موقف الدكتور عفت (٢) ولكنني قصدت مكانة سيد رحمه الله حيث لم يجد من حاول أن يتحاشى ذكره بد من الإشارة اليه اذ ليس في الساحة سواه .

وأصح من هذا كله وأوضح ما كتبه الدكتور صلاح د حبور في رسالته التي قدمها لنيل درجة الدكتوراة عن " في ظلال القرآن " حيث وضع عنوانا " سيد قطب يؤسس مدرسة جديدة في التفسير " قال فيه " يعتبر الظلال لونا جديدا خاصا فريدا من التفسير ويعتبر نقلة جديدة بعيدة في التفسير وأن الظلال يعتبر مدرسة خاصة في التفسير يمكن أن نعتبر سيد قطب مفسرا موهوبا ومؤسسا لمدرسة متميزة فريدة في التفسير . . . لقد كان سيد قطب مجددا في الظلال حيث سار على منهج خاص " (٣)

ونحن نقول مثل قولهم أن سيد قطب رحمه الله تعالى صاحب مدرسه خاصه ومنهج خاص

ولهذا فلا تثريب على اذ لم أقدم كعادتي في كل منهج

-
- (١) المرجع السابق ص ٣٤٨
(٢) ولعل السبب في ذلك أن الشرقاوي ألف كتابه سنة ١٩٦٣ وكان سيد قطب - رحمه الله وقتها في سجن عبد الناصر
(٣) في ظلال القرآن دراسة وتحقيق : د صلاح عبد الفتاح د حبور ص ٢١٢ - ٢١٣

د راسه عامه للمنهج وأهم المؤلفات فيه ثم اختيار تفسير
أو تفسيري كنموذج للمنهج أقف عندهما وقفه أطول
لا تثريب على إذا كتبت عن " في ظلال القرآن " لسيد قطب
رحمه الله تعالى مباشرة لأنه يقف في الساحة وحده فهو
والمنهج - حتى الآن - وجهان لعملة واحدة
فاذا برع من بعده أحد في المنهج شاركه فيه وتفرد سيد
بالأقدمية أما الآن فلسيد الأقدمية والانفراد .

في ظلال القرآن

أولا : المؤلف

ما زالت يدى تمسك بالقلم حيناً وتتركه حيناً ذلكم أنى ترددت كثيراً
ووقفت طويلاً
ووقفت حائراً بين داع يدعونى لكتابة ترجمة لسيد قطب رحمه الله
تعالى كما ترجمت لغيره عند تناول تفاسيرهم .
وبين داع يدعونى أن لا أكتب شيئاً عنه ، وكيف أكتب فى صفحة
أو صفحتين عن رجل كتب عنه العلماء فى أكثر من عشرة كتب بعضها
فى مجلدات ضخمة دع عنك التراجم والدراسات التى لا يكاد يخلو
منها مؤلف فى العصر الحديث عن الدراسات الإسلاميه والقرآنيه
هل من اللائق لمثلى أن يكتب هذه الترجمة أمام هذه المؤلفات
والدراسات الأصيلة عنه . وما الجديد فيما يقول شخص لم ولن يخرج
عما قيل فى هذه المؤلفات عنه رحمه الله تعالى
ما زلت بين هذا وذاك حتى قرقرارى على وجوب الترجمة ولو
كانت موجزه وحتى ولو لم تأت بجديد وحتى ولو كانت أقل درجه

لأن ما سأذكره يكاد أن يكون القاسم المشترك بين هذه المؤلفات كلها وما يضير أن أشارك معهم فيه في مقام كهذا . ولذا فقد اخترت أن اكتب هذه الترجمة الموجزة التي أحسبها سهما - مجرد سهم - يشير الى المؤلفات الضخمة عنه وحتى هذه المؤلفات لا أحسبها الا سهما - أيضا - لكنها سهم ضخيم يرشد الى رجل لا كالرجال .

اسمه ونشأته :

سيد بن الحاج قطب بن ابراهيم

ولد في قريه من قرى الصعيد تتبع محافظه أسيوط اسمها " موشه " التي قدم اليها جده الخامس من الهند .

وكانت ولادته سنه ١٩٠٦م حيث نشأ في أسرة ليست عظيمة الثراء وان كانت أقرب اليه ، وكان والده مضافا ولذا كان له مكانة مرموقة بين أهل القريه

انتهى سيد قطب من دراسته في مدرسة القرية عام ١٩١٨م حيث انتقل للدراسة الى القاهره عام ١٩٢١ و وانا تأخر الى هذا العام بسبب ثوره ١٩١٩م ضد الاحتلال البريطانى

فاستقر سيد قطب في بيت خاله في القاهره وفي عام ١٩٢٥م التحق بمدرسة المعلمين الأوليه ثم التحق عام ١٩٢٨م في (تجهيزية دارالعلوم) وهى مدرسة خاصة بكلية دارالعلوم وتوئل الطالب فيها للدخول في الكلية ، ثم التحق بكلية دارالعلوم عام ١٩٣٠م وتخرج منها عام ١٩٣٣م وله من العمر ٢٧ سنة وحصل على شهادة الليسانس في الآداب . مع دبلوم في التربيه

بعد تخرجه زاول مهنة التدريس مدة ست سنوات انتقل بعدها

الى وزاره المعارف موظفا من سنه ١٩٤٠ الى ١٩٤٨ م حيث
أوفدته الوزاره الى أمريكا

وكانت رحلته تلك الى أمريكا - نقطة تحول لحياته الفكرية
حيث لم يكن ارساله اليها للدراسة للحصول على شهادة عالية
كما يحسب بعض من كتب عنه وانما كانت رحلة عملية ميدانية
يقوم فيها بزيارة الجامعات والمعاهد العلمية في
امريكا ويطلع على مناهجها التعليمية ليعود فيطبّقها على
مناهج التعليم في بلاده . ولذا كانت رحلته تلك ذات مدة
مفتوحة وكان أمرانها بيد وتنتهي بانتهاء دراساته
الميدانية

والأهم من هذا كله أن رحلته تلك ليست - حقا - للاطلاع
على تلك المناهج وانما للتخلص من سيد قطب وآراءه التي كان
يطالب بها ويلج عليها ولهذا فان سيدا لم يوافق على الرحلة
الا بعد أن منح من الكتابة في الصحف وأغلقت مجله (الفكر الجديد)
فلم يجد بدا من السفر

وعاد وقد وجد ذاته هناك ووجد الاجابة
على استفساراته وعن غاية الحياه وهدفها السامي النبيل . . .
ما يفتح الله للناس من رحمه فلا ممسك لها (١) . . . " ويمكرون ويمكر
الله والله خير الماكرين " (٢)

عاد وقد خبر الحياة الامريكية بل قل الحياة المادية
وسجل ملاحظاته تلك في " أمريكا التي رأيت " الا ان مسودات هذا البحث

(١) سورة فاطر : ٢

(٢) سورة الانفال : ٣٠

كانت من ضحايا محنة الاخوان المسلمين عام ١٩٥٤م حيث
أحرقت ولم ينج منها الا حلقات ثلاث مختصره نشرت فى اعداد
مجلة الرسالة (٩٥٧ . ٩٥٩ . ٩٦١)

كانت طريقته فى أمريكا تختلف عن طريقه الآخرين . . .
عكسها تماما . . . كانوا يتخذون موقف الدفاع والتبرير
عن الاسلام . . أما هوفكان يتخذ موقف المهاجم للجاهلييه
الغريبه . . لا يدع لهم مجالا للاستعلاء . . . ولا يترك لهم
فرصة لاشغاله عن الانطلاق . . كان يهاجم فيشغلهم بالرد
ويتفرغ للدعوة ولا ينتظر منهم شبهة تشغله بالرد عنها

حتى هذه اللحظة لم يكن له كبير اتصال مع جماعة الاخوان المسلمين
الى أن تم اغتيال حسن البنا رحمه الله تعالى سنة ١٩٤٩م وكان
سيد وقتها فى احدى مستشفيات أمريكا حيث شاهـد
مظاهر الفرح والابتهاج بل والشماتة فى كل شىء من حوله فى
الصحافه وفى جميع أجهزه الاعلام وفى كافة المنتديات . . . كلها
تهلل وتهنىء بعضها بعضا بالتخلص من أخطر رجل فى الشرق
. وحينئذ . . . حصص الحق عنده وأيقن آن هذه الجماعه
على الحق . . . ولم يبق له عذر عند الله - كما يقول - ان لم
أتبعها فهذه أمريكا ترقص على جمجمة حسن البنا وهـذه
بريطانيا - أيضا - تسخر أجهزه مخابراتها - حتى داخل أمريكا
- لمحاربه الاخوان . . . فصمم فى قراره نفسه أن ينضم الى . . .
الأخوان المسلمين

وعاد سيد قطب وهو يعتقد أن تاريخ ميلاده هو تاريخ انضمامه
الى الاخوان المسلمين وكان يردد دائما " لقد ولدت عام ١٩٥١م
وهو تاريخ انضمامه اليهم .

عاد وهو أخطر على من أرسلوه من قبل فصار يكتب المقالات التي أقضت مضاجعهم وجرت عليه الكثير من المضايقات ولم يحسب لها حسابا فراح يعد البحوث ويلقى المحاضرات ويعقد الندوات ويدير الجلسات وصار بيته موثلا للشباب وهوى للقلوب.

وقرن القول بالعمل فدعا إلى قيام الكتلة الإسلامية كتله الثالثة لا شرقية ولا غربية ، وكان لسيد أثير كبير ففى قيام ثوره ٢٣ يوليو وكان موضع احترام رجالها وهو المدنى الوحيد الذى كان يحضر احيانا جلسات مجلس قيادة الثورة

وحين طلبوا منه أن يلقي محاضره فى نادى الضباط فى القاهره غص النادى بالحضور من مختلف الفئات وحرص على حضورها رئيس مجلس الثورة اللواء محمد نجيب بنفسه الا أن عذرا طارئا منعه من ذلك فحضرها نيابة عنه جمال عبد الناصر ولم يكتف بهذا بل أرسل رسالة مع أنور السادات يعتذر فيها عن الحضور وقد تليت هذه الرسالة على الحضور وقد وصف سيد قطب فيها بأنه رائد الثورة ومعلمها وراعيها وقائد قادتها ورئيس رؤسائها . . . (١)

وليس بغريب أن يقول هذا محمد نجيب وهو الذى يعترف فى مذكراته التى أصدرها مؤخرا بعنوان " كنت رئيسا لمصر " اننى أعرف ان الاخوان كانوا أول من ساعدوا عبد الناصر فى تنظيم الضباط الأحرار . . . فى فتره لم أكن فيها قد عرفت عبد الناصر ولا التنظيم" (٢)

(١) سيد قطب الشهيد الحى : د صلاح عبد الفتاح الخالدى ص ١٤١
عن مجله (كلمه الحق) السنه الاولى العدد الثانى ١٣٨٢ ص ٣٧

(٢) كنت رئيسا لمصر : محمد نجيب ص ١٦٧

ولم يكن سيد رحمه الله تعالى فى محاضرته تلك متملقا ولا متشدقا —
للثورة . ولكنه أعلنها . . أن الثورة قد بدأت حقا وليس لنا أن
نثني عليها لأنها لم تعمل - بَعْدُ - شيئا يستحق أن يذكر فخرج
الملك ليس غاية الثورة بل الغاية منها العودة بالبلاد الى الاسلام . . .
وأعلن أنه يخشى من الثورة أكثر من ذى قبل " لقد كنت فى
عهد الملكيه مهيبا نفسى للسجن فى كل لحظه وما آمن
على نفسى فى هذا العهد أيضا فأننا فى هذا العهد مهيبون نفسى
للسجن ولغير السجن أكثر من ذى قبل " !!

وكان جمال عبد الناصر - كما قلنا - حاضرا فوقف وقال بصوته
الجهورى " أخى الكبير سيد والله لن يصلوا اليك الا على
أجسادنا جثثا هامة ونعاهدك باسم الله بل نجدد عهدنا لك
أن تكون فدائىك حتى الموت . . . " وكان من بين الحاضرين الأستاذ
أحمد عبد الغفور عطار الذى كتب وصفا كاملا لهذا الحفل (١)

وعرضت عليه الثورة مناصب عديدة رفضها كلها إلا منصب سكرتير
العام لهيئة التحرير (وما رضى به الا ليسعى للتخطيط للسياسة
العليا وكان يستحثهم الاسراع بتطبيق الشريعة الاسلامية
وكانوا يراوغون ويماطلون فاستقال بعد شهر وخلفه فى منصبه
جمال عبد الناصر نفسه (١)

وعند ما وقع الصدام بين الاخوان مع قادة الثورة سنة ١٩٥٤م كان سيد
قطب رحمه الله تعالى فى مقدمة المعتقلين وحكم عليه بالسجن خمسة عشر عاما
وتفرغ سيد رحمه الله تعالى فى سجنه للدعوة (!!) د عا

(١) سيد قطب الشهير الحى: ص ٤٢ عن مجلة كلمه الحق التى نشر فيها الاستاذ
عطار هذا الوصف (النسخة الاولى العدد الثانى ١٣٨٧ ص ٣٧ - ٣٩)

بلسانه بين السجناء والجنود فكان يخطب فيهم العيد بين والجمعه
رغم مخالفة ذلك للتعليمات ودعا بقلمه فسطر أروع كتبـــــــــــــــــه
وأفضلها وأشهرها - فى ظلال القرآن

وبشاء الله أن يكون هذا التفسير من أسباب خروجه من السجن
فقد كتب له القبول بين المسلمين وحين زار الرئيس العراقى
عبد السلام عارف مصر - وكان قد قرأ الظلال - توسط عند
الرئيس جمال عبد الناصر لا خراجه من السجن بطلب من علماء
العراق وصدر الأمر بالافراج عنه وأواخر عام ١٩٦٤م وعرض عليه
عبد السلام عارف أن يسافر معه الى العراق ووعد به بمنصب كبير
لكنه - رحمه الله - آثر البقاء فى مصر

وخرج ليواصل الدعوة ولكنهم فى هذه المرة لم يمهلوه فأعلنهـــــــــــــــــا
جمال ومن عاصمه من عواصم الالحاد ونحمد الله أنها لم تعلن من
عاصمة من عواصم الاسلام - أعلنها من موسكو . . . أن الاخوان المسلمين
قد دبروا مؤامرة للاستيلاء على الحكم بالقوه ؟ ! كان ذلك عام
١٩٦٥ م فنشطت أجهزته فى القاء القبض على الاخوان المسلمين
وأصد قائلهم ومعارفهم وأقاربهم ونساءهم وأطفالهم (! !) واقبمت
المذابح ونصبت المشانق ولم يترددوا فى الاعدام والحرق
والتعذيب فى أبشع ألوانه وأشكاله تحت آلات أعدت له دونها
محاكم التفتيش فى أوروبا

وشرَّف الله آل قطب فسجن سيد وأخوه محمد وأخواتهما الثلاث
نفسه ولم يمنعهم سنهــــــــــــــــا من ذلك فهى الشقيقه الكبرى لسيــــــــــــــــد
وأمينه وحميده وسجنوا أبناء أخته نفسه حيث لقي أحد هما حتفه
تحت التعذيب وسجنوا أيضا أولاد أخواله ولاقى هؤلاء جميعا من

الأهوال ما لا يوصف... ولا أدري لم ترد على خاطري كلما قرأت عن هذه الأسره كلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم لآل ياسر " صبرا آل ياسر موعدكم الجنة " (۱)

كان سيد رحمه الله تعالى يحس هذه المره احساسا آخر كان يقول " لقد عرفت أن الحكومه تريد رأسى هذه المره " (۲) وصدد رحمه الله تعالى فقد صدر الحكم باعدامه مع اثنين من الاخوان المسلمين هما محمد يوسف هوش وعبد الفتاح اسماعيل

وقامت الاحتجاجات والمظاهرات فى مختلف أرجاء العالم الاسلامى وتوسطت كثير من الشخصيات ... لكن الأمر فى هذه المره لا يقبل مثل هذا ولذا فلم يقبل وساطة عبد الرحمن عارف كما قبل وساطة اخيه من قبل (۳)

ولولم يترك لنا التاريخ الا تلك الكلمات التى قالها سيـــــدد باستعلاء المؤمن وعزة المؤمن من لكفى بها ، كلمات تخط ليس بالذهب كما يقولون وانما بالنور نور الايمان الذى لا ينطفىء ولا يحجب قال حين طلب منه أن يقدم التماسا الى جمال عبد الناصر بالعفو عنه ووعد بالإجابة سلفا، إن فعل لماذا أسترحم؟ إن سجت بحق فأنا أرضى حكم الحق وإن سجت بباطل فأنا أكبر من أن أسترحم الباطل "

وقال ان أصعب السبابه الذى يشهد لله بالوحدانيه فى الصلاة ليرفض أن يكتب حرفا يقربه حكم طاغيه

-
- (۱) السيره النبويه : ابن هشام ج ۱ ص ۳۴۲
 (۲) الشهيد سيد قطب : جماعة اصدقاء الشهيد سيد قطب عن مجله الاخبار الاسلاميه الدليه . الباكستان عدد شهر اكتوبر ۱۹۶۶م ص ۵۶
 (۳) الشهيد سيد قطب : جماعه اصدقاء الشهيد سيد قطب ص ۱۰۴

وقال حين طلب منه الاعتذار فيصد ر العفو عنه . . .
لن اعتذر عن العمل مع الله !!

وحين سئل عن صراحته في الاجابه على أسئلة المحكمه
قال :-

" لأن التوريه لا تجوز في العقيدته ، وأنه ليس للقائد أن يأخذ بالرخص^(١)
وأمام هذا كله صدر الحكم بأعدامه أتدرون ما قال عند سماعه
للحكم قال .. الحمد لله لقد عملت خمسة عشر عاما من أجل
الحصول على هذه الشهاده ...

أتدرون ماذا يعنى بالخمسه عشر عاما ؟ ! تلکم فتره انضمامه
الى جماعة الاخوان المسلمين فهو منذ أن انضم اليهم وهو يجعل
الشهادته نصب عينيه وأحسبها ان شاء الله قد نالها فهنيئلا
لله .

فقد نفذ فيه حكمهم قبل بزوغ فجر يوم الاثنين ٢٩ / ٨ / ١٩٦٦ م
الموافق ١٣ جمادى الأولى ١٣٨٦ هـ

مؤلفاته :

مؤلفاته كثيرة بآرك الله فيها ونفع بها الاسلام والمسلمين وهى
ايضا مشهوره ومعروفه ولا أظن ذكرى لها هنا يزيد القارىء
معلومة أو معرفة توازى قيمة الاطالة فى الحديث لكننى
مع هذا أذكر ما يتعلق منها بالقرآن الكريم وهى ثلاثة :

١ - التصوير الفنى فى القرآن

٢ - مشاهد القيامه فى القرآن

٣ - فى ظلال القرآن

(١) الحق أن التورية تجوز بل التصريح لمن أكره وقلبه مطمئن ولعل سيد
قطب رحمه الله فسر فى آخر كلمته ما أراد فى أولها

ثانيا : فى ظلال القرآن

لهذا التفسير مزايا داخلية ومزايا خارجية ؟ تسألون عنـ الخارـجـيـه فأقول انها مزايا شيقه أيضا وأعنى بها تلك الأطوار التى مربها هذا التفسير منذ أن سطرته أصابع صاحبه الى أن طبع طبعاته الشرعية الأخيره

وليس هذا مقام الكتابة عنه مفصلا حتى أتناول تلك المزايا وقد كفانا مؤنة ذلك الأستاذ صلاح الخالدى فى كتابه سيد قطب الشهيد الحى ويكفى أن أقول هنا أن هذا التفسير أول ما أشرقت شمسـه وبرقت جواهره كان فى كتاب آخر سماه (التصوير الفنى فى القرآن) ثم بدا لصاحبه أن يعرض القرآن كله على ضوء ذلك

ثم ترجم هذه الأمانيه ليس فى كتاب بل فى مجله كان يصدرها سعيد رمضان واسمها " المسلمون " فكتب مقالات شهرية تحت عنوان " فى ظلال القرآن " ونشر فى المجله سبع حلقات تولدت عنده بعدها عزيمة أخرى أن يقوم بتأليف تفسير كامل على هذا النهج ويصدره فى كتاب مستقل فى ثلاثين جزءا يظهر كل جزء خلال شهرين ، وفى رحمه الله بوعده بل كان أحيانا يصدر الجزء فى أقل من شهرين ويكفى أنه صدر ما بين اكتوبر ١٩٥٢ م وبين يناير ١٩٥٤ م (أى فى سنة وأربعه أشهر) ستة عشر جزءا بمعدل جزء فى كل شهر واحد

ودخل السجن وأصدر منه جزءين السابع عشر والثامن عشر ثم خرج من السجن وعاد اليه أخرى فأصدر بقية الاجزاء ولم يكتف بذلك بل عاد ينقح الأجزاء الأولى ويطبعها منقحه فتضاعف حجمها اذا كان حجم الجزء منها يزيـد

على ضعف حجمه في الطبعة الأولى ووصل في التنقيح إلى
الجزء العاشر وأخرج من السجن فواصل العمل وقام
بتنقيح الأجزاء ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ودخل السجن الثالثة ولكن
الطغاه هذه المرة لم يمهلوه بل أعد موه رحمه الله رحمة واسعة
وطبع الكتاب بعد ذلك عدة طبعات من أهمها الطبعة اللبنانية
في ثمانية مجلدات ضخمة ثم تولت طباعته بعد ذلك دار الشروق في
سته مجلدات وما زال يطبع كذلك

منهجه في التفسير:

لا شك أن الحديث عن سيد قطب رحمه الله تعالى حديث تنصت
له القلوب قبل الآذان لا لأنه سيد قطب ولكن لأنه مثال الداعية
الذي أبى أن يخضع لجبروت الطاغية فباع حياته ثمنا للدفاع عن
عقيدته نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحدا

أما الحديث عن تفسيره فلا تملء القلوب بل تميل إليه ولا تملء الأفئدة
بل تهفو إليه ليس من ناحية واحدة فيه بل من شتى نواحيه
وحين تتحدث عن ناحيته واحدة منها فانك تجد من لسانك اطنابا
ومن قلمك سيلانا ومن تلك الناحية عطاء ومددا لا تكلف فيه ولا زياده
لست أقول^{له} هذا وقد جعلت حاجز المحبة بيني وبين الواقع
ولكني أقول بلسان هذا الواقع فقد صدر عن هذا التفسير
كثير من الدراسات والأبحاث وما زال نبعها فيضا وما زال عطاؤها
متجددا

ومادام الأمر كذلك فلا تطمعن مني في هذا المقام أن أصب لك
البحر في كأس

ولا أكتفك حديثا أنى وقفت حائرا على شاطئ هذا التفسير

أى جواهره التقط وأيهما أدع؟ عن أيٍّ درره أتحدث وعن أيهما لا يسعنى الحديث؟ هل أتحدث عن الاهداف الاساسية أو الاغراض الرئيسيه فيه؟ أو أتحدث عن معالم الجمال فيه؟ أو أقصر حديثى عن التفسير الفكري أو أبسطه فى الحديث عن التفسير الحركى العملى عنده؟ أو أتكلم عم سماته أو عن مميزاته أو عن واقعيتيه، أو عن عرضه البيانى المشرق أو عن طريقته الخاصه فى التفسير أو موضوعيته هذا قليل من المداخل الواسعه لدراسه تفسير" فى ظلال القرآن" (١). فهل ترون من حقى أن أكتب عن كل هذه المعالم؟ اذا فالأمر يحتاج لا أقول لبحث مستقل بل لأبحاث ومادام الأمر كذلك فلا بد من قصر الحديث على الجانب الذى يواجهه دراستنا هذه منها أعنى الحديث عن أسس منهجه فى التفسير دون سواه وعذر كم أيها الأحبه ان دخلت فيها مباشرة فقد قدمت العذر

الأساس الأول : الأسلوب الادبى

أتى الله سبحانه وتعالى سيد قطب رحمه الله تعالى موهبة أدبية رائعة واسلوباً أدبياً سامياً . لا يشك فى ذلك اثنان وفى انه استخدم هذه الموهبة فى تفسيره خير استخدام ولعل هذا من أسباب القبول الذى لقيه الكتاب بين المسلمين فى عصرنا هذا

(١) للاستاذ صلاح دحبور دراسه واسعه قدمها لنيل درجه الدكتوراه عن " فى ظلال القرآن " دراسه وتقويم" وقد استفدنا منها كثيراً فى الرجوع الى الشواهد والامثلة فى حديثنا هذا

وقد انفرد سيد رحمه الله تعالى بهذا الأسلوب
من بين كثير من المفسرين في القديم وفي الحديث
فلا تكاد - مهما بلغ جهدك - أن تجد أحدا يجاريه في أسلوبه
الأدبي المميز وانك لتشعر ان كنت ممن يتذوقون الأساليب
ان فيما يكتب سيد اشراقا وعذوبة وروحا ، قلما تبد وفيما
يكتبه الآخرون

ونحن نظلم تفسيره ونبخسه حقه ان اخترنا مثالا
لذلك موهمين أن ما اخترنا هو الأمثل فكل تفسيره بلغ الرتبة
وكلها كانت له تلك المنزلة وحين نختار مثلا فليس لمزيد
فضل فيه وانما للتوضيح والبيان وضرب المثل فحسب.

واذا كان الأمر كذلك فهذا تفسيره لسورة الضحى
اقتطف لك منه ما يوقفك على ما ذكرت

قال رحمه الله تعالى " هذه السورة بموضوعها وتعبيرها
ومشاهد ها وظلالها ، وايقاعها ، لمسه من حنان ، ونسمه
من رحمه ، وطائف من ود ويد حانيه تمسح على
الآلام والمواجع ، وتنسم بالروح والرضى والأمل ، وتسكب البرد
والطمأنينة واليقين

انها كلها خالصة للنبي - صلى الله عليه وسلم -
كلها نجاء له من ربه ، وتسرية وتسلية وترويح وتطمين
كلها أنسام من الرحمة وأنداء من الود ، وألطفاف
من القربى ، وهدية للروح المتعب ، والخاطر المقلق ،
والقلب المروع .

ورد في روايات كثيرة أن الوحي فتر عن رسول الله

- صلى الله عليه وسلم - وأبطأ عليه جبريل -
عليه السلام - فقال المشركون : ودع محمدا ربه ! فأنزل
الله تعالى هذه السورة . .

والوحي ولقاء جبريل والاتصال بالله ، كانت هي
زاد الرسول - صلى الله عليه وسلم - في مشقة الطريق
وسقياء في هجير الجحود . وروحته في لأواء التكذيب
وكان - صلى الله عليه وسلم - يحيا بها في هذه الهاجرة
المحرقة التي يعانيتها في النفوس النافرة الشاردة العقيمة
العنيدة . ويعانيتها في المكر والكيد والأذى المصوب
على الدعوة ، وعلى الايمان ، وعلى الهدى من طغاة المشركين .

فلما فتر الوحي انقطع عنه الزاد ، وانحبس عنه
الينبوع ، واستوحش قلبه من الحبيب . وبقي للهاجرة وحده . بلا
زاد . وبلا رى . وبغير ما اعتاد من رائحة الحبيب الودود
وهو أمر أشد من الاحتمال من جميع الوجوه . .

عندئذ نزلت هذه السورة . نزل هذا الفيض من الود والحب
والرحمة والايناس والقربى والأمل والرضى والطمأنينة واليقين . . .
" ما ودعك ربك وما قلى . ولأخبره خير لك من الأولى . ولسوف
يعطيك ربك فترضى " . .

ما تركك ربك من قبل أبدا ، وما قلاك من قبل قط ، وما
أخلاك من رحمته ورعايته وايوائه . .

" ألم يجدك يتيما فآوى ؟ . ووجدك ضالا فهدى ؟ ووجدك
عائلا فأغنى ؟ "

ألا تجد مصداق هذا في حياتك ؟ ألا تحس مس هذا فى

قلبك؟ ألا ترى أثر هذا في واقعك؟

لا . لا . . " ما ودعك ربك وما قلى " . . وما انقطع عنك بره
وما ينقطع أبدا . . . " وللاخرة خير لك من الأولى " . .
وهناك ما هو أكثر وأوفى : " ولسوف يعطيك ربك فترضى "
ومع هذه الأنسام اللطيفة من حقيقة الأمر وروحته . . .
الأنسام اللطيفة في العبارة والايقاع . . وفي الاطوار
الكونى الذى وضعت فيه هذه الحقيقة :

" والضحى . والليل اذا سجى " . .

" لقد أطلق التعبير جوا من الحنان اللطيف ، والرحمة الوديعه
والرضى الشامل ، والشجى الشفيف :

" ما ودعك ربك وما قلى . وللاخرة خير لك من الأولى . ولسوف
يعطيك ربك فترضى " . . " ألم يجدك يتيما فآوى ؟ ووجدك ضالا
فهدى ؟ ووجدك عائلا فأغنى ؟ " . . ذلك الحنان . و تلك
الرحمة . وذاك الرضى . وهذا الشجى : تنسرب كلها من
خلال النظم اللطيف العبارة ، الرقيق اللفظ ، ومن هذه الموسيقى
السارية في التعبير . الموسيقى الرتيبه الحركات ، الوعيده
الخطوات ، الرقيقة الأصدا ، الشجيه الايقاع . . فلما أراد
اطارا لهذا الحنان اللطيف ، ولهذه الرحمة الوديعه ، ولهذا
الرضى الشامل ، ولهذا الشجى الشفيف ، جعل الاطوار
من الضحى الرائق ، ومن الليل الساجى . أصفى أنين
من آونة الليل والنهار . وأشف أنين تسرى فيهما التأملات
وتتصل الروح بالوجود وخالق الوجود . وتحس بعبادة الكون
كله لمبدعه ، وتوجهه لبارئيه بالتسبيح والفرح والصفاء

وصورهما في اللفظ المناسب. فالليل هو " الليل اذا سجي"
لا الليل على اطلاقه بوحشته وظلامه الليل الساجي
الذي يرق ويسكن ويصفو، وتغشاه سحابة رقيقة من الشجي الشفيف
والتأمل الودييع. كجو اليتيم والعيله. ثم ينكشف ويجلى مع
الضحى الرائق الصافى. فتلتئم ألوان الصورة مع ألوان الاطار ويتم
التناسق والاتساق".

ان هذا الابداع في كمال الجمال ليدل على الصنعه. صنعه
الله التي لا تماثلها صنعة، ولا يتلبس بها تقليد! (١)

ومثل هذا الأسلوب تراه واضحا جليا عند تفسيره رحمه
الله لقوله سبحانه " وجوه يومئذ ناضره الى ربها ناظرة" (٢)
قال :-

ان هذا النص ليشير اشارة سريعة الى حالة تعجز الكلمات
عن تصويرها، كما يعجز الادراك عن تصويرها بكل حقيقتها
ذلك حين يعد الموعودين السعداء بحالة من السعادة لا تشبهها
حالة. حتى لتتضاءل الى جوارها الجنة بكل ما فيها من ألوان
النعيم!

هذه الوجوه الناضرة. . نضرها أنها الى ربها ناظرة
الى ربها. . ؟! فأى مستوى من الرفعه هذا؟ أى مستوى
من السعادة؟

ان روح الانسان لتستمتع أحيانا بلمحه من جمال الابداع الالهى
فى الكون أو النفس، تراها فى الليلة القمراء. أو الليل
الساجي. أو الفجر الوليد. أو الظل المديد. أو البحر
العباب. أو الصحراء المنسابة. أو الروض البهيح. أو الطلعه

(١) فى ظلال القرآن: ج ٦ ص ٣٩٢٥ - ٣٩٢٦

(٢) سورة القيامه: ٢٢ - ٢٣

البهية . أو القلب النبيل . أو الايمان الواثق . أو الصبر
الجميل . . الى آخر مطالع الجمال فى هذا الوجود . . .
فتغمرها النشوة ، وتفيض بالسعادة ، وترف بأجنحة من نور
فى عوالم مجنحة طليقة . وتتوارى عنها أشواك الحياة ، وما فيها
من ألم وقبح ، وثقله طين وعرامة لحم ودم ، وصراع شهوات وأهواء . . .
فكيف ؟ كيف بها وهى تنظر - لا الى جمال صنع الله - ولكن
الى جمال ذات الله ؟

ألا انه مقام يحتاج أولا الى مد من الله . ويحتاج ثانيا
الى تثبيت من الله . ليملك الانسان نفسه ، فيثبت ، ويستمتع
بالسعادة ، التى لا يحيط بها وصف ، ولا يتصور حقيقتها ادراك !

" وجوه يومئذ ناضرة . . الى ربها ناظرة " . .

وما لها لا تتنضر وهى الى جمال ربها تنظر ؟

ان الانسان لينظر الى شىء من صنع الله فى الأرض . من طلعة
بهية ، أو زهرة ندية ، أو جناح رفاف ، أو روح نبيل ، أو فعل
جميل . فاذا السعادة تفيض من قلبه على ملامحه ، فيبد فيها الوضاءة
والنضارة . فكيف بها حين تنظر الى جمال الكمال . مطلقا
من كل ما فى الوجود من شواغل عن السعادة بالجمال ؟
فما تبلغ الكينونة الانسانية ذلك المقام ، الا وقد خلصت من
كل شائبه تصدها عن بلوغ ذلك المرتقى الذى يعز على الخيال !
كل شائبة لا فيما حولها فقط ، ولكن فيها هي ذاتها من
دواعي النقص والحاجة الى شىء ما سوى النظر الى الله . .

فأما كيف تنظر ؟ وبأى جارية تنظر ؟ وبأى وسيلة تنظر ؟

فذلك حديث لا يخطر على قلب يمسسه طائف من الفرح الذي يطلقه
النص القرآني ، في القلب الموء من ، والسعادة التي يفيضها
على الروح ، والتشوف والتطلع والانطلاق !

فما بال أناس يحرمون أرواحهم أن تعانق هذا النور
الفائض بالفرح والسعادة ؟ ويشغلونها بالجدل حول مطلق
لا تدركه العقول المقيدة بمألوفات العقل ومقرراته ؟ !

إن إرتقاء الكينونة الانسانية وانطلاقها من قيود هذه الكينونة
الأرضية المحدودة ، هو فقط محط الرجاء في التقائها بالحقيقة
الطليقة يومذاك . وقبل هذا الانطلاق سيعز عليها أن تتصور -
مجرد تصور - كيف يكون ذلك اللقاء (١)

وان شئت أن تحلق مع سيد قطب رحمه الله تعالى في سماء الابداع
الأدبي وفضاء الألفاظ العذبة فاستمع أو أقرأ تفسيره
لقوله تعالى " ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح " (٢)
حيث يقول :

ومشهد النجوم في السماء جميل . ما في هذا شك . جميل
جمالا يأخذ بالقلوب . وهو جمال متجدد تتعدد ألوانه بتعدد
أوقاته ، ويختلف من صباح الى مساء ، ومن شروق الى غروب ، ومن
الليلة القمراء الى الليلة الظلماء . ومن مشهد الصفاء الى
مشهد الضباب والسحاب . بل انه ليختلف من ساعة لساعة
ومن مرصد لمرصد . ومن زاوية لزاوية . . وكله جمال وكله يأخذ بالألباب

(١) في ظلال القرآن : ج ٦ ص ٣٧٧٠ - ٣٧٧١

(٢) سورة الملك : ٥

هذه النجمة الفريدة التي تصوص هناك ، وكأنها عين
جميله ، تلمع بالمحبة والنداء !

وهاتان النجمتان المنفردتان هناك ، وقد خلصتا من
الزحام تتناجيان !

وهذه المجموعات المتضامة المتناثرة هنا وهناك ، وكأنها
في حلقة سمر في مهرجان السماء . وهي تجتمع وتفترق كأنها
رفاق ليلة في مهرجان !

وهذا القمر الحالم الساهى ليلة . والزاهى المزهول ليلة
والمنكسر الخفيض ليلة . والوليد المتفتح للحياة ليلة . والفانى
الذى يدلف للفناء ليلة . . !

وهذا الفضاء الواسع الذى لا يمل البصر امتداده ، ولا يبلغ
البصر آماده .

انه الجمال ، الجمال الذى يملك الانسان أن يعيشه
ويتملاه ، ولكن لا يجد له وصفا فيما يملك من الألفاظ والعبارات" (١)
وأقرأ ان شئت تفسيره لقوله تعالى " تبصرة وذكرى لكل عبدا
منيب" (٢) حيث يقول " تبصرة تكشف الحجب ، وتنير البصيرة وتفتح القلوب
وتصل الأرواح بهذا الكون العجيب وما وراءه من ابداع وحكمة وترتيب
تبصرة ينتفع بها كل عبد منيب ، يرجع الى ربه من قريب

وهذه هى الوصلة بين القلب البشرى وإيقاعات هذا الكون الهائل

(١) فى ظلال القرآن : ج ٦ ص ٣٦٣٣ - ٣٦٣٤

(٢) سورة ق : ٨

الجميل . هذه هي الوصلة التي تجعل للنظر في كتاب الكون والتعرف اليه أثرا في القلب البشري ، وقيمة في الحياة البشرية^(١) الخ . بهذا الأسلوب الذي يأخذ بالألباب كان سيد يعرض معاني الآيات القرآنية وبهذه الألفاظ الأدبية والمعاني البليغة كان يفسرها حتى كان بحق التفسير الأدبي المميز .

الأساس الثاني : تذوق النص القرآني

ونقصد بهذا المعنى دقيقا يشعر به كل من يواجه النصوص القرآنية ابتداء وينسكب في حسه بمجرد الاستماع لهذا القرآن وقد يستطيع ان يترجمه الى كلمات وقد لا يستطيع فييد وا على قسمات وجهه عجا ودهشة لروعة القرآن . . . يسمى هذا تذوقا للنص ويسميه آخرون انطبعا ذاتيا

واسمع الى سيد قطب رحمه الله تعالى يقول " ان في هذا القرآن سرا خاصا يشعر به كل من يواجه نصوصه ابتداء . قبل أن يبحث عن مواضع الإعجاز فيها . انه يشعر بسلطان خاص في عبارات هذا القرآن . يشعر أن هنالك شيئا ما وراء المعاني التي يدركها العقل من التعبير . وأن هنالك عنصرا ما ينسكب في الحس بمجرد الاستماع لهذا القرآن . يدركه بعض الناس واضحا ويدركه بعض الناس غامضا . ولكنه على كل حال موجود . هذا العنصر الذي ينسكب في الحس يصعب تحديد مصدره : أهو العبارة ذاتها ؟ أهو المعنى الكامن فيها ؟ أهو الصور والظلال التي تشعها ؟ أهو الإيقاع القرآني الخاص المتميز من إيقاع سائر القول المصوغ من اللغة ؟

(١) في ظلال القرآن : ج ٦ ص ٣٣٥٩

أهـى هـذه العنـاصر كلها مجتمعة ؟ أم انـها هـي وشـيء
آخـر ورائـها غـير محـدود ؟ !

ذلـك سر مودع فـى كل نص قرآنـى . يشـعر به كل من يواجـه
نصوص هـذا القرآن ابتداء . . ثم تأتـى ورائـه الأسرار المدركة بالتدبر
والنظر والتفكير فـى بناء القرآن كله " (١)

ولعلك تدرك مكانة هـذا السر عند سيد اذا علمت ان الأسرار
المدركة بالتدبر والنظر . . الخ تأتـى ورائـه

ولقد اعترف رحمه الله تعالى فـى موضع آخر أنه من المحال عليه
أن يترجم ايقاع القرآن الكريم فـى حسـه بالألفاظ والتعبيرات فيقول
" ان ايقاع هـذا القرآن المباشر فـى حـس محال أن أترجمـه فـى
ألفاظـى وتعبيراتـى ومن ثم أحـسد دائما بالفجوة الهائلة بين ما
استشعره منـه وما أترجمـه للناس فـى هـذه الظلال ! (٢)

وهذا هو ما يطلق عليه الأدباء الصلة بين القيم الشعورية
والقيم التعبيرية فـى العمل الأدبـى أما كيف يعبر الأديب بالألفاظ
للدلالة على تجاربه الشعورية الكامنة فيرى سيد قطب رحمه
الله تعالى " أن الانفعال بالتجربة الشعورية يسبق التعبير
عنها . . . وفى بعض الحالات يكون هذا الانفعال من التوهج
والحرارة والاشراق بحيث يغمر احساس الأديب ويجعله فى شبه نشوة
أو فى نصف غيبوبة . وأغلب ما تصيب هـذه الحالة الشعراء
. . . . وقد يتم الشاعر عمله فى هـذه الحالات الفذة ثم يراجعـه فيعجب
لنفسه كيف واتته القدرة على صوغ هـذه العبارات . وقد يقف أما م بعضها

(١) فـى ظلال القرآن : ج ٦ ص ٣٣٩٩

(٢) فـى ظلال القرآن ج ٤ ص ٢٠٣٨

معجبا متعجبا كما لو كان يشهد ها أول مرة لأنه لم
يتنبه لها كل التنبيه في أول مرة وقد عانيت
بنفسي حالات من هذا النوع كثيرة وأنا اكتب" التصوير
الفني في القرآن" وكذلك وأنا أكتب" في ظلال القرآن " فـ في
بعض الأحيان" (١)

ولكنه أحيانا ينفعل مع النص ويحس به يملاء مشاعره
ومع هذا لا يستطيع أن يعبر عنها تعبيرا كافيا خذ مثلا لذلك ما
قاله في تفسير قوله تعالى" تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض" (٢)
الآيات قال :- انهم جماعة خاصة ذات طبيعة خاصة وان كانوا
بشرا من البشر . . فمن هم؟ وما الرسالة؟ ما طبيعتها؟
كيف تتم؟ لماذا كان هؤلاء وحدهم رسلا؟ ومما اذا؟
اسئلة طالما أشفت أن أبحث لها عن جواب ! ان حسي ليفعم
بمشاعر ومعان لا أجد لها كفاء من العبارات ولكن لا بد من
تقريب المشاعر والمعاني بالعبارات" (٣)

كان رحمه الله تعالى يتفاعل مع النص القرآني تفاعلا
يجلوه كثيرا من المعاني ويوضح له حقيقة بعض الأحداث
والوقائع خذ مثلا لذلك ما قاله في تفسير قوله تعالى
" فاسجدوا لله واعبدوا" (٤) فقد سأل عن سبب سجود المشركين
عند سماعها وأجاب على ذلك :-

(١) النقد الأدبي : سيد قطب ص ٤٢ - ٤٣ باختصار

(٢) سورة البقرة : ٢٥٣

(٣) في ظلال القرآن : ج ١ ص ٢٧٨

(٤) سورة النجم : ٦٢

لقد بقيت فترة أبحث عن السبب الممكن لهذا السجود . ويخطر
لي احتمال أنه لم يقع، وانما هي رواية ذكرت لتعلييل
عودة المهاجرين من الحبشة بعد نحو شهرين أو ثلاثة
وهو أمر يحتاج الى التعلييل .

وبينما أنا كذلك وقعت لي تلك التجربة الشعورية الخاصة
التي أشرت اليها من قبل . .

كنت بين رفقة نسمر حينما طرق أسمعنا صوت قارئ للقرآن
من قريب، يتلو سورة النجم . فانقطع بيننا الحديث
لنستمع وننصت للقرآن الكريم . وكان صوت القارئ مؤثرا وهو
يرتل القرآن ترتيلا حسنا

وشيئا فشيئا عشت معه فيما يتلوه . عشت مع قلب محمد - صلى
الله عليه وسلم - في رحلته الى الملاء الأعلى . عشت
معه وهو يشهد جبريل - عليه السلام - في صورته الملائكية
التي خلقه الله عليها . ذلك الحادث العجيب المدهش
حين يتدبره الانسان ويحاول تخيله ! وعشت معه وهو في رحلته
العلوية الطليقة . عند سدرة المنتهى . وجنة المأوى . عشت
معه بقدر ما يسعفني خيالي وتحلق بي روائى ، ويقدر ما تطيق
مشاعري وأحاسيسي . . .

وتابعته في الاحساس بتهافت أساطير المشركين حول الملائكة
وعبادتها وبنوتها وأنوثتها . . الى آخر هذه الأوهام
الخرفة المضحكة، التي تنهاوى عند اللمسة الأولى
ووقفت أمام الكائن البشرى ينشأ من الأرض، وأمام الأجنه
في بطون الأمهات . وعلم الله يتابعها ويحيط بها

وارتجف كياني تحت وقع اللمسات المتتابعه في المقطع
الأخير من السورة . . الغيب المحجوب لا يراه الا الله . والعمل
المكتسوب لا يند ولا يغيب عن الحساب والجزاء . والمنتهى
الى الله في نهاية كل طريق يسلكه العبيد والحشود الضاحكة
والحشود الباكية . وحشود الموتى . وحشود الأحياء . والنطفة
تهتدي في الظلمات الى طريقها ، وتخطو خطواتها وتبرز
أسرارها فاذا هي ذكر أو أنثى . والنشأة الأخرى . ومصارع
الغابرين . والمؤتفكة أهوى فغشاهما ما غشى !

واستمعت الى صوت النذير الأخير قبل الكارثة الداهمه
" هذا نذير من النذر الأولى . أزفت الآزفة ليس لها من دون الله
كاشفة " . .

ثم جاءت الصيحة الأخيرة . واهتز كياني كله أمام التبكيت الرعيب
: " أفمن هذا الحديث تعجبون . وتضحكون ولا تبكون . وأنتم سامدون ؟

فلما سمعت : " فاسجدوا لله واعبدوا " . . كانت الرجفة قد سرت من
قلبي حقا الى أوصالي . واستحالت رجفة عضلية مادية ذات مظهر
مادى . لم أملك مقاومته . فظل جسمي كله يختلج ، ولا أتمالك
أن أثبته ، ولا أن أكفكف دموعا هاتته ، لا أملك احتباسها
مع الجهد والمحاولة !

وأدركت في هذه اللحظة أن حادث السجود صحيح ، وأن تعليله
قريب . انه كامن في ذلك السلطان العجيب لهذا القرآن
ولهذه الايقاعات المزلزلة في سياق هذه السورة . ولم تكن هذه
أول مرة أقرأ فيها سورة النجم أو أسمعها . ولكنها في
هذه المرة كان لها هذا الوقع ، وكانت منى هذه الاستجابة . وذلك سر

القرآن . . فهناك لحظات خاصة موعودة غير مرقوبة تمس
الآية أو السورة فيها موضع الاستجابة ، وتقع اللمسة التي
تصل القلب بمصدر القوة فيها والتأثير . فيكون منها ما يكون !

لحظة كهذه مست قلوب الحاضرين يومها جميعا . ومحمد
- صلى الله عليه وسلم - يقرأ هذه السورة يقرأها بكيانه
كله . ويعيش في صورها التي عاشها من قبل بشخصه
وتنصب كل هذه القوة الكامنة في السورة من خلال صوت
محمد - صلى الله عليه وسلم - في أعصاب السامعين فيرتجفون
ويسمعون : " فاسجدوا لله واعبدوا " ويسجد محمد والمسلمون . . .
(١) فيسجدون . . .

وقد يقرأ سيد رحمه الله تعالى النص ويكرر قرآته مرات
عديدة لكنه في كل هذه المرات لا يفهم النص كما يفهمه اذا تذكروا
واذا تفاعل معه واقرأ تفسيره لقوله تعالى " ان الله اشترى من
المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة " (٢) قال :
" هذا النص الذي تلوته من قبل وسمعتة ما لا أستطيع عدة
من المرات . وفي أثناء حفظي للقرآن وفي أثناء
تلاوته وفي أثناء دراسته بعد ذلك في أكثر من ربع قرن من
الزمان . . هذا النص حين واجهته في "الظلال" أحسست
أنى أدرك منه ما لم أدركه من قبل في المرات التي لا أملك عددا
على مدى ذلك الزمان " (٣) ثم ذهب رحمه الله تعالى

(١) في ظلال القرآن : ج ٦ ص ٣٤٢٠ - ٣٤٢١

(٢) سوره التوبه : ١١١

(٣) في ظلال القرآن : ج ٣ ص ١٧١٦

يجلو هذه المفاهيم التي لم يكن ليصل اليها لو لم يتفاعل مع النص ويتذوقه التدقيق الحق

وتذوق النص والتفاعل معه لا يكون نتاجه الفهم الدقيق للمعاني بل يظهر أثره على الجسد فقد يبكي ويسجد كما فعل في آخر سورة النجم وقد يقشعر جسده حين يقرأ قوله تعالى "حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين" (١) قال رحمه الله تعالى " ما قرأت هذه الآية والآية الأخرى " أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله " (٢) ما قرأت هذه الآية أو تلك الا وشعرت بقشعريرة من تصور الهول الذي يبلغ بالرسول هذا المبلغ . ومن تصور الهول الكامن في هذه الهواجس والكرب المزلزل الذي يرح نفس الرسول هذه الرجفة وحالته النفسية في مثل هذه اللحظات ، وما يحس به من ألم لا يطاق " (٣)

وأخيرا اقرأ ما جاء في مقدمته لتفسير سورة الانعام قال رحمه الله تعالى " . . . وهذه السورة - مع ذلك - تعالج موضوعها الاساسي بصورة فريدة انها في كل لمحة منها وفي كل موقف وفي كل مشهد ، تمثل الروعة الباهرة الروعة التي تبده النفس ، وتشده الحس ، وتبهر النفس ايضا وهو

(١) سورة يوسف : ١١٠

(٢) سورة البقرة : ٢١٤

(٣) في ظلال القرآن : ج ٤ ص ٢٠٣٦

يلاحق مشاهدتها وإيقاعها ومحياتها مبهورا ! نعم
هذه حقيقة ! حقيقة أجدها في نفسي وحسي وأنا
أتابع سياق السورة ومشاهدتها وإيقاعاتها ... " إلى أن
قال " والحياة في جو القرآن لا تعني مدارس القرآن وقرآته
والاطلاع على علومه ... ان هذا ليس " جو القرآن " الذي
نعنيه .. ان الذي نعنيه بالحياة في جو القرآن أن يعيش
الإنسان في جو وفي ظروف وفي حركة وفي معاناة
وفي صراع وفي اهتمامات ... كالتى كان ينزل فيها
هذا القرآن هذا هو الجو القرآنى الذى يمكن
أن يعيش فيه الإنسان فيتذوق هذا القرآن - فهو فى مثل هذا
الجو نزل ، وفى مثل هذا الخضم عمل والذين لا يعيشون
فى مثل هذا الجو معزولون عن القرآن مهما استغرقوا فى
مدارسه وقرآته والاطلاع على علومه والمحاولة التى
نبذلها لإقامة القنطرة بين المخلصين من هؤلاء وبين القُرَّان
ليست بالغة شيئا الا بعد أن يجتاز هؤلاء القنطرة ويصلوا
الى المنطقة الأخرى ، ويحاولوا أن يعيشوا فى جو القُرَّان
حقا بالعمل والحركة وعندئذ فقط سيتذوقون هذا القُرَّان
ويتمتعون بهذه النعمة التى ينعم الله بها على من يشاء" (١)

عفوا أيها الأحبه .. هل ينكر أحد بعد ذلك أثر التذوق
القرآنى فى التفسير؟ وهذا سيد قطب رحمه الله تعالى يعلن مرارا
أنه قرأ كثيرا من الآيات لكنه لم يدرك فى كل قرآته السابقة ما

(١) فى ظلال القرآن : ج ٢ ص ١٠١٥ - ١٠١٧ باختصار

أدركه بعد ما عاش فى الجووالقرآنى وتذوق القرآن
كان يتضح لسيد بعد ذلك كثير من المعانى وكثير من
الأحداث التى استعصى عليه فهمها من قبل وهذا تمييز
تفسيره رحمه الله تعالى عن كثير من التفاسير المعاصرة
والقديمة التى كانت تعنى بالنص بالنص وحده من غير أن تعيش
فى جوهه ومن غير أن تتفاعل معه فيتولد العطاء

حقا ان هذا الأساس ميزة من مزايا تفسيره لا يعرف أثره
ولا يدرك ما يفتح من المعانى الا من قرأ فى ظلال القرآن فليقرأه
من لم يفعل

الأساس الثالث : الواقعية ... الحركية

يتميز " فى ظلال القرآن " أن صاحبه لم يكتبه مرة واحدة
بل كتبه مرة تحت ظلال المنبر ومرة تحت ظلال السيوف كتبه
مرة بمداد قلمه وأخرى بمداء قلبه ! !

قلت - فيما سبق - أن سيدا رحمه الله تعالى أصدر من الظلال
ستة عشر جزءا ومن السجن أصدر باقيه . . من أول أجزاءه الى
الجزء السابع والعشرين منها ثم وفقه الله الى ادراك سمه
من سمات هذا الدين وخصيصة من خصائصه واكتشف المنهج الحركى
للقرآن الكريم فالتزمه فى الأجزاء الأربعة الأخيرة . . ورأى أنه
لا بد من إعادة النظر فيما كتب وان ينطلق فى ذلك من
ادراكه الجديد وقد كان له ذلك من الجزء الأول الى نهايه الجزء
الثالث عشر وأوائل الرابع عشر ثم عاجله الطغاة

وما ظنكم - أيها الأحبه - فى قاعدة دعت الى أن يعيد
كتابة تفسيره من أوله وأن يكتبه . . من جديد انها وريى

لقاعدة هامة ولأساس متين ، بل وكيف نسمح لأنفسنا باستكشاف منزلتها وسيد نفسه قد بين ذلك حيث يقول : -

" ونحن نوكد على هذه السمة في هذا القرآن . . سممه الواقعية الحركية . . لأنها في نظرنا مفتاح التعامل مع هذا الكتاب وفهمه و فقهه وادراك مرامييه واهدافه

انه لا بد من استصحاب الأحوال والملابسات والظروف والحاجات والمقتضيات الواقعية العملية التي صاحبت نزول النص القرآني

لا بد من هذا لادراك وجهة النص وأبعاد مدلولاته ، ولروئية حيويته وهو يعمل في وسط حي ، ويواجه حالة واقعة ، كما يواجه أحياء يتحركون معه أو ضده . وهذه الرؤية ضرورية لفقه أحكامه وتذوقها ، كما هي ضرورية للانتفاع بتوجيهاته كلما تكررت تلك الظروف والملابسات في فترة تاريخية تالية ، وعلى الأخص فيما يواجهها اليوم ونحن نستأنف الدعوة الإسلامية .

نقول هذه المقالة ونحن على يقين أنه لن يرى هذه الرؤية اليوم الا الذين يتحركون فعلا بهذا الدين في مواجهة الجاهلية الحاضرة ، ومن ثم يواجهون أحوالا وملابسات وظروفا وأحداثا كالتى كان يواجهها صاحب الدعوة الأولى - صلوات الله وسلامه عليه - والعصبة المسلمة معه . . من الاعراض والتولي عن هذا الدين فى حقيقته الكبيرة الشاملة ، التى لا تتحقق الا بالدينونة الكاملة لله وحده فى كل شأن من شؤون الحياة الاعتقادية والأخلاقية والتعبدية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية . . وما يلقونه كذلك من الايذاء والمطارده والتعذيب والتقتيل كالذى كانت تلك العصبة المختارة الأولى تبتلى - فى سبيل الله - به . . .

ان هؤلاء الذين يتحركون بهذا الدين في مواجهة الجاهلية ويواجهون به ما كانت تواجهه الجماعة المسلمة الأولى ... هم وحدهم الذين يرون تلك الرؤية . . . وهم وحدهم الذين يفقهون هذا القرآن ، ويدركون الأبعاد الحقيقية لمدلولات نصوصه . على النحو الذي أسلفنا . . . وهم وحدهم الذين يملكون استنباط فقه الحركة الذي لا يغني عنه فقه الأوراق في مواجهة الحياة المتحركة التي لا تكف عن الحركة!" (١)

وكثيرا ما يؤكد رحمه الله تعالى على هذا المنهج في التعامل مع النص القرآني يقول "مرة أخرى نجد أن هذا القرآن لا يكشف عن أسرارها الا للذين يخوضون به المعركة ويجاهدون به جهادا كبيرا ان هؤلاء وحدهم هم الذين يعيشون في مثل الجو الذي تنزل فيه القرآن ، ومن ثم يتذوقونه ويدركونه لأنهم يجدون أنفسهم مخاطبين خطابا مباشرا به كما خطبت به الجماعة المسلمة الأولى . فتذوقته وأدركته وتحركت به" (٢)

ويؤكد رحمه الله تعالى أن القرآن كان دائما في المعركة سواء أكان ميدانها القلوب بين تصورات الجاهلية وتصورات الاسلام أو كان الجوال خارجي بين الجماعة المسلمة واعدائها ويؤكد أن تلك المعركة ما تزال قائمه فالنفس البشرية هي النفس البشرية واعداء الأمة المسلمة هم أعداؤها والقرآن حاضر وبين أنسه

(١) في ظلال القرآن : ج ٤ ص ٢١٢٢

(٢) في ظلال القرآن : ج ٤ ص ١٨٩٤

لا نجاة للنفس البشرية ولا للأمة المسلمة الا بادخال
هذا القرآن في المعركة ليخوضها حية كاملة كما خاضها أول مرة
وأنة لا فلاح ولا نجاح ما لم يستيقن المسلمون بهذه الحقيقة (١)

ويصف القرآن بأنه كائن حي متحرك . . . يعمل ويتحرك في
وسط الجماعة المسلمة ويواجه حالات واقعة فيدفع هذه
ويقرر هذه ويدفع الجماعة المسلمة ويوجهها فهو في
عمل دائم . وفي حركه دائمة . . انه في في ميدان
المعركة وفي ميدان الحياة . . وهو العنصر الدافع المحرك
الموجه في الميدان (٢)

وكما أن تذوق النص القرآني وتعاطف القلب معه له أثره
في فهمه فان الظروف والأحداث الواقعة تطلق الطاقة
المكنونة في النص وهذا سيد رحمه الله تعالى يقرر هذا
بقوله " ان القرآن ليس كتابا للتلاوة ولا للثقافة . . . وكفى . . .
انما هو رصيد من الحيوية الدافعة ، وإحياء متجدد في
المواقف والحوادث ! ونصوصه مهيأة للعمل في كل لحظة ،
متى وجد القلب الذي يتعاطف معه ويتجاوب ، ووجد الظرف
الذي يطلق الطاقة المكنونة في تلك النصوص ذات السر العجيب" (٣)

وما قاله رحمه الله تعالى في التذوق وأثره وأنـه
يقرأ النص عدة مرات فلا يعرف منه ما يعرف إذا تفاعل مع النص وتذوقه
فانه يقول هنا أيضا :- " وان الانسان ليقرأ النص القرآني
مئات المرات ثم يقف الموقف ، أو يواجه الحادث ، فاذا النص القرآني

(١) في ظلال القرآن : ج ١ ص ١٨٠

(٢) في ظلال القرآن : ج ١ ص ٣٠٤ - ٣٠٥

(٣) في ظلال القرآن : ج ٥ ص ٢٨٣٦

جديد ، يوحى اليه بما لم يوح من قبل قط ويجيب
على السؤال الحائر ، ويفتي في المشكلة المعقدة ، ويكشف الطريق
الخافي ، ويرسم الاتجاه القاصد ، ويفيء بالقلب الى اليقين
الجازم فى الأمر الذى يواجهه والى الاطمئنان العميق
(١)
وليس ذلك لغير القرآن فى قديم ولا حديث "
واذا كانت الواقعية . . الحركية سمة من سمات هذا القرآن لها
الأثر الكبير فى تفسيره وجللاء معانيه فانها سمة
من سمات الدين كله ، وهذا سيد قطب رحمه الله تعالى
يجلو لنا ذلك بقوله " والسمة الثانية فى منهج هذا الدين
هي الواقعية الحركية فهو حركة ذات مراحل . كل مرحلة
لها وسائل مكافئة لمقتضياتها وحاجاتها الواقعية وكل
مرحلة تسلم الى المرحلة التى تليها . . . فهو لا يقابل
الواقع بنظريات مجردة . كما أنه لا يقابل مراحل هذا
الواقع بوسائل متجمدة . . . والذين يسوقون النصوص القرآنية
للاستشهاد بها على منهج هذا الدين فى الجهاد
ولا يراعون هذه السمة فيه ، ولا يدركون طبيعة المراحل التى
مر بها هذا المنهج ، وعلاقة النصوص المختلفة بكل مرحلة منها
الذين يصنعون هذا يخلطون خلطا شديدا ويلبسون منهج هذا
الدين لبسا مضللا ويحملون النصوص ما لا تحتمله من المبادئ
والقواعد النهائية ذلك أنهم يعتبرون كل نص منها كما لو كان نصا
نهائيا ، يمثل القواعد النهائية فى هذا الدين . ويقولون - وهم
مهزومون روحيا وعقليا تحت ضغط الواقع اليائس لدارى المسلمين
الذين لم يبق لهم من الاسلام الا العنوان - : - ان الاسلام لا يجاهد
الا للدفاع ! ويحسبون أنهم يسدون الى هذا الدين جميلا بتخليه

عن منهجه وهو ازالة الطواغيت كلها من الأرض جميعاً ،
وتعبيد الناس لله وحده واخراجهم من العبودية للعباد السـ
العبودية لرب العباد ! لا بقهرهم على اعتناق عقيدته
ولكن بالتخليفة بينهم وبين هذه العقيدة . . . بعد تحطيم الانظمة
السياسية الحاكمة ، أو قهرها حتي تدفع الجزية وتعلن
استسلامها والتخليفة بين جماهيرها وهذه العقيدة تعتنقها
أو لا تعتنقها بكامل حريتها . . . (١)

ويبقى سؤال أو سوءالان . . عن الواقعية . . . واقعية من ؟
والحركية . . . في مواجهة من ؟ . . . ويجب سيد
رحمه الله تعالى على هذا بقوله " وإذا كان " البيان " يواجه
العقائد والتصورات ، فان " الحركة " تواجه العقبات المادية
الأخرى - وفي مقدمتها السلطان السياسي القائم
على العوامل الاعتقادية التصورية ، والعنصرية والطبقية
والاجتماعية والاقتصادية المعقدة المتشابكة . . . وهما معا
- البيان والحركة - يواجهان " الواقع البشرى " بجمليته ،
بوسائل مكافئة لكل مكوناته . . . وهما معا

لا بد منهما لانطلاق حركته التحرير للانسان في الأرض . . .
" الانسان " كله في " الأرض " كلها . . . وهذه نقطة هامة
لا بد من تقريرها مرة أخرى ! (٢)

ثم وجه سيد رحمه الله تعالى - دعوة أشعر من حيث لا أدري بأنه
يقتصرها من سويداء قلبه - دعانا فيها نحن معشر

(١) في ظلال القرآن : ج ٣ ص ١٤٣٢ - ١٤٣٣

(٢) في ظلال القرآن : ج ٣ ص ١٤٣٤

المسلمين المعاصرين إلى إزالة الفجوة العميقة بيننا وبين القرآن وإلى إزالة الحجاب السميك بيننا وبين القرآن وسيظل هذا وذاك طالما نحن نتلوه أو نسمعه كأنه مجرد تراتيل تعبدية مهوومة لا علاقة لها بواقعيات الحياة البشرية اليومية التي تواجه الإنسان والتي تواجه هذه الأمة بينما هذه الآيات نزلت لتواجه نفوسا ووقائع وأحداثا حية ، ذات كينونة واقعية حية ووجهت بالفعل تلك النفوس والوقائع والأحداث توجيهها واقعيًا حيا ، نشأ عنه وجود ذو خصائص في حياة الإنسان ، بصفة عامة وفي حياة الأمة المسلمة بوجه خاص

ومن هنا فإن سيدا رحمه الله دعا هذه الأمة أن تتعامل مع القرآن كما تعاملت معه الأمة التي خاض بها معركة كبرى حولت تأريخها وتأريخ البشرية كلها معها وأن القرآن يملك أن يوجه الحياة الحاضرة وكأنما هو يتنزل اللحظة لمواجهتها في شؤنها الجارية وفي صراعها الراهن مع الجاهلية من حولها بنفس الحيوية ونفس الواقعية التي كانت له هناك يومذاك (١)

وأنظر إلى الجباه فأكارأقرأ في قسماتها سوءا . . وأنظر إلى الشفاه فأكاد أسمع عن الواقعية . . والحركة هذه أقرأ هناك وأسمع هنا نقدا مختلفا في سوءا . . قرأنا ما كتبت عنهما في الصفحات السابقة لكننا نراك مرة تنقل نصا لسيد رحمه الله تعالى يجعل الواقعية

(١) في ظلال القرآن : ج ١ ص ٣٤٨ بتصرف

والحركية سمة من سمات الدين ونراك أنت تجعلها سمة
من سمات تفسيرة فهل هذا تناقض منك ؟ أو هل بينهما
من صلة ؟

وأقول جوابا : نعم ان بينهما صلة ، صلة الفرع بالأصل
فالواقعية والحركية في الدين ولدتا عند سيد قطب رحمه الله
تعالى التزامهما في تفسيره فجاء تفسيره التزاما
لمنهج الدين فيهما

وان شئت بعد هذا أن تلمسهما في تفسيره فاعلم أنهما
أكثر ما يكونان فيه بل ان الواقعية عنده قد تولد عنها قواعد
أخرى برزت وعظمت حتى انفصلت

و من أغراض القرآن الأساسية ومنهجه الحركي انطلق سيد
قطب رحمه الله تعالى لبناء منهجه الحركي التربوي
وصارت الحركية والعمل والتفاعل مع النص المحور الذي يدور
عليه تفسيره فلا ثمرة لترديد ألفاظ القرآن أو ترتيبه تراتيل
مهمومة ما لم يتحول ذلك الى قوة دافعة والى طاقة محركة
تقود الانسان وينقاد لها

ونظرة عجيلى لتفسير سيد قطب رحمه الله تعالى تظهر بـ
شك أن وقفات سيد ونظراته وأفكاره ومناقشاته وعرضه وبيانه
كلها تتحقق فيها الواقعية الجديدة

وتبرز معالم هذه الحقيقة في صور شتى ومواضع عديدة فلم
يتناول الا الأمور الجادة النافعة ورتب عليها آثار عملية نتاجها
الفوائد الجمّة أما تلك الأمور التي لا يترتب عليها حكم أو فائدة فانه
يعرض عن الخوض فيها .

ولهذه القاعدة في التفسير عند سيد رحمه الله تعالى جاء تفسيره تحسبه - وقد استمدته من القرآن - علاجاً مفصلاً دقيقاً لقضايا العصر وكأنه إنما أنزل لهذا العصر ولعلاج أمراضه المختلفة .

ولعل مصدر الواقعية الجديدة قوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء أن تبد لكم تسوءكم وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم " (١) وقد اهتم سيد رحمه الله تعالى بهذه الواقعية الجديدة في هذه الآية فأورد ست روايات في سبب نزولها ، وأحاديث ثلاثة في النهي عن كثرة الأسئلة وأربعة أقوال عن السلف في النهي عن ذلك ومنهج السلف الواقعي الجد في السؤالات والاستفتاء والفتوى الذي لا يجيب إلا على ما وقع من الأمور وترك ما لم يقع (٢) ولذلك وصفه رحمه الله تعالى " بأنه منهج واقعي جاد . يواجه وقائع الحياة بالأحكام المشتقة لها من أصول شريعة الله مواجهة عملية واقعية " (٣)

وخذ مثلاً لتطبيقات سيد رحمه الله تعالى لهذا الأساس ففي تفسير قوله تعالى " إذ يوحي ربك إلى الملائكة أن أنزل معكم فثبتوا الذين آمنوا سألني في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا قوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان " (٤) لم يتناول - رحمه الله تعالى - إلا الآثار الدعوية والعملية لهذا النص وإحياءاته الاعتقادية والدلالات الحركية له ، وأعرض عن الخوض في تفصيل كيفية اشتراك الملائكة في المعركة وعن

(١) سورة المائدة : ١٠١

(٢) في ظلال القرآن : ج ٢ ص ٩٨٦ - ٩٨٨

(٣) في ظلال القرآن : ج ٢ ص ٩٨٧

(٤) سورة الانفال : ١٢

حصر قتلها من المشركين ، ولا كيف قتلهم الملائكة ، وهو ما خاض به بعض المفسرين ولم يخرجوا بنتيجة واقعية جادة ويصف سيد رحمه الله تعالى البحث في كيفية الافعال كلها بأنه ليس من الجد الذي هو طابع هذه العقيدة وطابع الحركة الواقعية بهذه العقيدة ولكن هذه المباحث صارت من مباحث الفرق الاسلامية ومباحث علم الكلام في العصور المتأخرة ، عند ما فرغ الناس من الاهتمامات الايجابية في هذا الدين ، وتسلبت الترف العقلي على الناس والعقول وان وقفة أمام الدلالة الهائلة لمعية الله سبحانه للملائكة في المعركة ، واشترك الملائكة فيها مع العصبة المسلمة لهي أنفع وأجدي (١)

وفي تفسير قوله تعالى " تبصرة وذكرى لكل عبد منيب " (٢) بين - رحمه الله تعالى - المراد بالتبصرة بأنها - تبصرة تكشف الحجب وتنير البصيرة وتفتح القلوب ، وتصل الأرواح بهذا ، الكون العجيب ، وما وراءه من ابداع وحكمة وترتيب . . . تبصرة ينتفع بها كل عبد منيب ، يرجع الى ربه من قريب " ولم يقف رحمه الله تعالى عند هذا البيان بل بين قيمة هذه التبصرة ومكانتها وكيف أهملتها مناهج البحث التي تسمى " علمية " حيث يقول " وهذه هي الوصلة بين القلب البشري وإيقاعات هذا الكون الهائل الجميل . هذه هي الوصلة التي تجعل

(١) في ظلال القرآن : ج ٣ ص ١٤٨٦

(٢) سورة ق : ٨

للنظر في كتاب الكون والتعرف اليه أثرا في القلب البشرى ، وقيمة في الحياة البشرية هذه هي الوصلة التي يقيمها القرآن بين المعرفة والعلم وبين الانسان الذى يعرف ويعلم . وهي التي تهملها مناهج البحث التي يسمونها " علمية " فى هذا الزمان فتقطع ما وصل الله من وشيجة بين الناس والكون الذى يعيشون فيه وكل معرفة أو علم أو بحث يقف دون هذه الغاية الحية الموجهة المؤثرة في حياة البشر هي معرفة ناقصة ، أو علم زائف ، أو بحث عقيم (١)

ولهذا المنهج أثره في ترك سيد رحمه الله تعالى تفسير بعض الأحكام التي لا وجود لها في واقع عصرنا الحاضر بغض النظر عن وجودها قبله أو حدوثها بعده فهو ينطلق من الواقع الجاد ، فلم يدخل في التفاصيل الفقهية الخاصة بالغنائم والأنفال وأخذ الجزية من الذميين من أهل الكتاب

وانطلاقا من هذا الأساس - أيضا - ترك الاطناب في كثير مما لا طائل تحته وليس له ثمرة ، ولم يجهد نفسه فى الكشف عما أبهمه القرآن . ولم يتوسع في التفسير العلمي بحيث يتجاوز واقع النص ومدلوله ، وأعرض عن الخوض فى الاسرائيليات ، ولم يتناول الاختلافات الفقهية الدقيقة ، ولم يتعمق في المفردات واشتقاقاتها وأصولها ، ولم يعتن باثارة المسائل اللغوية وكان وقافا عند حدود علم الغيب

(١) في ظلال القرآن : ج ٦ ص ٣٣٥٩ - ٣٣٦٠

فلم يسمح لنفسه أن يخوض فيه وتلقى نصوصه بالقبول دون تأويل أو تحريف ، كل هذا نراه أثرا من التزامه للواقعية الجديدة مما لا أثر كبير له في بناء المجتمع المسلم فكان أن أعرض عنها وتناول ما له أثر جاد في واقع المسلمين وقد برزت هذه الأمور التي أشرت إليها - في تفسيره - حتى أصبحت أسسا من أسس منهجه في التفسير وهي أثر من آثار هذا الأساس ، ولذا سنعرض لكل منها ان شاء الله بحد يث موجز استكمالا للإشارة إليها هنا

أما من ناحية الحركة وتطبيقاتها في تفسير القرآن الكريم فكثيرة منبثة في أغلب صفحاته وسطوره لا يترك الدعوة إليها ما وجد الى ذلك سبيلا ولذلك أصبحت هذه سمات من سمات الظلال وأساسا من أسس منهجه في التفسير لم يكد يمر بآيه الا وجعلها منطلقا للدعوة الى الله سبحانه والى التحرك بالقرآن في مواجهة الأعداء والى بيان طبيعة المنهج الحركي للدعوة الاسلامية المتجددة في كل زمان ومكان . . فهو يرسم بوحى من القرآن منهج الدعوه ومعالم الطريق وصفات القيادة ويرسم الخطط ويوضح السبيل .

ويبدى اهتماما شديدا بذلك فلا يكاد يمر بآية أمرا كانت أو نهيا خبرا أو قصة أو غير ذلك . . الا وجعلها نبراسا في طريق الداعية ومعلما من معالم الطريق .

وقف وقفاته تلك أمام قصة بنى اسرائيل مع موسى عليه السلام وأول ما استوقفه فيها ورودها مفصلة أوسع تفصيل ومكررة في مواضع عديدة .. فذهب رحمه الله تعالى يستخرج بعض هذه المعالم ويرسم الخطط .

ان بنى اسرائيل هم أول من واجه الدعوة الاسلامية بالعداء والكيد والحرب فى المدينة وفى الجزيرة العربية كلها فلم يكن بد من كشفهم للجماعة المسلمة لتعرف من هم أعداءها ما طبيعتهم ؟ وما تاريخهم ؟ وما وسائلهم ؟ وما حقيقة المعركة التى تخوض معهم ؟ .

وقد علم الله أنهم سيكونون أعداء هذه الأمة فى تاريخها كلها كما كانوا أعداء هدى الله فى ماضيهم كله فعرض لهذه الأمة أمرهم كله مكشوفاً ووسائلهم كلها مكشوفة .

وأنهم أصحاب آخر دين قبل دين الله الأخير ووقع منهم الانحراف فى العقيدة والنقض المتكرر لميثاق الله معهم ، ووقع فى حياتهم آثار هذا النقض وهذا الانحراف كما وقع فى أخلاقهم وتقاليدهم فاقضى هذا أن تلم الأمة المسلمة - وهى وارثة الرسالات كلها وحاضنته العقيدة الربانية بجمليتها - بتاريخ القوم وتقلبات هذا التاريخ وتعرف مزالق الطريق وعواقبها ممثلة فى حياة بنى اسرائيل وأخلاقهم لتضم هذه التجربة فى حقل العقيدة والحياة - الى حصيلة تجاربها وتنتفع بهذا الرصيد وتنفع على مدار القرون .

وأن الأمة المسلمة التى سيمتد تاريخها حتى تقوم الساعة ستصادفها فترات تمثل فيها فترات من حياة بنى اسرائيل فجعل أمام أئمة هذه الأمة وقادتها ومجددى الدعوة فى أجيالها الكثيرة نماذج من العقابيل التى تلم بالأمم يعرفون منها كيف يعالجون الداء بعد معرفة طبيعته .

وهناك جوانب شتى لحكمة الله تعالى فى تفصيل قصة بنى اسرائيل لا يملك معها - كما يقول - المضي أكثر من هذه الاشارات السريعة ثم بين - رحمه الله تعالى - بعض الجوانب التى قد يلاقيها الداعية وضرب أمثلة منها مما لاقاه موسى عليه السلام مع قومه . . جربهم وقصد

أخرجهم من أرض مصر وحررهم من الذل والهوان ، باسم الله
ويسلطان الله الذى فرق لهم البحر وأغرق لهم فرعون وجنده . فاذا هم
يمرون على قوم يعكفون على أصنام لهم ، فيقولون " يا موسى
اجعل لنا الهة كما لهم آلهة " (١) .. وما يكاد يغيب عنهم
في ميقاته مع ربه حتى يتخذ السامري من الحلي ..
عجلا ذهبيا له خوار ، وجربهم وقد فجر لهم من
الصخر ينابيع فى جوف الصحراء وأنزل عليهم المن والسلوى طعاما
سائغا فاذا هم يشتهون ما اعتادوا من أطعمة مصر - أرض الذل
بالنسبة لهم - فيطلبون بقلها وقثاءها وفومها وعدسها ويصلها
ولا يصبرون عما ألفوا من طعام وحياة فى سبيل العزة والخلاص
والهدف الأسمى الذى يسوقهم موسى اليه وهم يتسكعون ! وجربهم
فى قصة البقرة التى أمروا بذبحها فتكأوا وتسكعوا فى الطاعة
والتنفيذ " فذبحوها وما كادوا يفعلون " (٢) وجربهم وقد
عاد من ميقات ربه ومعه الألواح وفيها ميثاق الله عليهم وعهده فأبوا
أن يعطوا الميثاق وأن يمضوا العهد مع ربهم حتى وجدوا الجبل
منتوقا فوق رؤوسهم " وظنوا أنه واقع بهم " (٣)

واستمر سيد قطب رحمه الله تعالى فى هذا العرض الى أن وصل
الى قوله تعالى " قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهم ما
ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون وعلى الله فتوكلوا ان كنتم
مؤمنين " (٤) قال رحمه الله تعالى " هنا تبرز قيمة الايمان بالله

(١) سورة الأعراف : ١٣٨

(٢) سورة البقرة : ٧١

(٣) سورة الأعراف : ١٧١

(٤) سورة المائدة : ٢٣

والخوف منه ، فهذان رجلان من الذين يخافون الله ، ينشئ
لهما الخوف من الله استهانة بالجبارين ! ويرزقهما شجاعة
في وجه الخطر الموهوم ! وهذان هما يشهدان بقولتهما
هذه بقيمة الايمان في ساعة الشدة ، بقيمة الخوف من الله
في مواطن الوخب من الناس فالله سبحانه لا يجمع في
قلب واحد بين مخافتين مخافته - جل جلاله - ومخافة الناس والذي
يخاف الله لا يخاف أحدا بعده ، ولا يخاف شيئا سواه " ادخلوا
عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون " قاعدة في علم القلوب
وفي علم الحروب . أقدموا واقتحموا فمتى دخلتم على القوم
في عقد ارحم انكسرت قلوبهم بقدر ما تقوى قلوبكم ، وشعروا
بالهزيمة في ارواحهم وكتب لكم الغلب عليهم (١)

أرايتم كيف ينظر سيد الى القصة ينظر اليها من زاوية
الداعية فيبرز سمات الداعية ويضرب الأمثال لبعض العقبات التي
تواجه الدعوة وأثر الايمان والخوف من الله في النصر ويقتصر
من الآيات رحيقا يحقنه في شرايين القلوب فلا يملك صاحبها
الا ويجد في نفسه عزيمة على الحركة واصرار على الثبات

ولو أردت أن أسود الصفحات بذكر الامثلة لخشيت أن آتي
على آخرها ولم أبلغ منه مبلغا فمن أراد ذلك فليحمل
أجزاء تفسير " في ظلال القرآن " الستة بين يديه وليقرأها
كلها فإنه واجد في كل ورقه منها مبتغاه وإذا
كان الأمر كذلك فلا أحسبني قد أطلت . . ولو فعلت . . فهل تعذرون .

(١) في ظلال القرآن : ج ٢ ص ٨٦٨ - ٨٧٠ باختصار

الاساس الرابع : التفسير الجمالي الفني :-

استغرقت الاهتمامات الأدبية فترة طويلة من حياة سيد قطب رحمه الله تعالى ولم يحصرها في نطاقها الضيق بل حاول تطبيقها في رحاب نصوص القرآن الكريم وكانت أول مؤلفاته في ذلك " التصوير الفني في القرآن " ثم " مشاهد القيامة في القرآن "

وحين شرع في تفسيره " في ظلال القرآن " بعد ذلك لم تغب عن باله تلك الصور الجمالية في القرآن الكريم ووجد فيها وفي صحبتها المفتاح الذي اطلع به على كنوز من القرآن واهتدى به الى قواعد وسمات وآفاق وموضوعات الجمال الفني في القرآن الكريم

الفني ؟ ! ما الفن ؟ يرى سيد رحمه الله تعالى أن هناك ايضاحا واجبا ينبغي أن يقال بعد ما بدأت كلمة الفن يساء استخدامها أو يساء فهمها ، أو يساء تأويلها في مجال القرآن ويعترف بأنه حين اتخذها عنوانا لكتابه " التصوير الفني في القرآن " لم يكن لها في نفسه الا مدلول واحد هو جمال العرض، وتنسيق الأداء وبراعة الاخراج ، ولم يجل في خاطرة قط أن " الفني " بالقياس الى القرآن معناه المطلق أو المخترع أو القائم على مجرد الخيال (١)

وأكد هذا المفهوم في تفسيره في ظلال القرآن حين وصف الجمال الفني الصادق بأنه " الذي لا يعتمد على الخلق والتزويق ولكن يعتمد على ابداع العرض . . . وقوة الحق . . وجمال الأداء " (٢)

(١) التصوير الفني في القرآن : سيد قطب ص ٢٠٤ - ٢٠٥

(٢) في ظلال القرآن : ج ١ ص ٥٥

وكأنني بسائل يقول - في شبه اعتراض - أو ليس هذا الأساس هو الأساس الأول الذي تحدثت عنه في منهج سيد قطب رحمه الله تعالى ؟ وأقول لهذا السائل كلا اجمالا أما ان شئت البيان فان المراد بالجمال الفني هو تلك الصورة الرائعة التي ترسمها نصوص القرآن الكريم حتى لتحسب كل كلمة منه خطأ من خطوط الصورة أو ذلك المعنى السامي الذي تشوقه تلك النصوص أما الأساس الأول فهو حسن البيان والوصف لهذه الصورة القرآنية وحسن التعبير والبيان عن هذه المعاني السامية أما أن بينهما تداخلا فنعم وأما أنهما معنى واحد فلا

وقد يكتشف مفسر الصورة الجمالية الفنية في القرآن الكريم ويبرز أطرافها ويوضح خطوطها ومعالمها وظلالها واشراقها لكنه قد يسوق ذلك كله بأسلوب أدبي يزين الصورة جمالا الى جمالها وقد لا يستطيع فتبقى الصورة جميلة زاهية وحدها . وقد تميز تفسير سيد قطب رحمه الله تعالى بالجمع بين هذا وذاك .

واذ وضع الأمر فان منزلة الجمال في القرآن تالية لمنزلة الكمال * فالجمال في تصميم هذا الكون مقصود كالكمال . بل انهما اعتباراه لحقيقة واحدة . فالكمال يبلغ درجة الجمال . ومن ثم يوجه القرآن النظر الى جمال السماوات بعد أن وجهه النظر الى كمالها ^(١) " الذي خلق سبع سماوات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير ولقد زينا السماء

(١) في ظلال القرآن : ج ٦ ص ٣٦٣٣

الدنيا بمصابيح (١)

وقد عني سيد قطب بالعرض الجمالي الفني في القرآن الكريم فتوقف عند الجمال الفني في قوله تعالى " ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء ، فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ، ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ، ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك . إنما يخشى الله من عباده العلماء أن الله عزيز غفور " (٢) حيث قال رحمه الله تعالى :-

" انها لفئة كونية عجيبة من اللغات الدالة على مصدر هذا الكتاب . لفئة تطوف في الأرض كلها تتبع فيها الألوان والأصباغ في كل عوالمها . في الثمرات . وفي الجبال . وفي الناس وفي الدواب والأنعام . لفئة تجمع في كلمات قلائل ، بين الأحياء وغير الأحياء في هذه الأرض جميعا ، وتدع القلب مأخوذا بذلك المعرض الالهي الجميل الرائع الكبير الذي يشمل الأرض جميعا وتبدأ بانزال الماء من السماء ، وإخراج الثمرات المختلفة الألوان . ولأن المعرض معرض أصباغ وشيات فانه لا يذكر هنا من الثمرات الا ألوانها " فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها " وألوان الثمار معرض يديع للألوان يعجز عن ابداع جانب منه جميع الرسامين في جميع الأجيال فما من نوع من الثمار يماثل لونه لون نوع آخر . بل ما من ثمرة واحدة يماثل لونها لون أخواتها من النوع الواحد . فعند التدقيق في أي ثمرة أختين بيد وشيء من اختلاف اللون !

(١) سورة الملك : ٣ - ٥

وينتقل من ألوان الثمار الى ألوان الجبال نقلة عجيبة
في ظاهرها ، ولكنها من ناحية دراسة الألوان
تبدو طبيعية . ففي ألوان الصخور شبه عجيب بألوان الثمار
وتنوعها وتعدد ها ، بل ان فيها أحيانا ما يكون على
شكل بعض الثمار وحجمها كذلك حتى ما تكاد تفرق من الثمار
صغيرها وكبيرها !

ومن الجبال جدد بيض وحممر مختلف ألوانها وغرايب سود . .
والجديد الطرائق والشعاب . وهنا لفتة في النص صادقة
فالجدد البيض مختلف ألوانها فيما بينها . والجدد الحمر
مختلف ألوانها فيما بينها . مختلف في درجة اللون
والتظليل والألوان الأخرى المتداخلة فيه ، وهناك جدد غرايب
سود ، حالكة شديدة السواد .

واللفتة الى ألوان الصخور وتعدد ها وتنوعها داخل
اللون الواحد ، بعد ذكرها الى جانب ألوان الثمار ، تهز القلب
هزا ، وتوقظ فيه حاسة الذوق الجمالي العالي ، التي تنظر
الى الجمال نظرة تجريدية فتراه فى الصخرة كما تراه فى
الثمرة ، على بعد ما بين طبيعة الصخرة وطبيعة الثمرة ، وعلى
بعد ما بين وظيفتيهما فى تقدير الانسان . ولكن النظرة
الجمالية المجردة ترى الجمال وحدة عنصرا مشتركا بين هذ
وتلك ، يستحق النظر والالتفاف .

ثم ألوان الناس . وهى لا تقف عند الألوان المتميزة العامة
لأجناس البشر . فكل فرد بعد ذلك متميز اللون بين بنى جنسه . بل
متميز من توأمه الذى شاركه حملا واحدا فى بطن واحدة !

وكذلك ألوان الدواب والأنعام . والدواب أشمل والأنعام أخص
فالدابة كل حيوان . والأنعام هي الأبل والبقر والغنم
والماء . عز ، خصصها من الدواب لقربها من الإنسان والألوان
والأصباغ فيها معرض كذلك جميل كمعرض الثمار ومعرض الصخور سواء .

هذا الكتاب الكوني الجميل الصفحات العجيب التكوين والتلوين
يفتحه القرآن ويقلب صفحاته ويقول ان العلماء الذين يتلونـه
ويدركونه ويتدبرونه هم الذين يخشون الله :

" انما يخشى الله من عباده العلماء " الى أن قال
رحمه الله تعالى :-

" ان عنصر الجمال بيد و مقصود اقصد في تصميم هذا الكون وتنسيق
ومن كمال هذا الجمال أن وظائف الأشياء تؤدي عن طريق جمالها
هذه الألوان العجيبة في الأزهار تجذب النحل والفراش مع
الرائحة الخاصة التي تفوح . ووظيفة النحل والفراش بالقياس الى
الزهرة هي القيام بنقل اللقاح ، لتنشأ الثمار . وهكذا تؤدي الزهرة
وظيفتها عن طريق جمالها ! . . . والجمال في الجنس هو الوسيلة لجذب
الجنس الآخر اليه . لأداء الوظيفة التي يقوم بها الجنسان . وهكذا تتم
الوظيفة عن طريق الجمال .

الجمال عنصر مقصود قصدا في تصميم هذا الكون وتنسيق . ومن
ثم هذه اللفتات في كتاب الله المنزل الى الجمال فـي
كتاب الله المعروض (١)

(١) في ظلال القرآن : ج ٥ ص ٢٩٤٢ - ٢٩٤٣

وقد يكون الجمال الفني في استخدام التصوير وتشخيص

المعاني كوسيلة لبيانها ولا شك أن لهذا التصوير الفني أثره
البين في جلاء المعنى الكلي المجرد في المعنى الكلي المجرد يظل حائرا
في التصور البشري ومائعا حتى يتمثل في صورة
محسوسة ، ومهما أوتي العقل البشري من القدرة على التجريد
فانه يظل في حاجة الى تمثيل المعنى المجرد في صور
وأشكال وخصائص ونماذج ذلك شأنه مع المعاني المجردة
التي تمثل المحدود فكيف بغير المحدود ؟

لذلك يضرب القرآن الأمثال للناس ويقرب الى حسم معانيه
الكبرى بوضعها في صور ومشاهد ومحسوسات ذات مقومات
وخصائص وأشكال (١)

وان شئت مثلا لذلك فالأمثلة كثيرة أفردها - رحمه الله -
تعالى - بكتابه " التصوير الفني " في القرآن " ثم سار
عليها في الظلال وزادها صورا أخرى ومشاهد أخرى
نذكر منها تصويرا لمشهد من مشاهد يوم القيامة

فمن ذلك تفسيره لقوله تعالى " واستفتحوا وخاب كل جبار
عنيذ * من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد * يتجرعه
ولا يكاد يسغيه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت وممن
ورائه عذاب غليظ * (٢) حيث قال رحمه الله تعالى " والمشهد هنا
عجيب انه مشهد الخيبة لكل جبار عنيذ مشهد الخيبة في
الأرض . ولكنه يقف هذا الموقف ومن ورائه تخايل جهنم وصورتها

(١) في ظلال القرآن : ج٤ ص ٢٢٩٦ - ٢٢٩٧

(٢) سورة ابراهيم : ١٥ - ١٨

فيها وهو يسقى من الصديد السائل من الجسوم يسقاه بعنف
فيتجرعه غصبا وكرها ولا يكاد يسيغه لقزازه ومرارته والتقذر
والتكـرر باديان نكاد نلحمهما من خلال الكلمات
ويأتيه الموت بأسبابه المحيطة به من كل مكان ، ولكنه لا يموت
ليستكمل عذابه و من ورائه عذاب غليظ .

انه مشهد عجيب ، يرسم الجبار الخائب المهزوم ووراءه مصيره
يخايل له على هذا النحو المروع الفظيع وتشارك كلمة
"غليظ" في تقطيع المشهد ، تنسيقا له مع القوة الغاشمة التي كانوا
يهددون بها دعاة الحق والخير والصلاح واليقين " الى أن قال
في الآية التالية :-

" مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في
يوم عاصف . لا يقدرّون مما كسبوا على شيء " . ذلك هو الضلال البعيد^(١)

ومشهد الرماد تشتد به الريح في يوم عاصف مشهود معهمود
يجسم به السياق معنى ضياع الأعمال سدى لا يقدر أصحابها على
الامساك بشيء منها ولا الانتفاع به أصلا يجسمه في هذا
المشهد العاصف المتحرك فيبلغ في تحريك المشاعر له ما لا يبلغه
التعبير الذهني المجرد عن ضياع الأعمال وذهابها بددا

هذا المشهد ينطوى على حقيقة ذاتية في أعمال الكفار
فالأعمال التي لا تقوم على قاعدة من الايمان ولا تمسكها العروة
الوثقى التي تصل العمل بالبائع ، وتصل البائع بالله
... مفككة كالهباء والرماد لا قوام لها ولا نظام . فليس

المعول عليه هو العمل ، ولكن بباعث العمل . فالعمل حركة
آلية لا يفترق فيها الانسان عن الآلة الا بالباعث والقصد والغاية
وهكذا يلتقى المشهد المصور مع الحقيقة العميقة ، وهو يؤدي
المعني في أسلوب مشوق موح مؤثر " (١) وقد يكون المشهد تصويرا
لمعاني عقلية مجردة كالمن والأذى والرياء في الصدقات .
فمن ذلك تفسيره لقوله تعالى :-

" يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى ، كالذى
ينفق ماله رياء الناس ، ولا يوء من بالله واليوم الآخر ، فمثله كمثل
صفوان عليه تراب ، فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء
مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين . ومثل الذين ينفقون
أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنّة
برية أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين ، فان لم يصبها
وابل فطل ، والله بما تعملون بصير " (٢) حيث قال :-
هذا هو المشهد الأول

مشهد كامل من منظرين متقابلين وشكلا ووضعاً وثمره . وفي
كل منظر جزئيات يتسق بعضها مع بعض من ناحية فن الرسم
وفن العرض ، ويتسق كذلك مع ما يماثلة من المشاعر والمعاني التي
رسم المنظر كله لتمثيلها وتشخيصها واحيائها .
نحن في المنظر الأول أمام قلب صلد :

(١) في ظلال القرآن : ج٤ ص ٢٠٩٣ - ٢٠٩٤

(٢) سورة البقرة : ٢٦٤ - ٢٦٥

" كالذى ينفق ماله رثاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر" . .
فهو لا يستشعر ندوة الايمان وبشاشته . ولكنه يغطي هذه الصلادة
بغشاء من الرياء

هذا القلب الصلد المغطى بالرياء يمثله " صفوان عليه تراب"
حجر لا خصب فيه ولا ليونة ، يغطيه تراب خفيف يحجب صلادته
عن العين ، كما أن الرياء يحجب صلادة القلب الخالي من الايمان . .
" فأصابه وابل فتركه صلدا "

وذهب المطر الغزير بالتراب القليل ! فانكشف الحجر بجذبه
وقساوته ، ولم ينبت زرعة ، ولم يثمر ثمرة . . كذلك " اللب
الذى أنفق ماله رثاء الناس ، فلم يثمر خيرا ولم يعقب مثوبة !

أما المنظر الثاني المقابل له في المشهد . . . فقلب عامر
بالايمان ، ندى ببشاشته . ينفق ماله " ابتغاء مرضاة الله "
وينفقه عن ثقة ثابتة في الخير ، نابعه من الايمان ، عميقة
الذور في الضمير . . وإذا كان القلب الصلد وعليه ستار من الرياء
يمثله صفوان صلد عليه غشاء من التراب ، فالقلب الموءن يمثله جنة
جنة خصبة عميقة التربة في مقابل حفنة التراب على الصفوان . جنة
تقوم على ربة في مقابل الحجر الذى تقوم عليه حفنة التراب ! ليكون
المنظر متناسق الأشكال ! فإذا جاء الوابل لم يذهب بالتربة
الخصبة هنا كما ذهب بغشاء التراب هناك . بل أحيانا وأخصبها
ونماها

" فأصابها وابل فأتت أكلها ضعفين "
أحيانا كما تحي الصدقة قلب الموءن فيزكو ويزداد صلة بالله ويزكو
ماله كذلك ويضاعف له الله ما يشاء وكما تزكو حياة الجماعة المسلمة
بالانفاق وتصلح وتنمو :

" فان لم يصبها وابل " غزير " فطل من الرذاذ يكفي
في التربة الخصبة ويكفي منه القليل !

انه المشهد الكامل ، المتقابل المناظر ، المنسق الجزيئات ، المعروض
بطريقة معجزة التناسق والأداء ، الممثل بمناظره الشاخصة
لكل خالجة في القلب وكل خاطرة ، المصور للمشاعر والوجدانات
بما يقابلها من الحالات والمحسوسات ، الموحى للقلب باختيار
الطريق في يسر عجيب

ولما كان المشهد مجالا للبصر وللبصيرة من جانب ، ومرد الأمر فيه
كذلك الى رؤية الله ومعرفته بما وراء الظواهر ، جاء
التعقيب لمسة للقلوب :

" والله بما تعملون بصير "

فأما المشهد الثاني فتمثيل لنهاية المن والأذى ، كيف يمحــق
آثار الصدقة محقا في وقت لا يملك صاحبها قوة ولا عونــا
ولا يستطيع لذلك المحق ردا تمثيل لهذه النهاية البائسة فــي
صورة موحية عنيفة الايحاء . كل ما فيها عاصف بعد أمن ورخاء .

" أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها
الأنهار ، له فيها من كل الثمرات ، وأصابه الكبر وله ذريــة
ضعفاء ، فأصابها اعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله
لكم الآيات لعلكم تتفكرون " (١)

هذه الصدقة في أصلها وفي آثارها تمثل في عالم
المحسوسات

"جنة من نخيل وأعشاب تجرى من تحتها الأنهار ، له فيها
من كل الثمرات "

انها ظليلة وارفة مخصبة مثمرة. وكذلك الصدقة في طبيعتها
وفي آثارها . . كذلك هي في حياة المعطي وفي حياة الآخذ
وفي حياة الجماعة الانسانية . كذلك هي ذات روح وظل . وذات
خير وبركة ، وذات غذاء وري وذات زكاة ونماء !

فمن ذا الذى يود أن تكون له هذه الجنة - أو هذه الحسنة - ثم
يرسل عليها المن والأذى يمحقتها محقا ، كما يمحق الجنة الاعصار فيه
نار؟

ومتى؟ في أشد ساعاته عجزا عن انقاذها ، وحاجة الى
ظلمها ونعمائها !

" وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء . فأصابها اعصار فيه نار فاحترقت"
" من ذا الذى يود هذا؟ ومن ذا الذى يفكر في ذلك المصير
ثم لا يتقيّه ؟

" كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون "

وهكذا يقوم المشهد الحي الشاخص ، بما فيه أول الأمر من رضى ورفه ومتعة ،
وما فيه من نضارة وروح وجمال ثم بما يعصف به عصف من اعصار فيه نار
يقوم هذا المشهد العجيب بالايحاء الشعورى الرعيب الذى لا يـدع
مجالا للتردد فى الاختيار ، قبل أن تذهب فرصة الاختيار وقبل
أن يصيب الجنة الوارفة الظليلة المثمرة اعصار فيه نار !

وبعد فان التناسق الدقيق الجميل الملحوظ في تركيب كل مشهد
على حدة ، وفي طريقة عرضه وتنسيقه . . هذا التناسق لا يقف عند
المشاهد فرادى . بل انه ليمد رواقه فيشمل المشاهد متجمعة

من بدئها في هذا الدرس الى منتهاها . . انها جميعا تعرض في محيط متجانس . محيط زراعي ! حبة أنبتت سبع سنابل . صفوان عليه تراب فأصابه وابل . جنة بربوة فأتت أكلها ضعفين + جنة من نخيل وأعناب . . . حتى الوابل والطل والاعصار التي تكمل محيط الزراعة لم يخل منها محيط العرض الفني المثير .

وهي الحقيقة الكبيرة وراء العرض الفني المثير حقيقة الصلة بين النفس البشرية والتربة الأرضية . حقيقة الأصل الواحد وحقيقة الطبيعة والوحدة ، وحقيقة الحياة الثابتة في النفس وفي التربة على السواء وحقيقة المحق الذي يصيب هذه الحياة في النفس وفي التربة على السواء . (١)

انه القرآن . . . كلمة الحق الجميلة . . من لدن حكيم خبير

ومنها ما هو تصوير لمشاهد كونية للمتأمل فيها آية وأى آية فمن ذلك تفسيره لقوله تعالى " والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس" (٢) قال " فلفظ عسعس مؤلف من مقطعين : عس . عس . وهو يوحى بجرسه بحياة في هذا الليل ، وهو يعس في الظلام بيده أو برجله لا يرى ! وهو احياء عجيب واختيار للتعبير رائع . ومثله " والصبح اذا تنفس" . . . بل هو أظهر حيوية . وأشد احياء والصبح حي يتنفس . أنفاسه النور والحياء والحركة التي تدب في كل حي وأكاد أجزم أن اللغة العربية بكل مآثوراتها التعبيرية لا تحتوى نظيرا لهذا التعبير عن الصبح . ورؤية الفجر تكاد تشعر القلب المفتوح انه بالفعل يتنفس ! ثم يجيء هذا التعبير فيصور هذه

(١) في ظلال القرآن : ج ١ ص ٣٠٨ - ٣١٠

(٢) سورة التكويد : ١٧ - ١٨

الحقيقة التي يشعر بها القلب المتفتح . وكل متذوق لجمال التعبير والتصوير يدرك أن قوله تعالى " فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس ، والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس " (١) . . . ثروة شعورية وتعبيرية فوق ما يشير اليه من حقائق كونية ، ثروة جميلة بديعة رشيقة ، تضاف الي رصيد البشرية من المشاعر ، وهي تستقبل هذه الظواهر الكونية بالحس الشاعر (٢)

ولنقف مع سيد قطب رحمه الله تعالى عند مشهد من مشاهد تجسيم أحوال النفوس كأنها مشهد محسوس ضربه الله مثلا للمنافقين " أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في أذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين ، يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم ان الله على كل شيء قدير " (٣)

قال رحمه الله تعالى - انه مشهد عجيب ، حافل بالحركة مشوب بالاضطراب فيه تيه وضلال ، وفيه هول ورعب ، وفيه فزع وحيرة ، وفيه أضواء وأصداء ان الحركة التي تغمر المشهد كله : من الصيب الهاتل الى الظلمات والرعد والبرق الى الحائرين المفزعين فيه ، الى الخطوات المروعة الوجلة التي تقف عند ما يختم الظلام ان هذه الحركة في المشهد لترسم - عن طريق التأثير الياحائي حركه التيه والاضطراب والقلق والأرجحة التي يعيش فيها أولئك المنافقون . . . بين لقاءهم للمؤمنين ، وعودتهم للشياطين ، بين ما

(١) سورة التكوين : ١٧ - ١٨

(٢) في ظلال القرآن : ج ٦ ص ٣٨٤١ - ٣٨٤٢

(٣) سورة البقرة : ١٩ - ٢٠

يقولونه لحظة ثم ينكصون عنه فجأة . بين ما يطلبونه من هدى ونور وما يغيثون اليه من ضلال وظلام فهو مشهد حسى يرمز لحالة نفسية ويجسم صورة شعورية وهو طرف من طريقة القرآن العجيبة قبي تجسيم أحوال النفوس كأنها مشهد محسوس" (١)

قلت لكم ان هذه المشاهد كثيرة وان عرض سيد رحمه الله تعالى لها كثير أيضا و ما ذكرت ليس ليس أوضحها وليس أجملها ولكنه منها على كل حال . . .

تلکم مشاهد مركبة من صور ، وصور متعددة ، وقد يكون الجمال التعبيري والجمال الفني في مفردة خذ مثلا كلمة "أفـضـى" من قوله سبحانه وتعالى "وان أردتم استبدال زوج مكان زوج ، وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا" تأخذونه بهتاناً واثماً مبيناً وكيف تأخذونه وقد أفـضـى بعضكم الى بعض . وأخذن منكم ميثاقا غليظا" (٢) وقف رحمه الله تعالى وقفة عند كلمة أفـضـى استلهم منها كل الصور والظلال والايحاءات التي تحتويها ولا يدركها الا القليل قال " ويدع الفعل " أفـضـى " بلا مفعول محدد . يدع اللفظ مطلقا يشع كل معانيه ، ويلقى كل ظلاله ، ويسكب كل ايحاءاته . ولا يقف عند حدود الجسد وافضاءاته . بل يشمل العواطف والمشاعر والوجدانات والتصورات والأسرار والهموم ، والتجاوب في كل صورة من صور التجاوب . يدع اللفظ يرسم عشرات الصور لتلك الحياة المشتركة آناء الليل وأطراف النهار ، وعشرات الذكريات لتلك المؤسسة التي ضمتها فترة من الزمان . . . وفي كل اختلاجة حب افضاء ، وفي كل نظرة

(١) في ظلال القرآن : ج ١ ص ٤٦

(٢) سورة النساء : ٢٠ - ٢١

ود افضاء ، وفي كل لمسة جسم افضاء ، وفي كل اشتراك في ألم
أو أمل افضاء ، وفي كل تفكر في حاضر أو مستقبل افضاء ، وفي كل
شوق الي خلف افضاء ، وفي كل التقاء وفي وليد افضاء
كل هذا الحشد من التصورات والظلال والانداء والمشاعر والعواطف يرسمه
ذلك التعبير الموحى العجيب " وقد أفضى بعضكم الى بعض "
فيتضاءل الى جواره ذلك المعنى المادى الصغير ويخجل الرجل أن
يطلب بعض ما دفع ، وهو يستعرض في خياله وفي وجدانه ذلك الحشد
من صور الماضى ، وذكريات العشرة في لحظة الفراق الأسيف^(١)
أفلا يحق لنا - معشر الأحبة - وقد تغنى الأدباء ببلاغفة
بشار بن برد حين قال - وهو الأعمى - يصف معركة

كأن مشار النقع فوق رؤوسنا وأسيا فنا ليل تهاوى كوكبه
أن نتغنى بادراك سيد لهذه الشاعر والصور بين الرجل وزوجته
وهو الرجل الذى لم يتزوج ؟ ! ان كثيرا من المتزوجين لا يدركون بعضها
فكيف أدركها كلها انه توفيق الله وفضله ...

ومن ذلك تفسيره لكلمة "ككبوا" من قوله تعالى عن أصحاب الجحيم
" فككبوا فيها هم والغاوين " ^(٢) قال رحمه الله تعالى :-
" ... ككبوا ... واننا لنكاد نسمع من جرس اللفظ صوت تدفعهم
وتكفهم وتساقطهم بلا عناية ولا نظام ، وصوت الكركبه الناشئ من
الككببه ، كما ينهار الجرف فتتبعه الجروف . فهو لفظ مصور بجرسه
لمعناه " ^(٣)

(١) في ظلال القرآن : ج ١ ص ٦٠٦ - ٦٠٧

(٢) سورة الشعراء : ٩٤

(٣) في ظلال القرآن : ج ٥ ص ٢٦٠

ومنه تفسيره لكلمة " أنلزمكموها " من قوله تعالى على لسان
نوح عليه السلام مخاطبا قومه :- قال يا قوم أرأيتم ان كنت على بينة
من ربي ، وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها —
وأنتم لها كارهون ؟ " ^(١) قال رحمه الله تعالى فتحس
أن كلمة " أنلزمكموها " تصور جو الاكراه بادماج كل هذه الضمائر
في النطق وشد بعضها الى بعض كما يدمج الكارهون مع
ما يكرهون ويشدون اليه وهم نافرون ! وهكذا يبدلون من التناسق
أعلى من البلاغة الظاهرية وأرفع من الفصاحة اللفظية ^(٢) .
والجمال الفني في القرآن ليس في تجسيم الأحداث وتشخيصها
بصورة مركبة أو مفردة فحسب ، ولكنه أيضا في انتقاء المشهد والتقاطه
من الزاوية الجمالية فيه . خذ مثلا لذلك تفسيره لقوله تعالى
" ان الله فالحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت
من الحي ذلکم الله فأنی تؤفکون " ^(٣) وما بعدها
قال رحمه الله تعالى - " والجمال هو السمة البارزة
هنا الجمال الذي يبلغ حد الروعة الباهرة . . . المشاهد
منتقاة وملتبطة من الزاوية الجمالية والعبارات كذلك في بنائها
اللفظي الايقاعي ، وفي دلالتها والمدلولات ايضا - على كل ما
تزخر به الحقيقة الاصيل في هذه العقيدة - تتناول هذه الحقيقة
من الزاوية الجمالية فتبدو الحقيقة ذاتها وكأنما تتلاءم في
بهاء ! " ^(٤)

(١) سورة هود : ٢٨

(٢) في ظلال القرآن : ج٤ ص ١٨٢٣ (الهامش)

(٣) سورة الانعام : ٩٥

(٤) في ظلال القرآن : ج٢ ص ١١٥٢

مشاهد وقوالب للجمال الفني صاغها سيد قطب رحمه الله تعالى
فجاءت شاهدة وأى شاهدة على سمو المعاني وبلاغة التعبير
ومهارة التصوير ودقة الألفاظ - رحمه الله رحمه واسعه ونفع بعلمه

الأساس الخامس : استحياء النص دون مقررات سابقة : =

ولا يقصد - ولا نقصد - بالمقررات السابقة السنة النبوية أو علوم
القرآن الكريم أو اللغة ونحو ذلك مما لا بد من توفره عند المفسر قبل
مزاولته التفسير وإنما يقصد بها رواسب الثقافات التي لا تستقي
من القرآن ذاته وقد وضع - رحمه الله تعالى - ذلك بما لا يحتاج إلى
بيان حيث قال : " ومنهجنا في استلهاام القرآن الكريم ^٣ إلا نواجهه
بمقررات سابقة اطلاقا . لا مقررات عقلية ولا مقررات شعورية
ومن رواسب الثقافات التي لم نستقها من القرآن ذاته - نحاكم اليها
نصوصه أو نستلهم معاني هذه النصوص وفق تلك المقررات السابقة . لقد
جاء النص القرآني - ابتداءً لينشئ المقررات الصحيحة التي يريد الله
أن تقوم عليها تصورات البشر ، وأن تقوم عليها حياتهم وأقل ما يستحقه
هذا التفضل من العلي الكبير وهذه الرعاية من الله ذي الجلال - وهو
الغني عن العالمين - أن يتلقوها وقد فرغوا لها قلوبهم وعقولهم - من
كل غش وخيل ، ليقوم تصوره الجديد نظيفا من كل رواسب الجاهليات
- قد يمهأ وحدها على السواء مستمدا من تعليم الله وحده لا من
ظنون البشر ، التي لا تغني من الحق شيئا

ليس هناك إذن مقررات سابقة تحاكم اليها كتاب تعالى إنما
نحن نستمد مقرراتنا من هذا الكتاب ابتداءً . ونقيم على هذه المقررات
تصوراتنا ومقرراتنا وهذا - وحده - هو المنهج الصحيح في مواجهة
القرآن الكريم وفي استلهاامه خصائص التصور الاسلامي ومقوماته " (١)

(١) خصائص التصور الاسلامي ومقوماته : سيد قطب ص ١٤ - ١٥

ولذلك فانه رحمه الله تعالى ينكر على أولئك الذين يحسبون أن بعض أخبار القرآن وقصصه تمثيل وتخيل وعزا هذا الى أنهم يجيئون الى القرآن بتصورات مقررة سابقة في أذهانهم أخذوها من مصادر أخرى غير القرآن ثم يحاولون أن يفسروا القرآن وفق تلك التصورات السابقة المقررة في أذهانهم من قبل ومن ثم يرون الملائكة تمثيلا لقوة الخير والطاعة والشیاطين تمثيلا لقوة الشر والمعصية والرجوم تمثيلا للحفظ والصيانة . . الخ لأن في مقرراتهم السابقة قبل ان يواجهوا القرآن أن هذه المسميات : الملائكة والشیاطين أو الجن لا يمكن أن يكون لها وجود مجسم على هذا النحو وأن تكون لها هذه التحركات الحسية والتأثيرات الواقعية من أين جاءوا بهذا ؟ من أين جاءوا بهذه المقررات التي يحاكمون اليها نصوص القرآن والحديث ؟ (١)

ثم بين رحمه الله تعالى الطريق الأمثل لفهم القرآن وتفسيره فقال " ان الطريق الأمثل في فهم القرآن وتفسيره وفي التصور الاسلامي وتكوينه أن ينفذ الانسان من ذهنه كل تصور سابق وأن يواجه القرآن بغير مقررات تصورية أو عقلية أو شعورية سابقة وأن يبني مقرراته كلها حسب ما يصور القرآن والحديث حقائق هذا الوجود ومن ثم لا يحاكم القرآن الحديث لغير القرآن ولا ينفي شيئا يثبت القرآن ولا يؤوله ! ولا يثبت شيئا ينفيه القرآن أو يبطله

(١) في ظلال القرآن : ج ٦ ص ٣٧٣٠

وما عدا المثبت والمنفي في القرآن فله أن يقول فيه ما يهديه
اليه عقله وتجربته" (١)

وقد اعترف رحمه الله تعالى بأنه قد وقع في هذا الذي
يحذر الآن منه فيقول : " وما أبرئ نفسي أني فيما سبق
من مؤلفاتي وفي الأجزاء الأولى من هذه الظلال قد انسقت
الي شيء من هذا وأرجو أن أداركه في الطبعة
التالية اذا وفق الله وما أقرره هنا هو ما اعتقده الحق
بهداية من الله " (١)

وأكد رحمه الله تعالى على هذا الأساس حين جعله قاعدة
مأمونة في مواجهة النصوص القرآنية حيث يقول " ان هنالك قاعدة
مأمونة في مواجهة النصوص القرآنية انه لا يجوز لنا
أن نواجه النصوص القرآنية بمقررات عقلية سابقة . لا مقررات عامة
ولا مقررات في الموضوع الذي تعالجه النصوص . بل ينبغي
أن نواجه هذه النصوص لتلقى منها مقرراتنا . فمنها نتلقى
مقرراتنا الايمانية ومنها نكون قواعد منطقنا وتصوراتنا جميعا
فاذا قررت لنا أمرا فهو المقرر كما قررته ! ذلك أن ما نسميه
(العقل) ونريد أن نحاكم اليه مقررات القرآن عن الأحداث الكونية
والتاريخية والانسانية والغيبية هو افراز واقعنا البشري المحدود
وتجاربنا البشرية المحدودة " (٢)

وتصوروا مهـي - أيها الأحبه - رجلا كسيد قطب ، قضى روحا
من حياته في طلب العلم والتحصيل حتى جمع حصيلة علمية وفكرية

(١) في ظلال القرآن : ج ٦ ص ٣٧٣١

(٢) في ظلال القرآن : ج ٦ ص ٣٩٧٩

هائلة مزروجة بالتجربة - وحين دلف الى النص القرآني
ألقى على عتبة بابه كل هذا الخضم من العلوم والمعارف مستسلما
لمقررات القرآن الكريم ، ومبتدئا بمعارفه لذا فان القرآن
الكريم أعطى هذا الرجل ومن يعمل عمله أكثر مما أعطوا وأصدق
مما تركوا

ولا أريد أن أكثر من الأمثلة ولعل مثالا واحدا يغني عن كثير
منها لأن فيه وفاء بالمعنى والتزاما بالمنهج وتشبث به بل عض
عليه بالنواجذ ، ولم يقف رحمه الله تعالى في هذا المثال
الذي سنذكره - بشيء من التفصيل - عند حدود بيان مقررات القرآن بل
تجاوز ذلك الى الرد على الذين انزلوا الى بعض النظريات
التي تصادم ما قرره القرآن

وقد تحدث - رحمه الله تعالى - عن حقيقة التوحيد ورد على
الذين يزعمون أن التوحيد مرحلة تالية للتعدد في العقيدة فيزعمون
تطورها في تاريخ الانسان من التعدد الى دور التمييز ثم
دور التوحيد

تناول ذلك في حديثه عن قصة نوح عليه السلام مع قومه
والتي ساقها سورة هود ^(١) وبين - رحمه الله تعالى - أن آدم عليه
السلام هبط الى الأرض مسلما لله متبعا هداه وأن الاسلام هو أول عقيدة
عرفتها البشرية على الأرض حيث لم تكن معها عقيدة أخرى
وبين أن هذه الحقيقة تقودنا الى رفض كل ما يخطط فيه من يسمونهم
" علماء الأديان المقارنه " وغيرهم من التطوريين الذين يتحدثون
عن التوحيد بوصفه طورا متأخرا من أطوار العقيدة . سبقته

(١) انظر سورة هود : الآيات ٢٥ - ٤٩

أطوار شتى من التعدد والتثنية للآلهة . ومن تأليه القوى الطبيعية وتأليه الأرواح وتأليه الشمس والكواكب الى آخر ما تخط فيه هذه " البحوث " التي تقوم ابتداءً على منهج موجه بعوامل تاريخية ونفسية وسياسية معينة ، يهدف الى تحطيم قاعدة الأديان السماوية والوحى الالهى والرسالات من عند الله وإثبات أن الأديان من صنع البشر ، وأنها من ثم تطورت بتطور الفكر البشرى على مدار الزمان !

ويتزلق بعض من يكتبون عن الاسلام مدافعين فيتابعون تلك النظريات التي يقررها الباحثون في تاريخ الأديان - وفق ذلك المنهج الموجه - من حيث لا يشعرون ! وبينما هم يدافعون عن الاسلام متحمسين يحطمون أصل الاعتقاد الاسلامي الذي يقرره القرآن الكريم في وضوح حاسم . حين يقرر أن آدم - عليه السلام - هبط الى الأرض بعقيدة الاسلام وأن نوحا - عليه السلام - واجه ذراري آدم الذين اجتالهم الشيطان عن الاسلام الى الجاهلية الوثنية بذلك الاسلام نفسه القائم على التوحيد المطلق . . . وأن الدورة تجددت بعد نوح فخرج الناس من الاسلام الى الجاهلية ، وأن الرسل جميعا أرسلوا بعد ذلك بالاسلام . . . القائم على التوحيد المطلق . وأنه لم يكن قط تطور في العقيدة السماوية في أصل الاعتقاد - وانما كان الترقى والتركيب و التوسع في الشرائع المصاحبة للعقيدة الواحدة - وأن ملاحظه ذلك التطور في العقائد الجاهلية لا يدل على أن الناس صاروا الى التوحيد بناءً على تطور في أصل العقيدة . انما يدل على أن عقيدة التوحيد على يد كل رسول كانت تترك رواسس في الاجيال التالية - حتى بعد انحراف الأجيال عنها - ترقى عقائد هم

الجاهلية ذاتها ، حتى تصير أقرب الى أصل التوحيد الرباني
أما عقيدة التوحيد في أصلها فهي أقدم في تاريخ البشرية
من العقائد الوثنية جميعا ! وقد وجدت هكذا كاملة
منذ وجدت ، لأنها ليست نابعة من أفكار البشر ومعلوماتهم
المتروكة ، إنما هي آتية لهم من عند الله سبحانه وتعالى
فهي حق منذ اللحظة الأولى ، وهي كاملة منذ اللحظة الأولى .

هذا ما يقرره القرآن الكريم ، ويقوم عليه التصور الاسلامي - فلا
مجال - اذن - لباحث مسلم - وبخاصة اذا كان بدافس -
عن الاسلام ! - أن يعدل عن هذا الذي يقرره القرآن الكريم - في
وضوح حاسم ، الى شيء مما تخبط فيه نظريات علم الأديان المقارنه
تلك النظريات النابعة من منهج موجه كما أسلفنا ! (١)

ولأنه - رحمه الله تعالى - يسير على ما يقرره القرآن وما يوحى
به النص اليه فانه يجهر به ويعلنه لأنه ما من انسان
يعرف شيئا من الأدب يملك أن يقول : أنه يرى خيرا مما يرى الله -
ويعلن رحمه الله تعالى منهجه - إنما أنا أسير مع نص القرآن
وروحه فأجرح الى ذلك الرأي بايحاء النص واتجاهه (٢)

وكفى به منهجا سليما ومعينا نقيًا

الأساس السادس: الوحدة الموضوعية

جرى سيد و قطب رحمه الله تعالى على أن يقسم السورة الواحدة
الى مجموعات من الآيات يتناول كل مجموعه منها بدرس مستقل ولهم

(١) في ظلال القرآن : ج ٤ ص ١٨٨٢ - ١٨٨٣

(٢) علوم القرآن : الدكتور عدنان زرزور ص ٤٣١

ينقص هذا من منزلة الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم بل اهتم بها اهتماما واضحا في شتى جوانبها وأشكالها حتى عدّ الدكتور عدنان زرور " أول مفسر قى تاريخ القرآن الكريم أبرز الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية المفردة طالت أم قصرت ! أبرزه بشكل عملي مكتوب أو طبقه أروع تطبيق وأعمقه في كتابه العظيم رحمه الله والذين سبقوا سيدا من المفسرين منهم لم يلاحظها ولم يسلم بوجودها ومنهم من ذهب الى القول بها ولكنه عجز عن ملاحظتها وتقديرها فيما كتبه للناس من تفسير لكتاب اللطعالى ثم جاء سيد ليؤكد على هذه الوحدة المحورية في السورة الواحدة وليضع أيدينا بعد ذلك برفق وسهولة ولين على وجه الانتقال من موضوع الى موضوع " (١)

ونستطيع أن نستخلص الاقسام التالية للوحدة الموضوعية كما عرضها سيد قطب رحمه الله تعالى :- (٢)

- ١ - التناسب بين السورة والسورة التالية لها
- ٢ - التناسب بين دروس السورة الواحدة حسب تقسيماته رحمه

الله تعالى

- ٣ - التناسب بين مقاطع الدرس الواحد من السورة
 - ٤ - التناسب بين آيات المقطع الواحد
 - ٥ - التناسب بين كلمات الآية الواحدة والجملة فيها .
- تلك الأقسام ما هي الا معالم لوجوده الوحدة الموضوعية في تفسير سيد قطب رحمه الله تعالى

(١) علوم القرآن الدكتور عدنان زرور ص ٤٣١

(٢) انظر في ظلال القرآن دراسة وتقويم صلاح عبد الفتاح ص ٣٩٦

ويظهر هذا في الطريقة التي سلكها - رحمه الله - تعالى - في التفسير فقد قدم لكل سورة بمقدمة يدرس فيها آيات السورة كلها دراسة عامة يظهر فيها المحور الموضوعي الذي يدور عليه الآيات والهدف الذي تسعى لتقريره وملامح السورة وصورها وظلالها ومنهجها ، حتى يوقفك على سورة ذات شخصية متميزة ووحدة موضوعية متناسقة فكل سورة - كما يقول - من سور القرآن ذات شخصية متفردة وذات ملامح متميزة وذات منهج خاص وذات أسلوب معين وذات مجال متخصص في علاج هذا الموضوع الواحد . وهذه القضية الكبيرة انها كلها تتجمع على الموضوع والغاية ثم تأخذ بعد ذلك سماتها المستقلة ، وطرائقها المتميزة ومجالها المتخصص في علاج هذا الموضوع وتحقيق هذه الغاية . ان الشأن في سور القرآن - من هذه الوجهة كالشأن في نماذج البشر التي جعلها الله متميزة كلهم انسان ، وكلهم له خصائص الانسانية وكلهم له التكوين العضوي والوظيفي الانساني ولكنهم بعد ذلك نماذج متنوعة أشد التنوع نماذج فيها الأشباه القريبة الملامح ، وفيها الأغيار التي لا تجمعها الا الخصائص الانسانية العامة ! (١)

خذ مثلاً للوحدة الموضوعية في السورة القرآنية الوحدة لي سورة البقرة . . . فهذه السورة تضم عدة موضوعات ولكن المحور الذي يجمعها كلها محور واحد مزدوج يترابط الخطان الرئيسيان فيه ترابطاً شديداً . . . فهي من ناحية تدور حول موقف

(١) في ظلال القرآن : ج ٣ ص ١٢٤٣

بنى اسرائيل من الدعوة الاسلامية في المدينة ، و هي من
الناحية الأخرى تدور حول موقف الجماعة المسلمة في أول نشأتها . . . (١)
ثم بين رحمه الله تعالى مدى الارتباط بين محور السورة وموضوعاتها
من جهة ، وبين خط سير الدعوة أول العهد بالمدينة ، وحياة الجماعة
المسلمة و ملابساتها من جهة أخرى بالقاء الضوء على
مجمل هذه الملابسات التي ظلت الدعوة الاسلامية وأصحابها يواجهونها
- مع اختلاف يسير - على مرّ العصور وكرّ الدهور - من أعدائها
وأوليائها على السواء وقال في ختام هذا البيان
ومن ثم يتناسق البدء والختام . وتتجمع موضوعات السورة بين صفتين
من صفات المؤمن وخصائص الايمان " (٢)

وأحيانا يوضح رحمه الله تعالى الوحدة الموضوعية في
جزء كامل من القرآن ، فيقول مثلا عن جزء عم " هذا الجزء كله
ذو طابع غالب . . . سورة مكية فيما عدا سورتي " البينة " و " النصر "
وكلها من قصار السور على تفاوت في القصر ، والأهم من هذا
هو طابعها الخاص الذي يجعلها وحدة - على وجه التقريب - في
موضوعها واتجاهها ، وإيقاعها ، وصورها وظلالها
وأسلوبها العام

الى أن قال " وفي الجزء كله تركيز على النشأة الأولى للانسان والأحياء
الأخرى في هذه الأرض من نبات وحيوان . وعلى مشاهد هذا الكون
وآياته في كتابه المفتوح وعلى مشاهد القيامة العنيفة الطامة الصاخة
القارعة الغاشية ومشاهد الحساب والجزاء من نعيم وعذاب في صور تقـرّع

(١) في ظلال القرآن : ج ١ ص ٢٨
(٢) انظر في ظلال القرآن : ج ١ ص ٢٨ - ٣٥

وتذهل وتزلزل كمشاهد القيامة الكونية في ضخامتها وهولها
واتخاذها جميعاً دلائل على الخلق والتدبير والنشأة
الأخرى وموازينها الحاسمة . مع التقريع بها والتخويف والتحذير
... وأحياناً تصاحبها صور من مصارع الغابرين من المكذبين
والامثلة على هذا هي الجزء كله " (١)

وأحياناً يوضح رحمه الله تعالى الوحدة الموضوعية
بين دروس من السورة مرة وبينها وبين السورة كلها مرة أخرى . فقد
تحدث عن ثلاثة دروس في سورة البقرة يحوى أولها الآيات
من ٢٥٣ الى ٢٥٧ والثاني من ٢٥٨ الى ٢٦٠ والثالث
من ٢٦١ الى ٢٧٤ ثم قال عن هذه الدروس الثلاثة : " كانت الدروس
الثلاثة الماضية في هذا الجزء تدور - في جملتها - حول انشاء
بعض قواعد التصور الايماني وايضاح هذا التصور ، وتعميق جذوره
في نواح شتى . وكان هذا محطافي خط السورة الطويلة ، التي
تعالج - كما أسلفنا - اعداد الجماعة المسلمة للنهوض بتكالييف
دورها في قيادة البشرية

وربط الآيات من ٦٥ الى ٩٢ بسورتها آل عمران فقال هذا
الشوط من السورة ما يزال يجرى مع الخط الأول الأساسي العريض
فيها خط المعركة بين أهل الكتاب والجماعة المسلمة معركة
العقيدة " (٢)

وقسم سورة الرعد الى شطرين ينتهي الأول منهما بالآية
١٨ ثم ربط بين الشطرين بقوله " بعد المشاهد الهائلة في آفاق
الكون وفي أعماق الغيب وفي أغوار النفس التي أستعرضها شطر

(١) في ظلال القرآن : ج ٦ ص ٣٨٠٠ - ٣٨٠١

(٢) في ظلال القرآن : ج ١ ص ٣٠٤

السورة الأول ، يأخذ الشطر الثاني في لمسات وجدانية وعقلية وتصويرية دقيقة رفيقة حول قضية الوحي والرسالة وقضية التوحيد والشركاء ومسألة طلب الآيات واستعجال تأويل الوعيد . . . وهي جولة جديدة حول تلك القضايا في السورة" (١)

وسيد قطب رحمه الله تعالى - حريص على بيان الوحدة الموضوعية والربط بين الآيات والسور في كل موضع ولهذا ترى هذا اللون في تفسيره كثيرا كثيرا ، حتى تلك المواقف التي لا يتضح لذهنه موضع وحدتها ومصدر ربطها لا يتغافل عنه أو يدعي علما به فينمق العبارات التي يحاول أن يستتر بها عجزه بل يعترف رحمه الله تعالى بعجزه عن ادراكه ويطلب من القراء أن يرشدوه الى ما عجز عنه وأن يعلوه ما جهل

فقد وقف - رحمه الله تعالى - طويلا عند بيان مناسبة قوله تعالى " حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين" (٢) لمَّا قبلها من الآيات التي تحدثت عن بعض أحكام الأسرة في الاسلام كالزواج والمعاشرة والايلاء والطلاق والخلع والعدة والنفقة والمتعة والرضاعة والحضانة لم يدرك المناسبة حين كتب التفسير لأول مرة وفي الطبعة الأولى ولما وفقه الله الى ذلك في الطبعات التالية كان يذكر عجزه ذاك ويحمد الله أن هداه لهذا فيقول معلقا :-

" كنت قد عييت فتره عن ادراك سر هذا السياق القرآني العجيب وقلت في الطبعة الأولى لهذا الجزء وفي الطبعة المكملة للأولى : أشهد أنني وقفت أمام هذه النقلة طويلا لا يفتح عاى في سرها ولا أريد أن أتمحل لها ، ولا أقنع كل القناعة بما جاء في بعض التفاسير عنها وقلت : " ولكنني - كما قلت

(١) في ظلال القرآن : ج٤ ص ٢٠٥٦

(٢) سورة البقرة : ٢٣٨

مخلصا - لا أستريح الراحة الكافية لما اهدتني اليه . فاذا
هديت الى شيء آخر فسأبينه في الطبعة التالية
واذا هدى الله أحدا من القراء فليفضل مشكورا بما هداه الله
فالآن أطمئن الى هذا الفتح وأجد فيه الطريق
والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا
الله" (١)

انه بهذا مثال العالم المسلم الذي لا يقول فيما لا يعلم
ويسأل اذا جهل ويحمد الله اذا علم

واذا عجز عن بيان ذلك في موضع حتى ولو لم يكن في
الظلال غيره فانه يصرح بقوله " وأنا ، اللحظة لا أجد في هذا
القول ما يريح أيضا . . . ولكنه لم يفتح عليّ بشيء آخر "
ولا ينسى وهو المؤمن الاستعانة بالله في مثل هذا الموضوع
فيقول " والله المستعان " (٢)

نعم يصرح بـ لم يفتح عليّ بشيء وقد صرح بها من قبله مالك
رحمه الله تعالى فقال لا أدري فما زادت له الا سموا في
القلوب وما نقصته الا علوا في العلم !! وذهبت تلك الكلمة
مشعل نور في دياجير تحكي الورع الصادق عند علماء المسلمين .

واذا كانت تلك هي المرة الوحيدة التي لم يستطع فيها سيد
قطب رحمه الله تعالى بيان المناسبة بينها وبين الآيات
التي قبلها فان هذا يدل على توفيق الله تعالى له ببيان
المناسبة في كل المواضع الأخرى و يدل أيضا على عنايته
رحمه الله تعالى بالوحدة الموضوعية في القرآن الكريم

(١) في ظلال القرآن : ج ١ ص ٢٣٨

(٢) في ظلال القرآن : ج ٢ ص ٩٧٩

الاساس السابع : ترك الاطناب عما أبهم في القرآن الكريم

وما الذى يتصور غير ذلك من رجل يدخل التفسير دون مقررات

سابقة الا ما قرره الكتاب والسنة

فاذا كان القرآن نفسه أوجز الحديث عن أمر فمن أين يؤتى بدقائق تفصيله من غير سنة الرسول صلى الله عليه وسلم . لهذا فقد أعرض سيد رحمه الله تعالى عن الخوض فيما أبهمه القرآن الكريم ، ولم يرد بيانه في السنة ، وكان هذا من منهجه

فقال في تفسيره لقوله تعالى " ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وأعتدنا لهم عذاب السعير " (١) :- " وقد جرينا في هذه الظلال على قاعدة ألا نتزيد بشيء في أمر الغيبيات التي يقص الله علينا طرفا من خبرها ، وأن نقف عند حدود النص القرآني لا نتعداه ، هو كافي بذاته لاثبات ما يعرض له من أمور فنحن نؤمن أن هناك خلقا اسمهم الشياطين ، وردت بعض صفاتهم في القرآن ، وسبقت الإشارة اليها في هذه الظلال ، ولا نزيد عليها شيئا ونحن نؤمن أن الله جعل من هذه المصابيح التي تزين السماء الدنيا رجوما للشياطين في صورة شهب كما جاء في سورة أخرى " وحفظا من كل شيطان مارد " (٢) " الا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب " (٣) كيف ؟ من أى حجم ؟ في أى صورة ؟ كل ذلك لم يقل لنا الله عنه شيئا ، وليس

(١) سورة تبارك : ٥

(٢) سورة الصافات : ٧

(٣) سورة الصافات : ١٠

لنا مصدر آخر يجوز استقتاؤه في مثل هذا الشأن فلنعلم هذا وحده ولنوء من بوقوعه . وهذا هو المقصود ولو علم الله أن هناك خير في الزيادة أو الايضاح أو التفصيل لفعل سبحانه فما لنا نحن نحاول ما لم يعلم الله أن فيه خيرا ؟ : في مثل هذا الأمر أمر رجم الشياطين ؟ ! " (١)

و في قوله تعالى حكاية لقول الجن " وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا " (٢) قال : " أما أين يقف ذلك الحرس ؟ ومن هو ؟ وكيف يرمم الشياطين بالشهب ؟ فهذا كله مما لم يقل لنا عنه القرآن ولا الأثر شيئا ، وليس لنا مصدر سواهما نستقي منه عن هذا الغيب شيئا ، ولو علم الله أن في تفصيله خيرا لنا لفعل واذا لم يفعل فمحاولتنا نحن في هذا الاتجاه عبث ولا يضيف الى حياتنا ولا الى معرفتنا المثمرة شيئا ! " (٣)

وليس من الخير أيضا أن نطنب في بيان موقفه هذا وقد أتينا فيه بما يوفقنا على رأيه رحمه الله تعالى

الأساس الثامن : - التحذير من الاسرائيليات

ومثل موقفه ذاك كان موقفه من الاسرائيليات فقد كان رحمه الله تعالى - يرفض ايرادها في التفسير ويحذر منه ويعدّها أساطير لا سند لها صحيح .

(١) في ظلال القرآن : ج ٦ ص ٣٦٣٤

(٢) سورة الجن : ٨

(٣) في ظلال القرآن : ج ٦ ص ٣٧٣٠

قال رحمه الله تعالى في قوله سبحانه " حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور" ^(١) :- " وتتفرق الأقوال حول فوران التنور ، ويذهب الخيال ببعضها بعيدا وتبد ورائحة الاسرائيليات فيها وفي قصة الطوفان كلها واضحة . أما نحن فلا نضرب في متاهة بغير دليل في هذا الغيب الذي لا نعلم منه الا ما يقدمه لنا النص ، وفي حدود مدلوله بلا زيادة " ^(٢)

وبين رحمه الله تعالى موقفه منها في موضع آخر وهو يتحدث عن الطوفان ايضا حيث قال : - وبعد أكان الطوفان عاما في الأرض؟ أم أنه كان في تخوم الأرض التي بعث فيها نوح وأين كانت هذه الأرض وأين تخومها في العالم القديم وفي العالم الحديث ؟ أسئلة لا جواب عليهم الاسرائيليات التي الا الظن الذي لا يغني من الحق شيئا والا الاسرائيليات التي لا تستند الى دليل صحيح وليس لها بعد ذلك قيمة في تحقيق اهداف القصص القرآني في كثير ولا قليل "

الى أن قال : " وأساطير بني اسرائيل المدونة فيما يسمونه " العهد القديم " تحوى كذلك ذكرى طوفان نوح ولكن هذا كله . شيء لا ينبغي أن يذكر في معرض الحديث القرآني عن الطوفان ولا ينبغي أن يخلط الخبر الصادق الوثيق بمثل هذه الروايات الغامضة وهذه الأساطير المجهولة المصدر والأسانيد وأن كان لوجود هذه الأخبار الغامضة عن الطوفان عند شعوب شتى دلالة في أن الطوفان قد كان في أرض هذه الأقوام ، أو على الأقل قد رحلت ذكرياته من ذراى الناجين حين تفرقوا في الأرض بعد ذلك وعمرها الأرض من جديد . .

(١) سورة هود : ٤٠

(٢) في ظلال القرآن : ج٤ ص ١٨٧٧

وينبغي أن نذكر أن ما يسمى "بالكتاب المقدس" - سواء - في ذلك العهد القديم "المحتوى على كتب اليهود أو" العهد الجديد "المحتوى على أناجيل النصارى - ليس هو الذى نزل من عند الله . فالتوراة التي أنزلها الله على موسى قد حرقت نسخها الأصلية على البابليين عند سبي اليهود . ولم تعد كتابتها الا بعد قرون عديدة - قبل ميلاد المسيح بنحو خمسة قرون - وقد كتبها عزرا - وقد يكون هو عزير - وجمع فيها بقايا من التوراة . أما سائرها فهو مجرد تأليف وكذلك الأناجيل فهي جميعا لا تحوى الا ما حفظته ذاكرة تلاميذة المسيح وتلاميذتهم بعد نحو قرن من وفاة المسيح ^(١) - عليه السلام - ثم خلطت به حكايات كثيرة وأساطير ! ومن ثم لا يجوز أن يطلب عند تلك الكتب جميعها يقين في أمر من الأمور ! " ^(٢)

وقال في موضع آخر " . . . ولو قد سلمت التوراة من التحريف والزيادات لكانت مرجعا يعتمد عليه في شيء من تلك الأحداث ولكن التوراه أحيطت بالأساطير التي لا شك في كونها أساطير . وشحنت كذلك بالروايات التي لا شك في أنها مزيدة على الأصل الموحى به من الله ، فلم تعد التوراة مصدرا مستيقنا لما ورد فيها من القصص التاريخية واذن فلم يبق الا القرآن الذى حفظ من التحريف والتبديل هو المصدر الوحيد لما ورد فيه من القصص التاريخية " ^(٣)

(١) لا يقصد سيد رحمه الله تعالى بوفاة المسيح عليه السلام موته فقد توقف عن بيان كيفية وفاته وكيفية رفعه لأنه من علم الغيب كما يقول انظر ما قاله عن ذلك ج ١ ص ٤٠٣ وج ٢ ص ٨٠١ - ٨٠٣

(٢) في ظلال القرآن : ج ٤ ص ١٨٨١

(٣) في ظلال القرآن : ج ٤ ص ٢٢٩٠

ولهذا فانك لا تكاد تجد في تفسيره رحمه الله تعالى
رواية اسرائيلية يوليها اهتمامه أو يتلقاها بالقبول بل
كان يعيب على كثير من المفسرين السابقين عنايتهم بها .

١. الأساس التاسع : - ترك الاختلافات الفقهية

فلم يقلب رحمه الله تعالى كتابه الى كتاب في الفقه
بل كان يحيل في المسائل الفرعية الى كتب الفقه وأنه لا مجال
لايرادها في الظلال .

فقال عن آيات المواريث في سورة النساء مثلا " هذه الآيات
الثلاث تتضمن أصول علم الفرائض - أي علم الميراث - أما التفريعات
فقد جاءت السنة ببعضها نصا ، واجتهد الفقهاء في بقيتها
على هذه الاصول . وليس هنا مجال الدخول في هذه التفريعات
والتطبيقات فمكانها كتب الفقه - فنكتفي - في ظلال القرآن - بتفسير
هذه النصوص والتعقيب على ما تتضمنه من أصول المنهج الاسلامي " (١)
وفي قوله تعالى " حرمت عليكم الميتة والدم الآية " (٢)
أجمل الحديث عن أحكامها ولم يتوسع في بيانه ثم قال
" والتفصيل يطلب في كتب الفقه المختصة " (٣)

وفي قوله تعالى " فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام " (٤) . . .
وقال " وكون هذه الأيام الثلاثة متتابعة أو غير متتابعة فيه كذلك خلاف

(١) في ظلال القرآن : ج ١ ص ٥٩٠

(٢) سورة المائدة : ٣

(٣) في ظلال القرآن : ج ٢ ص ٨٤٠

(٤) سورة المائدة : ٨٩

فقهى بسبب عدم النصّ هنا على تتابعها . والخلافات الفقهية
في هذه الفرعات ليست من منهجنا في هذه الظلال فمن
أرادها فليطلبها في مواضعها في كتب الفقه (١)
ولعل في اشارته الصريحة بأن هذا ليس من منهجه في
الظلال يغني عن الاطالة في البيان

والذى ينبغي أن أذكره أن سيّدنا رحمه الله تعالى لم
يهمل الأحكام القرآنية وبيانها ولكنه لم يتوسع فيها توسع كتب الفقه أو توسع بعض
المفسرين وإنما كان يشير الى المسائل الفقهية بعبارة موجزة ثم
يحيل على كتب الفقه لمن أراد الاستقصاء

الاساس العاشر : اجتناب الاغراق في المسائل اللغوية

عندما أصدر سيد قطب رحمه الله تعالى كتابه " مشاهد
القيامة في القرآن " قال في مقدمته عن القرآن الكريم " والقرآن : هذا
الكتاب المعجز الجميل هو أنفس ما تحويه المكتبة العربية على الإطلاق
فلا أقل من أن يعاد عرضه ، وأن ترد اليه جدتـــــــــــــــــه ،
وأن يستنقذ من ركام التفسيرات اللغوية والنحوية والفقهية والتاريخية
والاسطورية أيضا " (٢)

X
وحيث ألف " في ظلال القرآن " لم ينسى ^{يسى} هذا فنص في مقدمته
على محاولته لذلك فقال " كل ما حاولته ألا أغرق نفسي في
بحوث لغوية أو كلامية أو فقهية تحجب القرآن عن روعي وتحجب روعي

(١) في ظلال القرآن : ج ٢ ص ٩٧١
(٢) مشاهد القيامة في القرآن : سيد قطب ص ٩

عن القرآن وما استطردت الى غير ما يوحيه النص القرآني ذاته
من خاطرة روحية أو اجتماعية أو انسانية . وما أحفل القرآن بهذه
الايحاءات" (١)

ولا يعني هذا بحال من الاحوال أن سيداً غفل الحديث عن
مسائل اللغة والنحو والبلاغة فقد عرض فيه لهذا في عدة مواضع
لكنه يعرض لها ان عرض للاستدلال على معانى الآيات وما تحويها
من اشارات ولم يعرض لها كهدف وغاية بدليل أنه يورد عند وقفاته
النحوية أو اللغوية أو البلاغية سر ورود الآية بهذا التركيب
البلاغي أو الصيغة النحوية

وخذ مثلاً ذلك تفسيره لقوله تعالى " عن ابني آدم عليه
السلام : - " واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق اذ قريا قربانا
فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال انما
يتقبل الله من المتقين " (٢) فقد وقف رحمه الله تعالى عند كلمة
" فتقبل " فقال : - " والفعل مبني للمجهول ليشير بناؤه هكذا الى
أن أمر القبول أو عدمه موكل الى قوة غيبية والى كيفية غيبية وهذه الصياغة تفيدنا
أمرين : الأول ألا نبحث عن كيفية هذا التقبل ولا نخوض فيه كما خاضت
كتب التفسير في روايات نرجح أنها مأخوذة عن أساطير " العهد
القديم " والثاني : الايحاء بأن الذى قبل قربانه
لاجريرة له توجب الحفيظة عليه وتبييت قتله ، فالأمر لم يكن له يد فيه ، وانما
تولته قوة غيبية بكيفية غيبية ، تعلو على ادراك كليهما وعلى مشيئة

(١) فى ظلال القرآن : ج ١ ص ٦ الطبعة الاولى

(٢) سورة المائدة : ٢٧

فما كان هناك مبرر ليحنق الأخ على أخيه ، وليجيش خاطر القتل في نفسه " (١)

بهذا الأسلوب كان يعرض سيد رحمه الله تعالى للمساءل اللغوية يجعلها وسيلة لا غاية ولا يقف عندها الا بمقدار دلالتها على ما في الآية لا ما فيها مما هو خارج عن استعمال الآية

الاساس الحادى عشر : رفض التفسير العلمي

وعمداً آخرت هذا الأساس في منهجه لعل القارىء يستخرج منه بنفسه من استقراء الاسس السابقة

ما الذى تتوقعه من رجل يستوحى النص دون مقررات سابقة ويقف حيث يقف النص ويعرض عن الاطناب فيما أبهمه القرآن ويحذر من الاسرائيليات ويترك الخوض في الاختلافات الفقيهية ويجتنب الاغراق في المسائل اللغوية يفعل كل هذا محافظة على الوقوف عند مدلول النص وعند ما يقرره النص

من يستقرئ هذه الأسس عند سيد قطب رحمه الله تعالى يظهر له أن سيداً سيرفض التفسير العلمى

ولهذا فقد اعتبرته من الرافضين للتفسير العلمى وأوردت نصوصاً مطولة من تفسيره رحمه الله تعالى في الفصل الثالث من الباب الثانى من هذه الدراسة

وبينت هناك أيضاً لم اعتبرته من الرافضين اضافه الى هذا السبب الذى ذكرته هنا ولا أرى ثمرة لإعادة ما قلته هناك فانظر إليه في محله .

(١) في ظلال القرآن : ج ٢ ص ٨٧٥

هذه فيما أرى أهم الاسس التي يقوم عليها منهج سيد قطب رحمه الله تعالى في تفسيره " في ظلال القرآن " ولا أنكر أن هناك من الأسس ما يعد وجها آخر أو مماثلا لما ذكرته من الأسس ولكني رأيت أن أدمج ما تماثل منها وحسبت أني لو أفردت كل واحد منها مستقلا عن الآخر لعد هذا عليّ اطنابا مملا وتفريقا مخلا رأيت أن الافضل تحاشيه والبعد عنه

ملاحظات على هذا التفسير:

جل من لا عيب فيه وعلا ، ما كتب أحد من البشر كتابا الا ويدا فيه موضع نقص وموضع عيب ، ولو أعاد بنفسه النظر فيما كتب لوجد من ذلك شيئا منها ما يعرف عذره فيه ومنها ما لا يرى فيه عذرا

كتب سيد قطب رحمه الله تعالى تفسيره وطبعه الطبعة الاولى ولما أعاد النظر فيه كادت التعديلات أن تكون تفسيراً جديداً وجاءت بأكثر من ضعف حجم الكتاب أولاً

ولا شك أن لا ندعي عصمة لسيد قطب رحمه الله تعالى ولا لتفسيره ولكن هذا لا يبرر لنا أن ننفي بأفواهنا في هفواته الصغيرة حتى تبد وكبيرة فليست هذه من شيم المؤمنين وليست من أخلاقهم

والله سبحانه وتعالى جعل للميزان كفتين كفه للحسنات وكفه للسيئات ويخطيء منا نحن البشر من لا يجعل للناس الا كفة واحدة يزن بها أعمالهم فانه حينئذ لن يصل الى الوزن الحق ، ويخطيء من ينظر الى كفه الحسنات وقد ثقلت وينظر الى كفه السيئات وقد خفت فيزد بالثانية ولا يحمد بالأولى أو ليست الحسنات يذهبن السيئات اذا فما باله كذلك

ولقد أشرت الى بعض محاسن تفسير سيد قطب رحمه الله تعالى وأبرزت وجهها الناصع وما لم أذكر أكثر مما ذكرت ومن الحق أن أشير اشاره سريعة الى بعض المآخذ التي أخذت على سيد قطب رحمه الله تعالى في تفسيره وكان حقها أن تهمل ولا تذكر تظلماتها محاسن تفسيره ومزاياه الكبرى كالشمس تطلع فتخفي النجم . ولكننا ننظر بعين من يقول هذا ويقول ذاك التماسا للحق

ففي التفسير بالمأثور نرى سيد قطب رحمه الله يولييه اهتماما ويورد كثيرا من الأحاديث في تفسيره لكنه أحيانا يورد تفسيره خاليا من أحاديث صريحة صحيحة وأحيانا يورد بعض الأحاديث الضعيفة من غير بيان درجتها وينسبها أحيانا لغير كتب الرواية

ولتعلقه رحمه الله تعالى بالأسلوب الأدبي فقد كان - غفر الله لنا وله - يقع أحيانا في أساليب أدبية بحثه لم تهذبها العقيدة الصحيحة ولعل مرد ذلك أن ثقافة سيد رحمه الله تعالى كانت فسي أولها ثقافة أدبية تحول بعدها الى الدراسة الشرعية وراح يستدرك بالأخيرة ما أوقعته فيه الأولى وفات عليه في استدراكه هذا عبارات ومنها قوله عن توكل المؤمن على ربه واطمئنا نه الى موقفه وطريقه " انها كلمة المطمئن الى موقفه وطريقه . الماليء يديه من وليه وناصره " (١) ومنها وصفه للبشرية بأنها " لن تجد السعادة الا حين ترد الفطرة البشرية الى صانعها الكبير كما ترد الجهاز الزهيد الى صانعه الصغير " (٢) ومنها وصفه للصلة بين العبد وربّه

(١) في ظلال القرآن : ج٤ ص ٢٠٩١

(٢) في ظلال القرآن : ج١ ص ١٥

" حين يرفع الله عباده الذين يؤثرونه ويحبونه الى مرتبة يتخرج القلم من وصفها لولا أن فضل الله وجود بها مرتبة الصداقة
الصداقة بين الرب والعبد ... " (١) !!! ونحو ذلك من العبارات التي لا نرتضيها ولا نظنه رحمه الله تعالى وغفر لنا وله الا وقد كتبها اثناء تأثره بالثقافة الأدبية وقبل أن تصقل فكرة الدراسة الشرعية وفات عليه استدراكها بعد ذلك

ومن الملاحظات ايضا تحديده وقت الامساك للصائم في قوله تعالى " كلوا وأشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر " (٢) بأنه قبل طلوع الشمس بقليل واننا نمسك الآن وفق المواعيد المعروفة في قطرنا هذا قبل أوان الامساك الشرعي ببعض الوقت ربما زيادة في الاحتياط " (٣) وهذا القول لم يقل به أحد من قبله

ومن الملاحظات ايضا أن التزامه لمنهج الواقعية في التفسير - كما أشرت اليه - قد أوقعه في موقف من الفقه غير سليم ففي تفسيره مثلا لقوله تعالى " وأعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه
الآية " (٤) قال رحمه الله تعالى " ان موضوع الغنائم بجملة ما ليس واقعا اسلاميا يواجهنا اليوم أصلا فنحن اليوم لسنا امام قضية واقعة ، لسنا أمام دولة مسلمة وامامة مسلمة وأمة مسلمة تجاهد في سبيل الله ثم تقع لها غنائم تحتاج الى التصرف فيها ...
... ليس هناك قضية غنائم ، لأنه ليس هناك قضية جهاد
والمنهج الاسلامي منهج واقعي ، لا يشتغل بقضايا ليست قائمة

(١) في ظلال القرآن : ج ٦ ص ٢٨٧٥

(٢) سورة البقرة : ١٨٧

(٣) في ظلال القرآن : ج ١ ص ١٧٥

(٤) سورة الانفال : ٤١

بالفعل ، ومن ثم لا يشتغل أصلاً بأحكام تتعلق بهذه القضايا التي لا وجود لها من ناحية الواقع ! انه منهج أكثر جدية وواقعية من أن يشتغل بالأحكام ! هذا ليس منهج هذا الدين ———— هذا منهج الفارغين الذين ينفقون أوقات الفراغ في البحوث النظرية وفي الأحكام الفقهية ، حيث لا مقابل لها من الواقع أصلاً بدلاً من أن ينفقوا هذه الجهود في إعادة إنشاء المجتمع المسلم من أجل هذا الإدراك لجدية المنهج الحي الواقعي الحركي لهذا الدين لا تدخل هنا في تلك التفصيلات الفقهية الخاصة بالأنفال والغنائم حتى يحين وقتها عندما يشاء الله وينشأ المجتمع الاسلامي ، ويواجه حالة جهاد فعلي ، تنشأ عنه غنائم تحتاج الى أحكام " (١)

وينبغي أن أبين أنه لا يريد بالفقه هنا كل الفقه بدليل أنه عرض لكثير من مسائل - وان كان في ايجاز - وانما يريد به المسائل الفقهية التي لا وجود لها في واقع المسلمين المعاصر .

ثم ان هذه المسائل التي عاب الخوض فيها لم يطلب الغاؤها وانما تأجيل الحديث عنها الى أن توجد الحاجة لها في أرض الواقع

وقد ظنه بعض الناس - لأجل هذا - ومنهم مغرض ينطوى على كيد ومكر ومنهم غيور على الحق لم يستوعب الأمر من أطرفه . ظن هو - أن سيد رحمه الله تعالى يسعى للقضاء على الفقه والى اهدار الجهود الكبيرة التي بذلها الفقهاء على مدار القرون .

(١) في ظلال القرآن : ج ٣ ص ١٥١٨ - ١٥١٩ باختصار

وعلى كل حال نحن لا نبرئ سيد قطب رحمه الله تعالى ولكننا
لا نؤيد أولئك الذين نفخوا في زلته حتى بدت كالجبال

و نلتمس له عذرا بأن كلامه هذا صدر عن انفعال وحماس وتأثر
وأنه نفثه مصدر وزفرة مكلوم^(١) اطلع على واقع العالم
الاسلامي من زاوية لم ينظر منها أولئك فقال ما قال ، وكان
الأولى أن لا تصدر عنه مثل هذه العبارات أما وقد صدرت فانا
ندعولنا وله بالرحمة والمغفرة و نلتمس له عذرا مادام لم يقل كفرا

ومن ناحية منهجية فانا نلاحظ على سيد قطب رحمه الله
تعالى الاستطراد في أبحاث لا رابطة قوية لها بالآية التي يفسرها
وكأنه رحمه الله تعالى - يلتمس منفذا ينفذ منه الى تشخيص
داء العالم الاسلامي المعاصر واظهار علاجه وكأنه يخشى أن يهرب
منه المريض قبل أن يسمع منه علاجه فلا يترك ساحة الا ويشحنها بكل
ما في نفسه من علاج حتى وان كان ايرادها في غير موضعها
تماما وحتى ان كان استطرادا وترتب على هذا أيضا أمر آخر
هو التكرار واعادة الحديث مرارا ونحسب سببها واحدا

ولعل سبب هذه الأخطاء جملة من سيد قطب رحمه الله تعالى
ما أشرت اليه آنفا أن الرجل كان أدبي الثقافة واتجه الى تفسير القرآن
الكريم من هذا المنطلق ومن هذا الواقع فكان في تفسيره ما كان
ومر حين اتجه رحمه الله الى استدراك ما فاتة فسعى للدراسات الشرعية
وانطلق من واقعها الى تنقيح ما كتب وتقويم ما اعوج فكان له ذلك ففي
اكثره وبقي أقله وهو القليل لا يزال بحاجة الى هذا التنقيح لكنه لقلته
لا يكاد يذكر بجانب محاسنه . وغفر الله لنا وله انه سميع مجيب .

(١) في ظلال القرآن (دراسة وتقويم) صلاح عبد الفتاح د حبور ج ٢ ص ١٠٣٧

الباب الخامس
الاتجاهات المعرفية
الفصل الأول

المنهج الإلهادي في تفسير
القرآن الكريم

أعاذنا الله وإياكم منه - الإلحاد في اللغة الميل عن القصد
وألحد في الدين أي حاد عنه ^(١) ويخطئ بعض الناس فلا يكاد
يذكر عنده إللحاد إلا ويتبادر إلى ذهنه الكفر ، والحق - فيما
يظهر لي - أن بين الكفر والالحاد خصوص وعموم فالإلحاد أعم من
الكفر إذ كل كفر إلحاد وليس كل إلحاد كفر .

فالتفسير الخاطيء لآية من آيات القرآن الكريم بحيث لا يخالف
معلوما من الدين بالضرورة ولا يهدم جانبا من جوانبه ينطبق عليه
وصف الميل والانحراف فيسمى لغة إلحادا ، إلحاده وميله وإنحرافه
عن الصواب والحق في التفسير .

أما التفسير الذي يؤدي إلى إنكار أصل من أصول الدين
وصرفه إلى معان لا تدل عليها لغة ولا دين بل الدين ينكرها
ويرفضها فإن هذا يسمى مع الإلحاد كفرا لأنه ليس إلحادا عن
الصواب فحسب بل هو إنحراف عن الدين أيضا .

ومن هنا فإنه يجب التفريق بين التفسير الملحد والتفسير
الكافر .

وتاريخ الإلحاد والملحدين - أعاذنا الله وإياكم منه ومنهم -
تاريخ طويل ليس من شأني تتبعه ولا الحديث عنه إلا بقدر ما له
من علاقة بموضع حديثنا هنا .

وقد اطلعت على مقال كتبه الأستاذ محمد فريد وجدي عن
الإلحاد في العصر الحديث وقد جاء هذا في مقال عنونه بـ "مذهب
القرآن في المتشابهات" أوجز فيه تاريخ الالحاد المعاصر، وحديثه

(١) انظر لسان العرب مادة لحد ج ٣ ص ٣٨٨-٣٨٩

هذا حديث العارف المطلع . ولذا أقتصر عليه هنا ، قال وهو يتحدث عن النهضة العلمية الحديثة : " في تلك الأثناء ولد العلم الحديث وما زال يجاهد القوى التي كانت تساوره حتى تغلب عليها فدالت الدولة إليه في الأرض فنظر نظرة في الأديان وسرى عليها أسلوبه ^(١) فقذف بها جملة الى عالم الميثولوجيا ^(٢) ثم أخذ يبحث في اشتقاق أصولها بعضها من بعض واتصال أساطيرها بعضها ببعض فجعل من ذلك مجموعة تُقرأ لا لتُقَدَّس تقديسا ، ولكن ليعرف الباحثون منها الصور الذهنية التي كان يَسْتَعْبِدُ الإنسانُ لها نفسه ويقف على صيانتها جهوده غير مدخر في سبيلها روحه وماله .

وقد اتصل الشرق الإسلامي بالغرب منذ أكثر من مائة سنة فأخذ يرتشف من مناهله العلمية ويقتبس من مدنيته المادية ، فوقف فيما وقف عليه على هذه الميثولوجيا ووجد دينه ماثلا فيها ، فلم ينبس بكلمة لأنه يرى الأمر أكبر من أن يحاوله ، ولكنه استبطن الإلحاد وتمسك به متيقنا أنه مصير إخوانه كافة متى وصلوا إلى درجته العلمية وقد نبغ في البلاد الإسلامية كُتَّابٌ وشعراء وقفوا على هذه البحوث العلمية فسحرتهم فأخذوا يهيئون الأذهان لقبولها دسا في مقالاتهم وقصائدهم غير مصارحين بها غير أمثالهم تغاديا من أن يُقاطِعُوا أو يُنفُوا من الأرض ^(٣) .

ذلكم ما صرح به الاستاذ محمد فريد وجدي وهو اعتراف خطير يلقي على عاتق العلماء المسلمين خاصة والمثقفين عامة وجوب تمحيص

(١) أي التجربة .

(٢) أي علم الأساطير .

(٣) جريدة الأهرام المصرية في ٣٠ / ٨ / ١٩٣٣ م ص ٣ مقال " مذهب القرآن في المتشابهات " للاستاذ محمد فريد وجدي .

مقالات وقصائد كتاب وشعراء تلك الفترة ، والحذر كل الحذر من
الإنخداع ببريق شهرة أو انتشار صيت أو كثرة أتباع .

ولا يخفى أن كل كلمة - كدت أقول كل حرف - من كلمات
الأستاذ وجدي المنقولة آنفا بحاجة إلى تعليق وتعليق وإستجلاء
لمدلولاتها وكشف لمعانيها ولكن هذا ليس من شأني هنا وحسبي
منه أنه يعطي صورة صادقة لنشأة الإلحاد في العصر الحديث، خاصة
أنه من شخص مجرب خبير .

وقد عانى العالم الاسلامي في تلك الفترة وما زال يعاني من
مستبطني الإلحاد الذين ينشرون إلحادهم على الملأ بإسم البحث
العلمي والحرية العلمية .

وظاهرة هي التي تحز في نفس المسلم أكثر من سابقها تلکم أنه
ما إعتدى أحد من المنتسبين إلى الاسلام على الاسلام إلا وتبوا
- بعد فترة قصيرة - منصبا كبيرا في الدولة وكأنه مكافأة له على
إلحاده - مهما علت الصيحات ضده والإنتقادات والإعتراضات ضد
أفكاره وآرائه ، لكن هذه الصيحات لا تلبث أن تهدأ وتسكن يعقبها
تَوَلَّى هذا الملحد ذلکم المنصب ، وكأنني ألمح هناك يداً تدفعه إلى
الإلحاد ويداً أخرى تدفع له الثمن وأيدٍ أخرى تدافع عنه وتقاتل
لست أزعم أنني الوحيد الذي أدرك هذه الظاهرة ولكنني
الأخير فقد صرح بها كثير وتعدد مدركوها فقد كتب توفيق الحكيم
مرة عن حادثة لأحد هؤلاء الملحدين فقال " وليست هذه الحركة
هي الأولى من نوعها في مصر فقد سبق أن أَلَفَ الأستاذ علي
عبد الرازق وزير الأوقاف الحالي كتابا عن الاسلام وأصول الحكم فقامت
قيادة الأزهر واحتجت هيئة كبار العلماء وفصلته واستقال الوزراء الاحرار

الدستوريون من وزارة زيور باشا احتجاجا على الفصل وأقيل وزير العدل عن منصبه وكان عبدالعزيز فهمي باشا بهذا السبب .

وحدث مرة أخرى أن أَلَفَ الدكتور طه حسين كتابا عن الشعر الجاهلي شك فيه في بعض المعتقدات فقامت قيادة البرلمان وأراد - مجلس النواب إخراجه من منصبه فهدد عدلي باشا رئيس مجلس الوزراء بالاستقالة حماية للبحث العلمي " (١) .

وصرح الشيخ مصطفى صبري بعبارة أوضح فقال : -

" يقوم الفينة بعد الفينة من سولت له نفسه بالخروج عن الاسلام في ناحية من نواحيه الاعتقادية فيثور احتجاجا عليه فئة من الغيورين على دينهم ويحميه منهم رجال من الوزراء المستبطنين ما أظهره الخارج وإن لم يحمه حام عاجلا ففي المستقبل القريب أو البعيد ينال الرجل مكافأة خروجه بأضعاف ما كان له من المراكز والمناصب يوم خرج وثار عليه المستنكرون . . .

.. ويكون هذا المصير غبطة لآخرين فتتكرر المهزلة في أيام أخرى على مسائل أخرى مماثلة " (٢) .

بل أن الاستاذ أمين الخولي يدعو أصحاب تلك الأفكار بالخروج بها ونشرها بين الناس وَيَعِدُهُمْ وَيَمْنِيهِمْ بأن لهم النصر المؤكد حيث يقول " وأحسبني لا أجد في هذا المقام أصوب وأجدي من الحديث في هذه المقدمة عن ذلك الناموس الاجتماعي المَطْرَد على الأجيال منذ قديم عهد الدنيا بالحياة ليربط صِدْقُ هذا القانون على قلوب

(١) عن موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين : مصطفى صبري ج ١ ص ٣٠٧-٣٠٨ عن جريدة أخبار اليوم العدد ١٥٥

(٢) موقف العقل والعلم من رب العالمين وعباده المرسلين : مصطفى صبري ج ١

الذين يكتب الله عليهم اليوم وفي الغد القريب، أو البعيد، والأبعد أن يكونوا حملة فكرة تطويرية ودعوة تجديدية في أي ميدان — من ميادين النشاط الانساني فلا يَهْنُونَ حين تجتمع الدنيا بكثرتها على محاربتهم ولا يَشْكُونَ لحظة في النصر مهما تترى قوى الجهل بهم . . وليعلموا أن هذا النصر المؤكد لا يُنال إلا بثمنه الباهظ الفادح من الصدق والصبر اللذين يلذ معهما الألم ويهون الصعب ويتراءى النور من القلوب في أشد حلقة الظلام ويقوى الايمان حين يستيئس الناس " (١) .

وعلى كل حال فقد كثر ولا حول ولا قوة إلا بالله - الإلحاد والملحدون في جوانب عديدة بدءاً من العقيدة في الله ومروراً - بالعقيدة في الأنبياء واليوم الآخر والقدر وفي أخبار القرآن وقصصه وتأويل آياته وفي السنة وحجيتها وفي الأحكام الشرعية الثابتة وفي السياسة والإجتماع وشتى النواحي وإلى ما لا نهاية . .

ويقف المتأمل حائراً متسائلاً عن الدوافع التي جرفتهم إلى تيار الإلحاد ، وتتنازع الأسباب كل يجره إليه فيستقر قراره على أن أهمها ولا شك : -

١- أولئك القوم الذين يدفعونه إلى الجهر بالفكرة وتبنيها ويَعِدُّونه بالدفاع عنه وَيَمْنُونَهُ بالمناصب الكبيرة أو غيرها ونحن وإن كنا لا نستطيع أن نعدد أسماءهم في كل حركة فإن معرفة أهم عناصرهم تحملها تلك الدراسات عن كل حركة . فمثلاً عندما فصل علي عبد الرازق من وظيفته إستقال الوزراء " الأحرار " من وزارة زيورباشا

(١) مقدمة أمين الخولي ، لكتاب " الفن القصصي في القرآن الكريم " لمحمد احمد خلف الله ص " ل " .

وأقيل وزير العدل وعين بدلا منه عبدالعزيز فهمي باشا ، ثم ما لبث بعد فترة من هذا إلا ويعين علي عبدالرازق هذا وزيراً للأوقاف ؟ !

وكذا طه حسين لما أصدر كتابه في الشعر الجاهلي وأراد - مجلس النواب فصله من منصبه هدد عدلي باشا رئيس مجلس الوزراء بالاستقالة " حماية للبحث العلمي " وما لبث طه حسين إلا وقد تم تعيينه وزيراً للتعليم ؟ !

وغيرهما كثير مما لا يدع مجالاً للشك أن الأمر لم يأت صدفةً من غير أن يقف أحد خلفه يخطط له ويرسم الأهداف .

٢- ومن هذه الأسباب أيضاً حب الشهرة وضعف الإيمان الذي يجعل الأول يطغى على الثاني فيجرفه فإذا ما تحققت هذه الشهرة له عاد إلى الإيمان وأعلن توبته فتكون عودته هذه أيضاً زيادة في شهرته فيبقى مشهوراً في خروجه وفي عودته .

معاذ الله أن اتهم أولئك الذين عادوا إلى الإيمان بسوء فאלله أعلم بالسرائر . لكني أذكر واقعا وأحكي حقيقة نراها بأعيننا ولله - وحده - ما تكن القلوب وما تخفي الصدور .

ومن هؤلاء الذين أعلنوا عودتهم محمد أبوزيد ، وخالد محمد خالد ، وكامل كيلاني ، واسماعيل مظهر ، ومصطفى محمود ، وغيرهم . لكن الملفت للنظر أن بعض هؤلاء وإن أعلن عودته بالكتابة الإسلامية المستقيمة لكنه لم يتبرأ من إلحاده السابق ولم يكتب ما ينقضه به .

٣- ومن الأسباب أن يكون الكاتب نفسه غير مسلم أصلاً ولكنه يكتب لتشكيك المسلمين وزعزعة عقيدتهم بوحى من عقيدته الباطلة

أو اتجاهه الالحادي الذي ينكر كل دين .

وبعض هؤلاء وهو يعيش في دولة مسلمة غالب شعبها مسلم وهو في أقلية يرى من صالحه وقد صعب عليه الدخول في الاسلام وشق أن خير وسيلة لتحقيق مآربه أن تنقلب الدولة إلى دولة علمانية وهؤلاء ينظرون إلى دولة تركيا مثالا لدولتهم وإلى أتاتورك قدوة لهم ، وهم كثير .

٣- ومنهم من يكون عن اقتناع في الفكرة وضعف في البصيرة إبتلاه الله به . وقليل ما هم .

وهناك أسباب أخرى أقل من هذه شأنا . وما علينا أن نستقصي الأسباب أو أن نذكر لها عددا وشأننا معها هنا إلتماس حقيقة أولئك الذين يلحدون في آيات القرآن الكريم هل عرفوا التفسير الصحيح فأبوا إلا التعامي عنه وألقوه وراء ظهورهم لأمر في نفوسهم أم غاب عنهم فقالوا ما يحسبونه حقا من غير معرفة بأصول التفسير وشروطه وإستنادا إلى أدلة حسبوها مقبولة أم خبطوا خبط عشواء من غير علم شرعي ولا غيره فكان تفسيرهم هذيان مخرف لا نستطيع الحكم على أحد بأحد النوعين الأولين لكننا نستطيع أن نفرق بين هذه الأمور الثلاثة في ذاتها .

أما أصحاب المنهج الأول فهم طائفة درسوا علوم الشريعة وتخرجوا من كلياتها فهم^{على} علم ومعرفة - ولا شك - بشروط التفسير والمفسرين وعلى معرفة بعلوم الشريعة ، وحين عمدوا إلى التفسير جاءت مخالفتهم للحق مجردة من التماس العذر لهم بالجهل .

وكان منهجهم هذا المنهج الإلحادي في التفسير .

أما أصحاب المنهج الثاني فطائفة لم يطلبوا العلوم الشرعية ولم يدرسوها في مدارسها بل تقاذفتهم المدارس في نواح أخرى ليس منها علوم الشريعة ولما إشتدَّ عُوْدُهُمْ عَزَّ عَلَيْهِمْ أَنْ يطلبوا علومَ الشريعة وهم الأساتذة وحسبوا - جهلا - أن علومها في متناول أيديهم وأنها لا تحتاج إلى أكثر من تقليب الفكر في نصوص الكتاب والسنة والتعبير عنها من زواياها الضيقة من غير أن يكون في محيط علمهم لزوم توسيع دائرة النظر في النص الشرعي ليشمل كافة آيات القرآن والأحاديث الصحيحة وأنه لا يصح أن نأخذ ببعضه ونترك بعضه وبوحي هذا الاعتقاد الخاطيء انطلقوا يفسرون آيات القرآن الكريم فوقعوا في الإلحاد من حيث لا يشعرون والمؤمن منهم من نُبِّهَ إلى الحق فرجع إليه واستغفر من ذنبه وأحسب أن هؤلاء لا يصح أن يقرنوا مع النوع الأول وقد رأيت أن خير وصف لمثل هؤلاء أن يسمى " منهج القاصرين " لأنهم قَصَّروا في تحصيل شروط المفسر وعجزوا عنها وتناولوا التفسير من غير بابيه فكانوا في قصورهم عن هذه الشروط كالقاصر في عدم إكمال رشدِه ولست بهذا أبرئهم من الخطأ أو ألتمس لهم عذرا أو أبرر لهم معصية . وإنما أمرهم إلى الله وهو أعلم بنا وبهم .

أما الصنف الثالث فلا منهج ، وأننى يكون لهم ذلك وهم يخبطون خبط عشواء ، وأننى يكون لمجنون منهج يسلكه وهو الذى يسير بوحي ساعته بل دقيقته التى يعيشها لا صلة لها بماض ولا مستقبل وإن كان لها من صلة فعلى غير وجه الحق .

وكأنى بطائفة من القراء تقرأ ما أقول أو تسمعه فيترسم السؤال عما أقصده بكلامي هذا وما أرمي إليه . وهو لا شك أمر محير وقفت

عنده حيناً من الزمن أقلب النظر فيه والبصر .

طائفة من الناس ليست من علماء الشريعة وليست من المتتبعين
إلى العلم كافة في شتى صنوفه ، اتجهت إلى تفسير القرآن لم
تسلك سبيل هؤلاء ولم تسرف في درب هؤلاء ولا التزمت ما التزمه
العقلاء الذين ليسوا من هؤلاء ولا من هؤلاء فزجوا بأنفسهم في
تفسير القرآن الكريم فجاءوا بتفاسير لا تقوم على أسس شرعية ولا علمية
وليس لها سند لا في القديم ولا في الحديث ولا صلة بين معاني
ألفاظها ومعاني ألفاظ القرآن ولا مطابقة لغوية ولا معنوية ولا شكلية
فجاءوا بهذيان كهذيان المحموم تسأله عن حاله فيجيبك بذكر اسم
صديق له أو قريب أو بكلام غير مفهوم .

ولهذا فإني لن أصف طريقة هؤلاء بالمنهجية إذ لا منهج
فاطلقت عليهم طريق اللامنهجية وقد هممت أن أسميه تفسير
المجانين !!.

وعلى هذا فسأتناول المنهجين الأول والثاني والصنف الثالث

كلا على حده :

المهجع الإلهادي في تفسير القرآن الكريم :

ويتميز هذا اللون من التفسير - والحمد لله - بقلّة بل ندرة المؤلفات الكاملة فيه إذ اقتصر أصحابه على تفسير آيات من هنا وهناك حسب الموضوع الذي يتطرقون إليه فيستشهدون بآيات من القرآن - ملحدين - بتأويلها .

ولئن كان ليس بوسعنا الكتابة عن كل التأويلات الباطلة لآيات منفردة من آيات القرآن الكريم على هذا النحو فإنه لا بد من ذكر أمثلة متنوعة لهذه التأويلات المنحرفة . صدرت عن طائفة من المنتسبين للعلم والعلماء .

ومن أكثر أصحاب التأويلات الباطلة والآراء الجديدة العجيبة التي يقف المسلم فيها حائرا يَعْضُ بَنَانُ الأسف والندم وهو يعلم علما يكاد يتيقنه أن صاحب هذه الآراء غير مقتنع ولكنه لأمر في نفسه امتطى صهوة هذه التأويلات ، وهي كثيرة متعددة يهمننا أن نذكر له تأويلا واحدا .

ذلكم الشيخ أحمد حسن الباقوري قد أَوَّلَ قوله تعالى " ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون " ^(١) بأن الآية لا تتناول إلا من أنكر بقلبه وجحد بلسانه أما من عرف بقلبه أن هذا الحكم حكم الله وأقر بلسانه أنه حكم الله ثم أتى بما يضاده فإنه على ذلك حاكم بما أنزل الله (١:١) وإن كان تاركا له فلا يلزمه دخوله تحت هذه الآية وإعتباره كافرا ، ثم وصف هذا التفسير للآية بأنه ينفي عن الأمة حرجا لا قَبَلَ لها به ولا خَيْرَةَ لها فيه ، إذ يستطيع القائلون به أن يتعلقوا بقضية العموم في الآية ، فيرموا بالكفر حكام

(١) سورة المائدة : من الآية ٤٤

أُمَّتَنَا الَّذِينَ يَسْتَمِدُّونَ الْقَوَانِينَ وَاللَّوَائِحَ وَالْإِشْتِرَاعَاتِ مِنْ قَوَانِينِ
عَالَمِيَّةٍ لَا صِلَةَ لَهَا بِالْإِسْلَامِ " (١) .

وقال أيضا " أَنَّ حُكَّامَ الْبِلَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْيَوْمَ هُمْ فِي حَالَةِ
الضَّرُورَةِ الَّتِي تَبِيحُ بَعْضَ الْمَحْظُورِ ، عَلَى أَنْ يَرْتَقِبُوا الْوَقْتَ الْمُنَاسِبَ
حِينَ تَكُونُ لِلْأُمَّةِ قُوَّةٌ تَحْمِي بِهَا تَقَالِيدَهَا وَشَرَائِعَهَا وَمَدَنِيَّتَهَا ،
وَالْإِسْلَامُ نَفْسُهُ سَلَكَ هَذَا الْمَسْلَكَ فَعَمِلَ أَوَّلًا عَلَى تَكْوِينِ الْعَقِيدَةِ
فِي الْأُمَّةِ ثُمَّ عَلَى تَكْوِينِ شَرِيعَتِهَا ، وَالْقُرْآنَ مَكِّيَّ وَمَدَنِيَّ يُؤَيِّدُ ذَلِكَ " (٢)
وَالْمُنَاسِبَةُ فَإِنَّهُ قَالَ هَذَا الْبَاطِلَ وَهُوَ يَتَوَلَّى مَنَصِبَ وَزِيرٍ
الْأَوْقَافِ وَلَعَلَّهُ أَرَادَ بِهِ أَنْ يَدُقَّ مَسْمَارًا يَثْبِتُ بِهِ فِي مَنَصِبِهِ . وَلِذَلِكَ
فَإِنَّ مَجْلَةَ الدَّعْوَةِ الْمَصْرِيَّةَ رَدَّتْ عَلَيْهِ حِينَئِذٍ سَنَةَ ١٣٧٣ هـ بِقَوْلِهَا :
" كَانَ الشَّيْخُ الْبَاقُورِيُّ فِي إِجَابَتِهِ سِيَاسِيًّا وَدِبْلُومَاسِيًّا . . أَكْثَرَ مِنْهُ
عَالِمًا وَفَقِيهًا " وَقَدْ رَدَّ عَلَيْهِ أَيْضًا رَدًّا مُفْحَمًا الْأَسْتَاذُ أَحْمَدُ مُحَمَّدٌ
جَمَالٌ فِي كِتَابِهِ عَلَى مَائِدَةِ الْقُرْآنِ (٣) فَإِقْرَأْهُ إِنْ شِئْتَ .

تعدد الزوجات :

وهي من أشهر القضايا والأحكام الشرعية التي كانت ولا تزال
ميدان حوار طويل ونقاش وجدل لا ينتهي ، ولم يزل المسلمون منذ
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمنون بتعدد الزوجات ،
ويجعلون من أنفسهم مثالا لتطبيقه .

- ١- إعفافا للنفس .
- ٢- زيادة في النسل .
- ٣- عدلاً بين الزوجات والأولاد .
- ٤- إعفافاً لنساء المؤمنين .

(١) مجلة العربي : العدد ١٦٩ ص ٩٢ مقال لن يشاد الدين أحمد الإغلبه :
للشيخ أحمد حسن الباقوري . (٢) على مائدة القرآن : أحمد محمد جمال ص ١٨٣
(٣) انظر على مائدة القرآن : أحمد محمد جمال ص ١٨١ - ١٩٨

لم يزل هذا معتقد المسلمين حتى نبتت فيهم طائفة تأثرت بطريق مباشر أو غير مباشر بالغرب ووجدوا من بين ما وجدوا من فروق مسألة تعدد الزوجات فطأطأ بعضهم رأسه خجلاً كأن في الأمر عيباً خارقاً ثم إنعطف على النصوص يلتمس فيها مخرجاً ، ولم تبلغ به درجة الخجل أن ينكر ما هو معلوم من دلالة النص الصريحة ولكنه ذهب يلتمس تأويلاً يقيد به تعدد الزوجات فوجدوا في الآية نفسها قيد العدل في إباحة تعدد الزوجات فأراه سُلماً سهلاً المرتقى للتشدد في تطبيقه ومن ثم الدعوة إلى تقييد تعدد الزوجات بشروط ما أنزل الله بها من سلطان .

وعلى هذا فقد شكلت في مصر سنة ١٩٢٦م لجنة اقترحت تقييد تعدد الزوجات وقدمت المقترحات لمجلس النواب وبعد مناقشات أعيدت لوزارة العدل لدراستها ثم صدر القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩م منظماً لبعض شؤون الأسرة خالياً من مقترحات تقييد تعدد الزوجات إلى أن أصدرت وزارة الشؤون الاجتماعية في مصر سنة ١٩٤٥م مشروعاً بقانون لعرضه على البرلمان يقضي بتقييد تعدد الزوجات بإشتراط إذن القاضي الشرعي الذي في دائرة إختصاصه مكان الزواج ، واشتراط أن لا يأذن القاضي إلا بعد الفحص والتحقيق من أن سلوكه وأحوال معيشته يؤمن معها القيام بحسن العشرة والإنفاق على أكثر من في عصمته ومن تجب نفقته عليهم من أصوله وفروعه ولم يكتب - والحمد لله - لهذا المشروع النجاح .

والذي يهمننا هنا أن مجلة " المجتمع الجديد " طرحت المشروع هذا على شيخ القضاة " عبدالعزيز فهمي باشا " وسألته رأيه والذي يهمننا منه أيضاً ، أنه جاء بتفسير جديد فهو لم يلتمس مخرجاً ينفذ

منه إلى تبرير هذا المشروع ولكنه جاء بالعجب العجاب وزعم أن الآية
" فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع" ^(١) تدل على تحريم
تعدد الزوجات وإقرأ ان شئت قوله " أن من يتأمل نصوص القرآن
الكريم من قوله تعالى : " فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث
ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة .. " ^(١) . ثم من قوله في موطن
آخر " ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم " ^(٢) . يجد
أن القرآن الكريم يحرم تعدد الزوجات (١) وكل ما في الأمر
أن صيغة هذا التحريم وردت على عادة القرآن في عبارات هي أقصى
ما يمكن من الاستدراج والتلطيف .

فإن الآية الأولى ، واضح لكل متذوق أنها هزء وسخرية ممن
يريد تعدد الزوجات وأن فيها إيكال الأمر لمن يعلم الله أنه
لا يستطيع القيام بالأمر فمخاطبة غير المستطيع بما هو من شأن
المستطيع تلك كلها سخرية بالمخاطب (١) : فانكحوا ما طاب
لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ،

الى أن زعم " ثم في ذلك الموطن الآخر عبر هذه الفكرة
تعبيراً هو من أشد ما يكون بيانا للواقع الذي يعلمه هو فبال
" ولن يستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم " ^(٢) . و " لن "
كما يقرر النحاة هي أشد أدوات النفي للمستقبل إذ تنفيه نفياً باتاً .
فالقرآن يسجل بصريح العبارة " ١ " أن الاستطاعة مستحيلة ،
أي أن العلة المتوهمه للتصريح بالتعدد لن تتحقق أبداً والمقرر
عند الفقهاء من عقليين وحرفيين أنه متى زالت العلة زال المعلول .

(١) سورة النساء : من الآية ٣

(٢) سورة النساء : من الآية ١٢٩

ثم صرح برأيه فقال " اذن فرأى الذي ألقى الله عليه هو
أني مأمور ديانة (١) بأن أكون من معتنقي مذهب الإقتصار على
زوجة واحدة " .

وصرح بموقفه من المشروع ذاك وذهب الى أبعد مما ذهب
اليه المشروع فقال " ومن أجل هذا لا أوافق البتة على طريقة
المشروع تلك الطريقة التي يراد بها عدم تعدد الزوجات ولكن
بسبيل ملتويه يُراد لها قطع أسباب الاعتراض ممن يظنون أن لهم
على خلاف نصوص القرآن الصريحة - حق الاعتراض . ومن أجل هذا
أرجو ألا تسير الحكومة في مثل هذا المشروع بل تأتي للأمر
فتعالجه من جذوره بأن تستصدر قانونا ينص دفعة واحدة على تحريم
تعدد الزوجات " (١) .

وإني لمتيقن أن إنحراف هذا التفسير وإلحاده لا يخفى
على ذي أدنى معرفة وأدنى لبّ وأن صاحبه لن ينال من قرآءه
إلا الهزء والسخرية حتى أولئك الذين يؤيدون فكرته لا أظنهم إلا
ويقطعون بفساد تأويله .

وأمر تعدد الزوجات وإباحته أمر معلوم من الشريعة كدُت
أقول بالضرورة فلا حاجة بنا إلى تقرير ذلك وإن كان لنا من حاجة
فهى أن نكشف مغالطة الرجل في إستدلاله بالآية فهو كاستدلال
من يستدل بقوله تعالى " لا تقربوا الصلاة " ويدع " وأنتم سكارى "
ولو أحسن الاستدلال وأحسن القصد وطلب الحقيقة لأكمل عبدالعزیز
فهى - هذا - الآية التي إستدل بها فأوردها كاملة هكذا -

(١) عن : على مائدة القرآن : أحمد محمد جمال ص ٢٠٨ ومجلة الكويت العدد ٨
رجب ١٤٠١ هـ ص ١١٠ عن مجلة المجتمع الجديد .

" ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفوراً رحيماً " (١). فقلوه سبحانه " فلا تميلوا كل الميل " وقلوه " ان تصلحوا وتتقوا " وقلوه " غفورا رحيماً " كلها تبين المراد بالعدل والواجب منه بيانا لا يريد أن لا يريد أن يفهمه كذلك الاستاذ عبدالعزيز فهمي باشا ، ولهذا بتر الآية .

أما زعمه أن النحاة قد قرروا أن النفي بلن يفيد التأييد فهو إفتراء على النحاة وليس بمستغرب ممن يفترى على القرآن أن يفترى على النحاة ، فلم يقل النحاة أن النفي بلن [نفيًا باتاً] إلا الزمخشري قال ذلك ليؤكد النفي في قوله تعالى " لن ترانى " (٢) حتى يستدل بها على إنكار رؤية الله تعالى التي لا يؤمن بها المعتزلة ، وأما النحاة - سواء - فهم على ضد ذلك فقد قال ابن مالك .

ومن رأى النفي بلن مؤيداً فقلوه أردد وسواه فاعضدا (٣)

هذا ما نرى لزوم ذكره ردّاً على التأويل الباطل للشيخ عبدالعزيز فهمي باشا وفيما ذكرته الكفاية إن شاء الله أو بعضها .

وهذا الشيخ عبدالعزيز بن خلف آل خلف فسر سورة الزلزلة بتفسير لم يقل به أحد من قبله فقال مثلاً في تفسير قوله تعالى " يومئذ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا بَأْنْ رِبْكَ أَوْحَى لَهَا " (٤) :- " اتفق

(١) سورة النساء : الآية ١٢٩

(٢) سورة الاعراف : من الآية ١٤٣

(٣) الكفاية الشافية : لابن مالك ج ٣ ص ١٥١٥

(٤) سورة الزلزلة : الآيتين ٤ و ٥

المفسرون على أن الأرض تتحدث بما عُمِلَ عليها يوم القيامة فتشهد على كل أحد بعمله الذي عمله على ظهرها من خير وشر أما في الدنيا فقد تحدثت أيضا بما يعملها أهلها على ظهرها من خير أو شر في كل بقعة على وجه الأرض ، ونحن نسمع هذا في كل ساعة ولحظة ، فهذه أخبار أمريكا ، لندن ، مكة ، كذا كذا . فتلك حالة مصغرة من تحدثها يوم القيامة إنها لمعجزة ————— المعجزات الباهرة وقعت ملموسة مطابقة لمحسوس لفظا ومعنى وهو الراديو ومحطاته البرقية وما في معنى ذلك من التلفون وأمثاله . . . كما قال تعالى " وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به " (١) فذلك يصدق على واقع ملموس من اذاعات العالم وهذه الجملة تعتبر معجزة مستقلة . فالآية الكريمة - يقصد آية الزلزله - والخبر الكريم يَصْدُقَانِ على حدوث هذا في الدنيا كما يَصْدُقَانِ على حدوثه في الآخرة لأن الآية والخبر لم يحددا بلفظ صريح أنه في الدنيا فقط ولا أنه في الآخرة فقط ، والجملة الأخيرة من كلام الله يعنى " وإذا جاءهم " الآية تنص على أن ذلك في الدنيا فقط فنحن الآن قد ظهرت لنا معجزة في الدنيا لا تتنافى مع وقوع ذلك في الآخرة وحدثت لأرضنا التي لم تتبدل ليوم القيامة كما قال تعالى " يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات " (٢) . فأرض الدنيا قد تحدثت فكيف بأرض الآخرة ونعلم علم اليقين بتحدثها في الآخرة ونلمس عين اليقين بتحدثها في الدنيا فلا منافاه ولا تناقض أنطقها في الدنيا الذي أنطق كل شيء وأذاع القوم إذاعة صحيحة صريحة مع أن - الراديو يدخل تحت عموم قوله تعالى " واتقوا فتنة لا تصيبن الذين

(١) سورة النساء : من الآية ٨٣

(٢) سورة ابراهيم : من الآية ٤٨

ظلموا منكم خاصة " (١) لأنها فتنة معنويه بلا إشكال وقد حصلت به البلوى للسواد الأعظم ولم يكن خاصا بل كان عاما ومن ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه " .

إلى أن قال في تفسير قوله تعالى " يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرُوا أَعْمَالَهُمْ " التي تتحدث عن عرض الأعمال يوم القيامة فقال المؤلف عنها " فقوله تعالى يصدر الناس يعني يذهب الناس أَشْتَاتًا إلى أعمالهم بجد وإجتهاد ونشاط يطلبون فيه مقاصد ومشارب متباينة من الأعمال الدنيويه التي لا حد لها وهذا يعتبر فـى أرض العرب بلا إشكال أنه من حوادث آخر الزمان حيث كانت أرض العرب مسرحا للباديه الرُّحْل والمواشي من جميع الأصناف حياتهم بحياة البهائم غالبا وموتهم جوعا بموت البهائم وأن هذا الانقلاب الذي وعد الله به لكبير وعظيم وقعه ونتائجه ، فبعد ما ذكر الله الزلزلة ، وإخراج الأرض كنوزها ، وتحدث الأرض من أطرافها ، فإن الناس في ذلك الوقت يصدرون أَشْتَاتًا في كل صباح ومساءً لأعمالهم وأرزاقهم كما تصدر المواشي لأرزاقها فيما ترون في وقت نزول القرآن ، لِيُرُوا- بالضم- يريهم أهل الأعمال أعمالهم- وبالفـتح- لِيَرَوْهُ بأعينهم أى ليروا عملهم ونتائجه (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) قال الخازن في تفسيره قال محمد بن كعب القرظي " فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره " من كافر يرى ثوابه في الدنيا في نفسه وماله وأهله حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله خير (ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره " من مؤمن يرى

عقوبته في الدنيا في نفسه وماله وولده حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله شر . انتهى ، فهذا من التأويل الديني ولكنه أيضا هو في الدنيا ولا منافاة بين الجميع ولا مانع والحالة هذه من الاستنباط من كنوز القرآن والسنة وعدم التقيد بتفسير واحد أو تأويل واحد أو تقييده بأمور الدنيا أو أمور الآخرة ما لم يقيد نص صادق ثابت . . .

وهنا إستنباط يمكن أن يقال له حق في ذلك وهو قوله تعالى " يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم " هو ما حدث من التلفزيون فإن عمل العامل فيه يرى في كل بقعة توصل إليها التلفزيون وكذلك السينما فإنها تعرض على الانسان عمله ، وهذه معجزة من معجزات القرآن وإستنباط واقعي ملموس فإن السينما تعرض المرء بعمله على الناس وعلى نفسه بحركاته وسكناته ونطقه وغير ذلك فأى عمل عمله الانسان ولو مثقال ذرة من خير أو شر يراه ويراه غيره كاملا غير منقوص والله تعالى أعلم وأحكم " (١) .

ويظهر لي أن الذى دفع الشيخ عبدالعزيز إلى هذا التأويل حرصه على جذب الناس إلى الايمان وتقريب الأخبار إلى الأذهان ولكن أخطأ السبيل - وضل في التأويل غفر الله لنا وله .

ومن ذلك أيضا سلسلة من التفسير نشرها حسين صالح مسيلي في جريدة المدينة المنورة بعنوان " القرآن والعلم " حشاها حشوا بالتفاسير المنحرفة فمن ذلك تفسيره لقوله تعالى " ومن شر غاسق إذا وقب " (٢) . حيث قال " الغاسق : أنه حبل المطاط الذى فى

(١) دليل المستفيد على كل مستحدث جديد ج ١ ص ١٦٨-١٧٢

(٢) سورة الفلق : الآية ٣

أحشائه السلك الكهربائي الذي يحمل موجات من النار كالبحر المرتطم بالصخور نيرانا حمراء تشبه شفق الغسق المدلج الذي خَلَقَتْهُ الشمس وراءها والمتستر بالليل المكسوة أسلاكه والتي هي أشعة الشمس بسواد الليل وهذا الحبل المطاط المسمى " غاسق " في باطنه تلك القوى الكهربائية ذات التيارات النارية والنورية العظمى " (١) .

أما العاديات في قوله تعالى " والعاديات ضبحا " (٢) ففسرها مسيلى بقوله " قسم غيبي يدعو الناس لينظروا تلك العاديات فى الطرق الشاسعة وهم على ظهورها الطريحة الهادئة مطمئني النفوس رغم سرعة سيرها في طريقها النقي وقد ملأت الجو ضجيجا ضابحا بأصوات محركاتها الصاخبة المصممة للأذان والمرجفة للأفئدة . . .

فالعاديات هي السيارات المنطلقة بعامل الوقود المشتعل فى أحشائها والتي توري به قدحا مضيئا في طريقها (فالموريات قدحا) .

أما " فالمغيرات صبحا " (٣) فزعم " ذلك القدح المضيء إشارقا جَعَلْنَ به الصبح مغيرا فطلع كئيبا كسيفا لأن العاديات الموريات القدح قد إستغنين عنه وعن إشراقة نوره فهن مواصلات سيرهن سواء ظهر أم لم يظهر ولهذا داخلته الغيره لوجود منافس أرضى خطير (٤) وفي تفسيره كثير من نحو هذا التفسير نسأل الله لنا وله

الهداياه .

ومن هذا ما كتبه رجل دفعه حب التجديد المزيف الى أن يساير روح الالحاد كما قال الشيخ محمد حسين الذهبي رحمه الله

(١) مقال : القرآن والعلم للاستاذ حسين صالح مسيلى جريدة المدينة المنورة ، العدد ٤٤٩١ يوم الثلاثاء ١٨ صفر ١٣٩٩ هـ .
(٢) سورة العاديات : الآية الاولى (٣) سورة العاديات : الآية الثالثة .
(٤) مقال القرآن والعلم : حسين مسيلى جريدة المدينة المنورة العدد ٤٥٠١ يوم الجمعة ٢٨ صفر ١٣٩٩ هـ .

وهوى

تعالى (١) فراح يتأول آيات الحدود بما يوافق هواه^أ أصحابه، فاتجه أول ما إتجه إلى حدّي السرقة والزنا مُعْرِضاً بوجهه عن إجماع المسلمين عليها فقال " فهل لنا أن نجتهد في الأمر الوارد في حدّ السرقة وهو قوله تعالى " فاقطعوا " والأمر الوارد في حدّ الزنا وهو قوله تعالى (فاجلدوا) فنجعل كلاً منها للإباحة لا للوجوب ويكون الأمر فيهما مثل الأمر في قوله تعالى " يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين " (٢) فلا يكن قطع يد السارق حداً مفروضاً لا يجوز العدول عنه في جميع حالات السرقة بل يكون القطع في السرقة هو أقصى عقوبة فيها ، ويجوز العدول عنه في بعض الحالات إلى عقوبة أخرى رادعة ويكون شأنه في ذلك شأن كل المباحات التي تخضع لتصرفات ولي الأمر وتقبل التأثير بظروف كل زمان ومكان ، وهكذا الأمر في حد الزنى سواء أكان رجماً أم جلداً " (٣)(٤) .

ولا أحسب أن مثل هذا الزعم بحاجة إلى الرد عند من أوتى مسحه من علم فكيف عند أهل العلم ومع هذا فقد كفانا مؤنة الرد عليه شيخان فاضلان أولهما الشيخ محمد الخضر حسين (٣) ، وثانيهما الشيخ محمد حسين الذهبي (٤) فجزاها الله خيراً ، ولا نرى موجبا لنقل ردودهما الطويلة فالحق - أحسبه هنا - بين واضح .

ومن أصحاب هذا اللون المنحرف في التفسير المدعو الطاهر الحداد في كتابه " إمرأتنا في الشريعة والمجتمع " الذي نشره في

(١) التفسير والمفسرون : محمد حسين الذهبي ج ٣ ص ١٩٣-١٩٤

(٢) سورة الاعراف : الآية ٣١

(٣) انظر بلاغة القرآن : الامام محمد الخضر حسين ص ١٠٦-١١٠

(٤) التفسير والمفسرون : الشيخ محمد حسين الذهبي ج ٣ ص ١٩٣-١٩٧

تونس وأحدث ضجة كالضجة التي أحدثها كتاب قاسم أمين " المرأة الجديدة " وكتابه " تحرير المرأة " في مصر .

والكتاب ملئ بالتحريفات والتأويلات الباطلة وأنكر فيه ما هو معلوم من الدين بالضرورة وكاد الكتاب هذا أن يزهق لولا أن أخرجه للناس من جديد طائفة يسعون لنشر أفكاره وسيزهق ان شاء الله ويزهقون .

ومن تأويلاته الباطلة تأويله لقوله تعالى أمراً للمؤمنات " ولا يبدن زينتهن إلا ما ظهر منها " الآية ^(١) فقال " ولله هذا القرآن العظيم في إبهامه ما ظهر من الزينة دون أن يعين مواقعته من ذات المرأة إعتباراً منه لأعراف الناس في ذلك بتطوّر الحياة . من هذا يظهر أن الحجاب الذي نقرره على المرأة كركن من أركان الاسلام (١) سواء في مكثها بالمنزل أو وضع النقاب على وجهها ليس من المسائل التي يسهل إثباتها في الاسلام بل ظاهر الآية يرشد إلى نفيه لما في ذلك من الحرج المضني " ^(٢) .

وتحدث عن آيات الميراث وميراث المرأة على الخصوص ثم عقب قائلاً : " وقد علل الفقهاء نقض ميراثها عن الرجل بكفالتها لها ، ولا شيء يجعلنا نعتقد خلود هذه الحالة دون تغيير " ^(٣) ؟ ! وقال " وفيما أرى أن الاسلام في جوهره لا يمانع في تقرير هذه المساواة من كامل وجوهها متى إنتهت أسباب التفوق وتوفرت الوسائل الموجبة " ^(٤) .

(١) سورة النور : من الآية ٣١

(٢) إمرأتنا في الشريعة والمجتمع : الطاهر الحداد ص ٣٤

(٣) المرجع السابق : ص ٤١ (٤) المرجع السابق : ص ٤٢

أما تعدد الزوجات فقال عنه " ليس لي أن أقول بتعدد الزوجات في الاسلام لأنني لم أر للاسلام أثرا فيه وإنما هو سيئة من سيئات الجاهلية الأولى (١) " .

وقد كفانا مؤنة الرد على هذه التأويلات الباطلة فضيلة الشيخ محمد الخضر حسين رحمه الله تعالى الذي رد على هذا الكتاب ردا مفحما جعل عنوانه " كتاب يلحد في آيات الله " (٢) .

وهناك آخرون وآخرون باعوا دينهم بدنياهم فألحدوا في آيات إبتغاء عرض يصيبونه أو منصب يقولونه فخسروا الدنيا والآخرة . ولا ننكر أن منهم من دفعه الحرص على التجديد فأنجرف وانحرف وأخطأ الطريق وضل السبيل وأمرهم لله الذي يعاملهم بنياتهم ولكل إمرئ ما نوى .

ولعلي بعد هذا أذكر نموذجا موسعا لأحد التفاسير الكاملة للقرآن الكريم والتي إمتلأت بالإلحاد والضلال .

الهداية والعرفان في تفسير القرآن بالقرآن .

أولا : المؤلف :-

أحمد الله أني لم أجد له ترجمة ولا ذكرا بعد بحث وتنقيب شديدين حتى إسمه كان يقع فيه إختلاف لولا أن كتابه بين يدي وعليه إسمه الذي إختاره .

وكل ما عرفت عنه ما ذكره الأستاذ جمال البنا عنه حيث قال :
إنه إلتحق مدة بالأزهر ومدة أخرى بدار الدعوة والإرشاد التي كان

(١) المرجع السابق : ص ٦٥

(٢) بلاغة القرآن : محمد الخضر حسين ص ١٣٢ - ١٤١

قد أسسها بالقاهرة الشيخ رشيد رضا وأصدر عددا من الأبحاث
إتسمت بالجرأة سواء كانت هذه الجرأة طلبا للشهرة أو إنعكاسا
لفكره واجتهاده فأصدر كتبيا باسم " الزواج المدني " أنكر فيه
التسري وملك اليمين وأخيرا في الفترة ما بين ١٣٤٧ - ١٣٤٩ هـ
(١٩٣٠ - ١٩٣١ م) أصدر كتابه " الهداية والعرفان في تفسير
القرآن بالقرآن ، والكتاب ليس لدينا لأنه صودر وأعدم في حينه" (١) .
هذا ما قاله الأستاذ جمال البنا ، أما اسم صاحب هذا
التفسير كما جاء على كتابه فهو " محمد أبوزيد " ومع الأسف أن
صاحبه يذكر أنه ألفه بعد بلوغه الأربعين من عمره ! فإذا كان
قد صدر سنة ١٣٤٩ تكون ولادته سنة ١٣٠٩ تقريبا .

ثانيا : الكتاب :

واسمه كما جاء على غلافه " الهداية والعرفان في تفسير القرآن
بالقرآن " .

ويقع في مجلد واحد ضمنه القرآن الكريم كاملا وجعل تفسيره
في هوامشه . وهو تفسير مختصر جدا كثيرا ما يكتفى صاحبه بإحالة
لتفسير آية على آية أو آيات أخرى يذكر أرقامها .

وقد أحدث هذا التفسير عند صدورهِ ضجة كبرى وإنكارا شديدا
من شيوخ الأزهر فألفت لجنة من العلماء لتنظر في هذا الكتاب
وتحكم عليه ورفعت اللجنة تقريرها إلى شيخ الأزهر ووصفوا المؤلف
بأنه " أفاك خراص ، إشتهى أن يُعرف فلم يَر وسيلة أهون عليه
وأوفى بغرضه من الإلحاد في الدين بتحريف كلام الله عن مواضعه ،

(١) الاصلان العظيمان الكتاب والسنة : جمال البنا ص ٩١

ليستفز الكثير من الناس إلى الحديث في شأنه وترديد سيرته" (١) .
ويصدر الحكم بمصادرة الكتاب كما رُفِعَت دعوى على الرجل أمام
إحدى المحاكم فحكمت ابتدئاً بكفره وإرتداده وتَغَيَّرَ الحكم النهائي
بعد أن أعلن توبته وإنابته (٢) .

وقد أصدرت جمعية حياة الاسلام بد منهور في شهر ذي الحجة
سنة ١٣٤٩ - أي بعد صدور الكتاب بخمسة أشهر تقريباً - كتاباً
بعنوان " تنوير الأذهان وتبصرة أهل الايمان في الرد على كتاب
أبي زيد المسمى الهداية والعرفان في تفسير القرآن بالقرآن " .

والكتاب كما ذكر كلُّ من كتب عنه مصادر والحمد لله ، وغالب
من كتب عنه بعد ذلك ، إنما اعتمد على التقارير التي كتبت عنه
مطالبةً بمصادرته وقد تمكنت والحمد لله - الذي لا يحمد على مكروه
سواه - من الحصول على نسخة من هذا التفسير .

منهج في التفسير :

بدأ المؤلف تفسيره بإتهام المفسرين بالفساد والحشو فقال :
" وقد بلغ الفساد والحشو في التفاسير أنك لا تجد أصلاً من أصول
القرآن إلا وتجد بجانبه رواية موضوعة لهدمه وتبديله والمفسرون قد
وضعوا هذا في كتبهم من حيث لا يشعرون ، وقد جعلوا الاصطلاحات
والمذاهب الفقهية والكلامية أصولاً حكَّموها في القرآن وأنزلوه عليها
حتى صار ميداناً للجدل وأصبح غير صالح للحياة بما حملوه من

(١) انظر التفسير والمفسرون : محمد حسين الذهبي ج ٣ ص ١٩٨ ، وقد نُشِرَ
قرار اللجنة الأزهرية التي أُلْتُلِرِدَّ على الكتاب في العدد الثالث والرابع
من المجلد الثاني من مجلة نور الاسلام (الأزهر سنة ١٣٥٠) .

(٢) الاصلان العظيمان الكتاب والسنة : جمال البنا ص ٩١

الأثقال وبما وضعوا فيه من الجمود والعراقل ووسائل التفريق والشقاق فهدايتهم فقدت بالمجادلات في الالفاظ والمذاهب ، ومعانيه ومقاصده ضاعت بالروايات الناسخة والتفسيرات المتحجرة العقيمة ولم يخل تفسير من هذا لأن المفسرين يقلد بعضهم بعضاً " (١) .

ثم وضح طريقته في التفسير فقال " فهذا كله دعاني إلى تفسيري وأن تكون طريقتي فيه كشف معنى الآية وألفاظها بما ورد في موضوعها من الآيات والسور ، فيكون من ذلك العلم بكل مواضع القرآن ، ويكون القرآن هو الذي يفسر نفسه كما أخبر الله (:) ، ولا يحتاج إلى شيء من الخارج غير الواقع الذي ينطبق عليه ويؤيده من سنن الله في الكون ونظامه في الاجتماع .

وقد اخترت أن يكون على عدد الآيات في المصحف لتبقى الهداية بالترتيب الذي إختاره الله ، وليمكن الباحث عن معنى الآية أن يلاحظ سياقها فيقرأ ما سبقها وما لحقها من الآيات ، ليكون على علم تام وهداية واعظة " (٢) .

ثم زعم أن هذه الطريقة في التفسير هي سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وطريقته فقال " فهذه كانت سنة الرسول (صلى الله عليه وسلم) أي طريقته في القرآن وهي الحكمة المذكورة في قول الله (ويعلمكم الكتاب والحكمة) راجع ١٥١ البقرة .

فالكتاب هو القانون الجامع لمواد الأحكام وإن شئت فقل أن الكتاب دستور فيه كل شيء من أصول القوانين وهو المرجع لأهل

(١) الهداية والعرفان في تفسير القرآن بالقرآن : محمد أبوزيد ص ب - ج

(٢) الهداية والعرفان : محمد أبوزيد ص ج - د

التشريع في كل عصر فيما يتجدد من الحوادث" (١).

وقد أدرك أن كتابه هذا سيجابه بالرفض والطعن فقال في مقدمة تفسيره هذا " ومن الغريب أن يكون لنا في القرآن هذه المزايا ونعرض عنه ولا نتمسك به ، ثم الأغرب أننا نتفرق فيه فإذا رأى بعضنا رأياً أو فهم فهمًا إنقضَّ عليه المخالفون باللعن والطعن ولقد كان هذا التفرق من أعظم الأسباب التي خذلت المسلمين وجعلتهم مملوكين لغيرهم " (٢).

ثم أظهر هدفه السيء الذي يريه المسلمون بالقرآن الكريم أن ينزلوه هذه المنزلة التي يريدونها هذا الملحد الذي قال " والواجب أن يفهم المسلمون أن القرآن شائع مشترك بين الناس وأن من آياته الدالة على أنه من عند الله إتساعه للأفهام وتحمله لاختلاف الآراء ، والأنظار في كل زمن وهذا معنى أنه متشابه أي أنه من تعدد المعنى يتشابه ويختلف على الناظرين " (٣).

ولا شك أن إباحة تناول تفسير القرآن الكريم لكل من هبَّ ودبَّ ممن أوتى علماً وممن لم يؤت علماً ومن الصالح والفساد هو الذي أدخل في تفسير القرآن الكريم ما ليس منه وما هذا التفسير الذي ألفه هذا الدعي للعلم وأهله إلا نتيجة لتجرؤ من ليسوا أهلاً لتفسير القرآن على تفسيره فهل يريد إلحاداً أكثر من إلحاده .

وقد نظرت في تفسيره بل في إلحاده فوجدت أنه يقوم على قواعد إلزامها في إلحاده استطعت أن أضبط منها : -

(١) المرجع السابق : ص د

(٢) المرجع السابق : ص ز

أولا : انكار التفسير بالسنة :

عنوان هذا التفسير الهداية والعرفان في تفسير القرآن بالقرآن
يشعر إذا أضيفت إليه قرائن أخرى أن صاحبه لا يعتد بالتفسير ،
بالسنة بله أقوال الصحابة والتابعين ،

يشعر بهذا قول المؤلف في مقدمة تفسيره ما نقلناه آنفا ومنه
قوله " ويكون القرآن هو الذى يفسر نفسه كما أخبر الله ولا يحتاج
إلى شيء من الخارج غير الواقع الذى ينطبق عليه ويؤيده من سنن
الله في الكون ونظامه في الاجتماع " (١) .

فاذا ما إحتجبت عليه بقوله تعالى " وأنزلنا إليك الذكر لتبين
للناس ما نزل إليهم " (٢) . أُلحد في تأويلها وزعم أن المراد بقوله
تعالى " ما نزل إليهم " من الكتب السابقة فالقرآن جامع لها وداع
إليها " (٣) . فإن إستشهدت بقوله تعالى " فليحذر الذين يخالفون
عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم " (٤) أجابك هذا
الملحد بتأويله لهذه الآية حيث يقول " عن أمره " يفيدك أن المخالفة
المحدورة هي التي تكون للأعراض عن أمره وأما التي تكون للرأى
والمصلحة فلا مانع منها بل هي من حكمة الشورى " (٥) .

ومثل هذا لا يجهد الانسان نفسه في جداله ما دام منطقـه
المغالطة واللغو الذي لا يستند إلى كتاب أو سنة .

(١) المرجع السابق : ص ج

(٢) سورة النحل : الآية ٤٤

(٣) الهداية والعرفان : محمد أبوزيد ص ٢١١

(٤) سورة النور : من الآية ٦٣

(٥) الهداية والعرفان : ص ٢٨١

لهذا فلا عجب أن يعرض عن تفسير القرآن بما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم فقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم بيان المغضوب عليهم والضالين في سورة الفاتحة بأنهم اليهود والنصارى لكن المؤلف هنا يقول " المغضوب عليهم " المعاندين الذين يكرهون الحق (الضالين) التايهين عن الحق " (١) .

وكذا الصلاة الوسطى في قوله تعالى " حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى " (٢) فقد روى أحمد ومسلم وأبو داود مرفوعاً " شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر " لكنه يقول في تفسيرها " الوسطى خيرها وأقومها مؤنث الأوسط " (٣) .

أما القوة في قوله تعالى " وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة " (٤) فقد روى مسلم في صحيحه عن عقبة بن عامر أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم وقد تلا هذه الآية على المنبر يقول " ألا إنَّ القوة الرمي " قالها ثلاثاً إلا أن هذا قال في تفسيره لها " قوة " لم يُعرّفها لأنها تختلف باختلاف الزمان " (٥) .

وكلمة التقوى في قوله تعالى " وألزمهم كلمة التقوى " (٦) . ورد تفسيرها في السنن بأنها : لا إله إلا الله (٧) . وأعرض محمد أبو زيد عن هذا التفسير وقال : كلمة (التقوى) أي الكلمة التي تقيهم الوقوع في الشر والضرر والغرض أنهم كانوا حكماً فيما عملوا في مقابلة حرارة الخصوم وحميتهم الجاهلية " (٨) ؟ !

(١) المرجع السابق : ص ٢ (٢) سورة البقرة : من الآية ٢٣٨

(٣) الهداية والعرفان : ص ٣٢

(٤) سورة الانفال : من الآية ٦٠ والحديث رواه مسلم في صحيحه ج ٣ ص ١٥٢٢ كتاب الأمانة .

(٥) الهداية والعرفان ص ١٤٢ (٦) سورة الفتح : من الآية ٢٦

(٧) مسند الامام احمد ج ٥ ص ١٣٨ والترمذي ج ٦ ص ٣٨ كتاب التفسير سورة الفتح

(٨) الهداية والعرفان : ص ٤٠٧

وكثيرة الأمثلة التي تثبت إعراضه عن التفسير بالمأثور عن الرسول صلى الله عليه وسلم للقرآن الكريم ، ولا شك أن القرآن نفسه - لو كان هذا يفقهه - يعلن أن محمدا صلى الله عليه وسلم هو المبين لـه " وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون " (١) وقوله سبحانه " وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلمهم يفتكرون " (٢) .

ثانيا : انكار المعجزات :

وهذا هو البحر المتلاطم الأمواج في هذا التفسير إذ أنه يبدو للمتأمل أن صاحب هذا التفسير قد بذل جهده في إنكار المعجزات كلها وتأويلها تأويلا باطلا حتى لكأنه إنما ألفه لهذا الهدف دين سواه .

والنصوص في إنكار المعجزات في هذا التفسير كثيرة نذكر منها على سبيل المثال قوله " وبعد هذا تعلم أن الله ينادى الناس بأنهم لا ينبغي أن ينتظروا من الرسول آية على صدقه في دعوته غير ما في سيرته ورسالته " (٣) .

وقال في موضع آخر " واعلم أن آيات الله في نصر أنبيائه لا تناقض سنته في خلقه وكونه " (٤) .

وقال أيضا " أن كل الرسل رُميت آياتهم بأنها سحر وقد كانت كل آياتهم حججا وبراهين من سيرتهم ورسالتهم فلا يمكن أن يأتوا

(١) سورة النحل : من الآية ٦٤ (٣) الهداية والعرفان : ص ١٦١

(٢) " ، " : " ٤٤ (٤) الهداية والعرفان : ص ٢٩٠

بدليل على صدقهم من غير الدعوة نفسها" (١) .

وقال أيضا " وأن آيتهم على صدق دعوتهم لا تخرج عن حسن سيرتهم وصلاح رسالتهم وأنهم لا يأتون بغير المعقول ولا بما يبذل سنة الله ونظامه في الكون " (٢) .

هذه بعض أقواله في انكار معجزات الانبياء إجمالا ثم أنكرها بعد ذلك آحادا وأولها تأويلا لا يقوم على دليل - من الكتاب أو من السنة أو من اللغة .

معجزات ابراهيم عليه السلام :

فمن ذلك مثلا أن قوم ابراهيم عليه السلام أوقدوا له نارا وألقوه فيها وقالوا حرقوه وانصروا آلهتكم فجاءت المعجزة الالهية " قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم " (٣) ومعنى الآية ظاهر واضح لكن محمد أبوزيد هذا أُلحد في تفسير الآية فقال " كوني بردا وسلاما : معناه نَجَاه من الوقوع فيها . . وترى في الآية وباقي القصة أن الله نَجَاه بالهجرة وَخَيَّب تدبيرهم " (٤) .

وعلى هذا فعنده أن إبراهيم عليه السلام لم يُلقَ في النار ولم تكن بردا وسلاما على إبراهيم ، ولا أظنه يجهل أن من أنواع الإيجاز إيجاز الحذف وهو حذف ما يُستغنى عنه بذكر ما يستلزمه ولا يستقر معناه في ذهن السامع إلا بتقديره ، والبلاغيون يضربون لذلك مثلا بقوله تعالى " واسأل القرية " (٥) أي واسأل أهل القرية ، والمحذوف في الآية موضع البحث هنا هي كلمة " فألقوه " لأن السياق

(١) المرجع السابق : ص ٢٩٧ (٤) الهداية والعرفان : ص ٢٥٦

(٢) " ، " : ص ٣٠٦ (٥) سورة يوسف : من الآية ٨٢

(٣) سورة الانبياء : من الآية ٦٩

يستلزمها قال تعالى " قالوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ، قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم " (١) والتقدير فألقوه فقلنا يا نار .. الآية ولا أظنه يجهل هذا إذ لو كان الأمر كذلك لاستقام تفسيره في غيرها من المعجزات ولكنه ذهب يؤولها بما ينكرها به كلها .

معجزة داود عليه السلام :

وقد سخر الله لداود عليه السلام الجبال يسبحن معه والطير فقال عز شأنه " وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ " (٢) وقد أنكر محمد أبوزيد المعنى المتبادر من (يسبحن) وصرفه إلى معنى آخر لغير قرينه فقال " يسبحن - : - يعبر عما تظهره الجبال من المعادن التي كان يسخرها داود في صناعته الحربية " (٣) ولا أدري لم كان هذا مزية لداود عليه السلام مع أن الناس في القديم والحديث يستخرجون المعادن من الجبال فأى مزية لداود عليه السلام في هذا فإن أراد أن الجبال هي التي تظهره من غير كسب ابن آدم وجهده فهي معجزة لا تقل عن الأولى لكنه لا يريد هذا ولا ذاك .

معجزات سليمان عليه السلام :

وما دام حديثنا هنا في سورة الأنبياء عليهم السلام فلننظر إنكاره العجيب للمعجزة التي أوتيها سليمان عليه السلام فقد جاء في هذه السورة قوله تعالى " ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره " (٤) قال تفسيرا عجيبا : " تجري بأمره : الآن تجري بأمر الدول الأوروبية وإشارتها

(١) سورة الأنبياء : الآيتين ٦٨-٦٩ (٢) سورة الأنبياء : الآية ٧٩

(٣) الهداية والعرفان : ص ٢٥٧ (٤) سورة الأنبياء : الآية ٨١

فى التلغرافات والتليفونات الهوائية" (١) ولا تعليق على هذا التفسير لأن المغايرة بين التفسير والمفسر لا تخفى ، إلاّ التعليق بأنه أراد أن ينكر هذه المعجزة بأية وسيلة .

وكذا تعليم الله سبحانه وتعالى لسليمان عليه السلام منطق الطير وتحدث سليمان عليه السلام بهذه النعمة وشكر الله عليها " وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأَوْتِنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنْ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ " (٢) .

ولكن محمد أبوزيد ينكر أن يكون هذا فضلا لسليمان عليه السلام فيزعم أن : - " كل من يربي الطير ويؤلفه يُمكنهم أن يتعلموا مَنْطِقَهُ وماذا يريد ويمكنهم أن يستعملوه فى الرسائل وغيرها " (٣) وتنزلا مع مَنْطِقَ هذا الْمُنْكَرَ نقول أن من تعلم لغة طير واحد أو إستعمل نوعا من الطير فى الرسائل لجهات معينة محدودة لا يصح أن يوصف بأنه تعلم منطق الطير على الإطلاق فيبقى هذا خاصا بسليمان عليه السلام ، لكن محمد أبوزيد يرفض هذا ولأجله صرف كل معنى يدل عليه . فالنملة التى تحدثت مع سليمان عليه السلام مع أنها ليست طيرا ، إلاّ أن محمد أبوزيد يقول " نملة : قبيلة من النمل : قبائل الوادي " (٤) وصرف لفظة النمل عن معناها الصحيح إلى أنها اسم قبيلة حتى لا يكون فى الأمر عجبا ويكون أمرا مألوفا لا يبعد عن ذهنه القاصر ، وكذا صرف حديث الهدهد مع سليمان عن حقيقته أو الهدهد نفسه عن أن يكون طائرا فقال " الهدهد : اسم طائر ، فهل يكون من ذوى الجناحين ويكون كلامه كناية عما يحمل —

(١) الهداية والعرفان : ص ٢٥٧ (٢) سورة النمل : الآية : ١٦

(٣) (٤) الهداية والعرفان : ص ٢٩٧

(١)
الرسائل ، أم من الخياله : - السواري - أو : الطيارين الآخرين " ١٩
ولا ندري ماذا يقصد بالطيارين الآخرين والمهم في كل هذه
التأويلات التي أوردها أنه أراد أن يصرفها عن أن تكون معجزة
لسليمان عليه السلام .

ولم يترك هذا الرجل لسليمان عليه السلام أي أمر خارق للعادة
حتى إحضار عرش ملكة سبأ إليه صرفه عن معناه الحقيقي إلى معنى
آخر ففي قوله تعالى : - " قال يا أيها الملأ أئكم يأتيني بعرشها
قبل أن يأتوني مسلمين قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم
من مقامك وإنني عليه لقويّ أمين ، قال الذي عنده علم من الكتاب ،
أنا آتيك به قبل أن يرتدّ إليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال
هذا من فضل ربي ليبلوني ءأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه
ومن كفر فإن ربي غني كريم " (٢) . فقال في تفسيرها " بعرشها :
بملكها : يريد أن يضع خطط الحرب ونظام الدخول في البلاد
فطلب الخريطة (١١) التي فيها مملكة سبأ ليهاجمها ويربها أنه
جاد غير هازل (عفريت من الجن) أحد القواد ويظهر أنه لم
يفهم أن المسألة علمية جغرافية تحتاج إلى الذي عنده علم (من
الكتاب) من الكتابه والرسم والتخطيط (١١) (قبل أن يرتد
إليك طرفك) الغرض أنه يأتي به حالا ، وقد أتى به ويحتمل أنه
رسمه في الحال أو كان عنده مرسوما . ولو كان عهد الفتوغرافيا
(١١) قديما لصح أن يكون ذلك الرسم بها ، وترى أن سليمان يشكر
الله على ما في مملكته من العلماء العاملين في كل فن " (٣) .

(١) الهداية والعرفان : ص ٢٩٧ (٢) سورة النمل : الآيات ٣٨-٤٠

(٣) الهداية والعرفان : ص ٢٩٨ - ٢٩٩

ومن هذا ترى أن المؤلف صرف لفظ العرش عن مدلوله الحقيقي إلى معنى آخر وهو خارطة مملكة سبأ ، لكنه لم يُشِرْ من قريبٍ أو من بعيدٍ إلى معنى قول سليمان عليه السلام " نَكُرُوا لَهَا عَرْشَهَا " الآية (١) هل أراد أن يُنَكِّرَ الخارطة ؟ وما الفائدة من تنكير الخارطة الذي إن دَلَّ على شيء فإنما يدل على قصور في معرفة بلاد العدو وذلك صفة ضعف لا صفة قوة مع أنه لا صلة بين العرش والخارطة إلا عند ذوي المآرب، ومآربه لا تخفى لكنه سلك طريقاً مُهْلِكاً مكشوفاً للأنظار. معجزات موسى عليه السلام :

ومعجزات موسى عليه السلام أولَّها كما أولَّ غيرها من المعجزات بما يبطلها فقال مثلاً عن قوله تعالى عن موسى عليه السلام " فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ، ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين " (٢) " مثال من قوة حجته وظهور برهانه " (٣) وهو يريد بهذا إنكارهاتين المعجزتين كما أنكر معجزاته الأخرى كضرب الحجر بعصاه وخروج عيون الماء وذلك في قوله تعالى " وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم " (٤) فزعم أنه : - " يصح أن يكون (الحجر) اسم مكان واضرب بعصاك الحجر معناه اطرقه واذهب إليه والغرض أن الله هداه إلى محل الماء وعيونه " (٥) وقال نحو هذا في معجزة أخرى لموسى عليه السلام نص عليها قوله تعالى فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم " (٦) حيث قال " اضرب بعصاك البحر اطرقه واذهب إليه) فانفلق فكان كل فرق

(١) سورة النمل : من الآية ٤١ (٢) سورة الاعراف: الآيتين ١٠٧-١٠٨

(٣) الهداية والعرفان : ص ١٢٦ (٤) سورة الاعراف: الآية ١٦٠

(٥) الهداية والعرفان : ص ١٣١ (٦) سورة الشعراء: الآية ٦٣

كالطود العظيم) هذا بيان لحالة البحر ، يصوره لك بأنه مناطق بينها طرق ناشفه يابسه ، راجع ١٦٠ في الاعراف ثم راجع طه في ٧٧ و ٧٨ لتعرف كيف اهتدى إلى طريق ييس مَرَّ منه ^(١) ولا ندري كيف يعلل مرور موسى عليه السلام ومن معه وغرق فرعون ومن معه كيف كان هذا الطريق ييسا عند مرور موسى عليه السلام ثم إنقلب بحرا متلاطم الأمواج يغرق فيه فرعون ومن معه إن هذه وحدها لمعجزة إلهيه في حفظ الله تعالى لنبي من أنبيائه حسبك بانفراج البحر عن طريق ييس بعد أن ضربه موسى عليه السلام إمتثالا لأمر ربه .

معجزات عيسى عليه السلام :

وَأَوَّلَ أَمْرِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ كَلَّمَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ قَالَ تَعَالَى عَنْ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ " وَيَكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ " ^(٢) لكن محمد أبوزيد يُحَرِّفُ التفسير فيقول " في المهد : في دور التمهيد للحياة وهو دور الصبا - علامة على الجرأة وقوة الاستعداد في الصغر (وكهلا) علامة على أنه لا يقل عزمه بالشيخوخة والكبر - ويصح أن يكون المعنى يكلم الناس الصغير منهم والكبير علامة على تواضعه ومباشرة دعوته بنفسه " ^(٣) .

فاذا ما قلت له - لو كان يفقه - أن قوله تعالى " فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا " ^(٤) يدل على أنه تحدث وهو صبي في المهد تحمله أمه إذا قلت هذا أجابك جهلا وسفاهة

(١) الهداية والعرفان : ص ٢٩٠ (٢) سورة آل عمران : الآية : ٤٦

(٣) الهداية والعرفان : ص ٤٤ (٤) سورة مريم : الآية ٢٩

" كان في المهد صبيا أى كان ذاك النهار ولدا صغيرا فكيف
يأمرنا وبينها ونحن كبار القوم فهذا ابن حرام" ^(١) ؟ ! وإنحرف فى
تفسير حمل أمه له حتى يلائم تفسيره هذا فقال فى (تحمله) على
ما يُحمَل عليه المسافر ومنه تفهم أنها كانت فى سياحة طويلة ^(٢) .
فجعل حمل مريم لعيسى عليهما السلام وإتيانها به قومها كذلك
حملا على ما يحمل عليه المسافر ؟ ! وهو صرف للالفاظ عن مدلولها
لا تعين عليه اللغة وسياق الكلام ولكنه الهوى .

وقد تعجب إذا قلت لك أنه ينكر أن يكون عيسى عليه السلام
قد ولد من غير أب لكنه يفعل هذا بطريق غير مباشر وإنما بطريق
التلميح الذي قد يبعد عند بعض الأذهان كما أنها إشارة ملموزة
عند آخرين حيث قال فى تفسير قوله تعالى " وأوحينا إلى أم موسى
أن أرضعيه " الآية ^(٣) : - أم موسى فيها ملحوظة ظريفة هي أن موسى
لم يذكر له أب ولكن قومه لم ينكروا أباه ، أو يقولوا فيه كما قالت
النصارى فى المسيح ابن الله ، بناء على أن المسيح نسب إلى أمه
ولم يذكر له أب . راجع مريم لتفهم المناسبة بينها وبين أم موسى
فى أن كل واحد منهما جاءت بمولود عظيم وكان لها الفضل فى
حسن تربيته والجهاد فى المحافظة عليه ^(٤) فهذه المقارنة بين قوم
موسى وقوم عيسى ترمز إلى أن عيسى كموسى (عليهما السلام) له أب
ويتأكد هذا إذا نظرت تفسيره لقوله تعالى " فأرسلنا إليها روحنا
فتمثل لها بشرا سويا " ^(٥) قال " فتمثل يفهمك أنها رؤيا تمثليته

(١) الهداية والعرفان : ص ٢٣٩ (٢) الهداية والعرفان : ص ٢٣٩

(٣) سورة القصص : الآية ٧ (٤) الهداية والعرفان : ص ٣٠٣

(٥) سورة مريم : الآية ١٧

وبشارة روحه " وفى قوله تعالى عن مريم عليها السلام " قالت أَنَّى يكون لي غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا " (١) قال " استنكرت لما طرأ على فكرها أن الولد يأتيها من غير السبب المعروف " وقال في قوله تعالى : - " فحملته فانتبذت به مكانا قصيا " (٢) وما بعدها " إختصار فى التعبير لا يعوق دور الحمل الطبيعى والمقصود أن مريم أصابها ما يصيب النساء - لجأت عند الوضع إلى جذع النخلة لتستند عليه وتمنت لو ماتت قبل أن تذوق آلام الولادة فلم يكن عيسى ابن الله ، ولم تخرج أمه ولا هو عن دائرة البشرية " (٣) إذا أضفت التفسير السابق لآيه القصص مع هذا التفسير لآيات مريم تبين لك ما يرمز إليه رجل ينكر المعجزات . وعرفت أنه لا يعترف كما لا يعترف اليهود بأن عيسى عليه السلام خلق من غير أب (٤)

أما معجزات عيسى عليه السلام بعد ذلك التى تحدث عنها القرآن حكاية عن عيسى عليه السلام " أني قد جئكم بآية من ربكم أَنِّي أَخْلُقْ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ " (٥) فإن هذا الرجل قد تخبط في تفسيرها فراح يضرب القول جزافا فقال " كهيفة، يفيدك التمثيل لإخراج الناس من ثقل الجهل وظلماته إلى خفة العلم ونوره - ومعنى الأكمه من ليس عنده نظر (والأبرص) المقلون بما يشوه الفطرة فهل عيسى يبرىء هذا بمعنى أنه يكمل التكوين الجسماني بالأعمال الطيبة أم بمعنى أنه يكمل

(١) سورة مريم : الآية ٢٠ (٢) سورة مريم : الآية ٢٢
(٣) الهداياه والعرفان : ص ٢٣٩ (٤) بلاغة القرآن : محمد الخضر حسين ص ١٢٠
(٥) سورة آل عمران : الآية ٤٩

التكوين الروحي والفكري بالهداية الدينيه . . . (في بيوتكم) يعلمهم
التدبير المنزلى " (١) ١١٢

وأكد هذا عند تفسيره لهذا في آخر سورة المائدة عند قوله
تعالى " مخاطبا عيسى عليه السلام " وإذ تخلق من الطين كهيئة
الطير بإذنى فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذنى وتبرىء الأكمة والأبرص
بإذنى وإذ تخرج الموتى بإذنى وإذ كفت بني إسرائيل عنك إذ
جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين " (٢)
فقال في تفسيرها " الموتى : معنهم مشترك بين موتى الأجساد
وموتى القلوب والنفوس ، وموتى الجهل والاستعباد ، وموتى الاتهام
والحكم بالاعدام . . من هذا تعرف أن عيسى نبي أرسله الله إلى
بني إسرائيل ليشفي مرض نفوسهم ويحيى موت قلوبهم فأيته فى
دعوته ، وسيرته وهدايته ، عاش ومات كخير من الأنبياء فى بشرته
فلم يكن خارقا لله (١١١) فى سنته ، ولا ممتازا بما يدعو إلى
ألوهيته وعبادته " (٣)

وأحسب أن أمر الحاده فى تأويل هذه المعجزات بين بحيث
لا يحتاج مع بيانه إلى بيان، فحسبه الله، وكفى .

معجزات محمد صلى الله عليه وسلم :

ويكفى أن تعرف معجزة الإسراء به صلى الله عليه وسلم من مكة
إلى المسجد الأقصى ثم عودته إلى مكة فى نفس الليله كما اتفقت
النصوص الكثيرة على ذلك . وقد جاء محمد أبوزيد برأى جديد لم

(١) الهداياه والعرفان : ص ٤٥

(٢) سورة المائدة : الآية ١١٠

(٣) الهداياه والعرفان : ص ٩٧

يقول به أحد قبله - فيما أعلم - فقد زعم أن " الاسراء " يستعمل في هجرة الأنبياء " " المسجد الحرام الذي له حرمة يحترم بها عند جميع الناس " " المسجد الأقصا " الأبعد - مسجد المدينة - وقد بارك حوله فكان للنبي (صلى الله عليه وسلم) هناك ثمرة وقوة وكان بالاسراء الفتح والنصر فكان كل ذلك من آيات الله " (١).

إذا فالمراد بالاسراء عنده الهجرة - من مكة إلى المدينة ولا أدري كيف يفسر المسجد الأقصى بالأبعد ثم يزعم أنه مسجد المدينة مع انه لا مسجد هناك حينذاك ، زد على هذا أن في القدس مسجدا هو أبعد من مسجد المدينة ومع أن هذه الآية مكية بإتفاق العلماء أي قبل الهجرة ولكن المؤلف لا يدرك فوائد معرفة ما نزل بمكة وما نزل بالمدينة وأثر ذلك في التفسير ، وزد على هذا أيضا أن الاسراء من مكة إلى بيت المقدس قد ورد في السنه ورواه جمع عظيم من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنهم وجاءت هذه الروايات في الصحاح ، ولكنه لا يفسر القرآن بالسنه ولو فعل لما ضل وتاه وألحد في تفسيره .

تلكم بعض الأمثلة على مواقفه الملحدة من المعجزات التي أظهرها الله على يد أنبيائه علامة على صدقهم أمام أقوامهم فأمن بها طوائف منهم وأنزل الله العقاب الشديد على من لم يؤمن بعد نزولها دليلا على حجيتها ، وأحسب هذا دليلا كافيا على قوة الارتباط بين النبوة والمعجزة قال شيخ الأزهري محمد الخضر حسين عن منكري المعجزات " إنما ينكرها طائفة ممن انكروا بعثة

الرسـل إذ قالوا ان الرسالة تتوقف على المعجزة والمعجزة خرق للعادة وخرق العادة محال " (١) .

ولهذا فان شيخ الأزهر محمد الخضر حسين رحمه الله تعالى كثيرا ما يربط وهو يرد على محمد أبوزيد - بينه وبين داعية البهائية المسمى أبا الفضل في كتابه المسمى " الدرر " فيورد إلحاد هذا ثم يورد إلحاد البهائي فلا تكاد تجد فرقا بينهما إلا في الألفاظ ، ويزداد ظنك سوءا إذا علمت أن صدور الكتاب البهائي قبل صدور تفسير محمد أبوزيد بوقت قصير نسبيا ، ويعد فعل فيما ذكرنا من موقفه من المعجزات بيان لحقيقته .

ثالثا : إنكار الغيبات :

ونكتفي من الحديث عن الغيبات بثلاثة من معالمه التي ضل بها كثير من الناس فتذكر تعريفه للملائكة والجن والشیاطين .

الملائكة :

أما الملائكة فهم عنده رسل النظام وعالم السنن وسجودهم للانسان معناه أن الكون مسخر له (٢) أما حملهم للتأبوت في قوله تعالى " وقال لهم نبيهم أن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينه من ربكم وبقيّة مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين " (٣) فقد فسر الحمل بقوله " تحمله الملائكة " إشارة إلى أنه يأتي إليهم بسنن الله ونظامه

(١) بلاغة القرآن : محمد الخضر حسين ص ١١٤

(٢) الهداية والعرفان : ص ٧

(٣) سورة البقرة : الآية ٢٤٨

أى بتغلبهم على العدو بقوة الحرب ونظامه - والملائكة كما قلنا فى
٣٤ رسل النظام والسنن فى الكون " (١) .

الشياطين :

قال تعالى " قل أئندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا
ونرد على أعقابنا بعد إذ هداانا الله كالذى استهوتة الشياطين
فى الأرض " الآية (٢) . فقال محمد أبوزيد فى تفسير الشياطين
" الشياطين تطلق على الحيات والشعابين تستهوى من يتبعها
ليقتلها فيهوى معها وتضل بهتعرجها " (٣) ؟ !

وفى قوله تعالى عن سليمان عليه السلام " فسخرنا له الريح
تجرى بأمره رخاءاً حيث أصاب ، والشياطين كل بناء وغواص " (٤)
فقال هذا فى تفسيرها " الشياطين : يطلقون على الصناع الماهرين
والأشقياء المجرمين " (٥) .

أما وصف الشيطان وقبيله بأنهم يروننا من حيث لا نراهم
وذلك فى قوله تعالى " إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم " (٦)
فقال فى تفسيرها " من حيث لا ترونهم أى من الجهة التى لا ترونهم
فيها شياطين فيخدعونكم بأنهم من الأولياء الصالحين " (٧) فصرف
هذا الرؤية عن أن تكون إلى الأعيان والأبدان إلى أن تكون نفيّاً
للمرئية المعنوية وهى رؤيه حقيقتهم ومآربهم .

-
- (١) الهداية والعرفان : ص ٣٣ (٢) سورة الانعام : الآية ٧١
(٣) الهداية والعرفان : ص ١٠٥ وانظر ص ٣٧ حيث قال الشيطان يطلق على
الشعبان كالجبان . (٤) سورة ص : الآية ٣٦ - ٣٧
(٥) الهداية والعرفان ج ٣ ص ٣٥٩
(٦) سورة الاعراف : الآية ٢٧
(٧) الهداية والعرفان : ص ١١٨

أما ابليس فعنده أنه " اسم لكل مستكبر على الحق ويتبعه
لفظ الشيطان والجان وهو النوع المستعصي على الانسان تسخيره"^(١)

الجن :

قال تعالى في أول سورة الجن " قل أوحى إلى أنه استمع
نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا "^(٢) .

وزعم محمد أبوزيد أنه " يطلق الجن والجنه على الزعماء
والمستكبرين من السادة المتبوعين ، وَيُعَبَّرُ عن الانس بسائر المقلدين
والتابعين المستضعفين "^(٣) ولا أدري ماذا يسمى الانس المتبوعين
والسادة .

لكنه جاء بتعريف آخر للجن في تفسير قوله تعالى " وحُشِرَ
لسليمانَ جنودُهُ من الجن والانس والطير فهم يوزعون "^(٤) . فقال
" الجن يطلق على العالم الخفي والظاهر القوي وجن كل شيء أوله
ومقدمته وجن الجيش قواده ورؤساؤه "^(٥) .

وقال في تفسير قوله تعالى " والجان خلقناه من قبل من نار
السموم "^(٦) : - " والجان النوع المتشرد صاحب الطبع الناري
الذى إذا قاربتة يؤذيك ويغويك ولا تستطيع أن تمسكه وتعدله ،
والنوعان موجودان في كل أمة "^(٧) ؟ ! وتأمل قوله والنوعان" يقصد
الانسان والجان " موجودان في كل أمة فقد وصف الانسان بأنه
النوع الهادي ، والجان بأنه النوع المتشرد ثم وصفهما بأنهما

(١) الهداياه والعرفان : ص ٧ (٢) سورة الجن : الآية الأولى

(٣) الهداية والعرفان : ص ٤٥٨ (٤) ، النمل : الآية ١٧

(٥) ، ، : ص ٢٩٧ (٦) ، الحجر : الآية ٢٧

(٧) ، ، : ص ٢٠٤

موجودان في كل أمة اذا أضفت هذه النصوص الى بعضها وعرفت موقف صاحبها من الملائكة والشياطين أدركت أنه يجعل الجن نوعا من أنواع البشر ويقابله النوع الثاني من أنواع البشر وهم الانس وهذان النوعان الجن والانس موجودان في كل أمة من البشر، وهذا يعنى خلاف الحق الذى اتفقت عليه الأمة من أن الجن نوع مستتر بخلاف الانس وأن فيهم الصالح وفيهم الفاجر فيهم المؤمن وفيهم الكافر .

رابعا : إنكار بعض التشريعات المعلومة من الدين بالضرورة :

وإنما وصفته بأنه ينكر ولم أضفه بالاجتهاد لأن الاجتهاد له شروطه التي لا تتوفر فيه أولا ولأن الاجتهاد ليس فيما أجمع عليه المسلمون وما هو معلوم من الدين بالضرورة فلا يصح أن يجتهد إنسان في حكم الصلاة المفروضة مثلا لأن أمره لا يحتاج إلى بذل الجهد وإستقصاء الذهن في معرفته إذ هو معلوم من الدين بالضرورة كذلك الأمر في حكم السرقة والزنا وتعدد الزوجات والربا ونحو ذلك وإنما يسمى من أنكر شيئا من ذلك منكرا لتشريعه لاجتهادا في حكمه ، وعلى هذا فقد أنكر محمد أبوزيد عددا من الأحكام الشرعية المعلومة من الدين بالضرورة ومنها :

حد السرقة :

قال تعالى " والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما " الآية (١)

ولم يذكر القرآن ولا السنة ولم يرد عن أحد من الصحابة أو من التابعين اشتراط أن تتكرر السرقة من السارق حتى يقام عليه الحد

لكن محمد أبوزيد يشترط هذا إفتياتا على الشريعة فيقول " واعلم أن لفظ السارق والسارقة تعطى معنى التعود أي أن السرقة صفة من صفاتهم الملازمة لهم ويظهر لك من هذا المعنى أن من يسرق مرة أو مرتين ولا يستمر في السرقة ولم يتعود اللصوصية لا يعاقب بقطع يده لأن قطعها فيه تعجيز له ولا يكون ذلك إلا بعد اليأس من علاجه " (١) .

حد الزنا :

ونحو تفسيره هذا قال في تفسير قوله تعالى " الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة " الآية (٢) فزعم : " يطلق هذا الوصف على المرأة والرجل إذا كانا معروفين بالزنا وكان مسن عادتتهما وخلقهما فهما بذلك يستحقان الجلد " (٣)

وهذا الزعم الباطل في تأويل هذه الآية جاء من بعده في تفاسير كثير من المنهزمين الذين تأثروا بكلام أعداء الحق حين زعموا أن قطع يد السارق وجلد الزاني فضلا عن رجمه فيه قسوة وعنف وفيه تعطيل للفرد وتعجيز له وفيه تشويه لأفراد البشر وهم بهذا ينظرون إلى المجتمع من زاويته الضيقة زاوية الفرد ولو علم هؤلاء أن في قطع يد سارق حفظ لأرواح بله أيدي آخرين هم أكثر عدداً، وأن في قطع يد سارق حفظ لأمن أمة، وأن في تشويه يد سارق جمال لأمة، وأن القسوة ليست في الجزاء والقصاص وإنما هي في الجريمة الأولى التي يستحق صاحبها العقاب ولكنهم لا يفقهون أو يفقهون ويمكرون .

(١) الهداية والعرفان : ص ٨٨

(٢) سورة النور : الآية ٢

(٣) الهداية والعرفان ص ٢٧٤

اما ان ارادوا الفقه الحق في تفسير الآيه فقد رد الشيخ محمد الخضر حسين على هذا وأمثاله بقوله " وهذا الذي قاله في اسم الفاعل من أنه يدل على التكرار والتعود من بهتانه الذي لا يقف عند حد ؟ فاسم الفاعل نحو السارق أو الزاني إنما يدل على ذات قامت بها السرقة أو الزنا ، ولا دلالة له على تجديد قيام الوصف بالذات ، ولا على تعودها عليه ، هذا ما يقوله علماء العربيه في التقديم والحديث قال ابن مالك في كتاب التسهيل معرفا اسم الفاعل : - " اسم الفاعل هو الصفة الدالة على فاعل ، جارية في التذكير والتأنيث على المضارع من أفعالها لمعناه أو معنى الماضي " فقوله لمعناه أو معنى الماضي تنبيه على أنه لا يدل على أزيد مما يدل عليه الفعل ، وهذا وجه الفرق بينه وبين صيغ المبالغة كفعال ومفعال ومفعول ، فإن هذه الصيغ تدل على معنى زائد على حدوث الصفة لمن قامت به ، وهو قوتها فيه أو كثرة صدورها منه " إلى ان قال رحمه الله تعالى فعلماء العربيه من كوفيين ومصريين مجمعون على أنَّ اسم الفاعل لا يدل على أكثر مما يدل عليه الفعل ، وإذا كان علماء العربيه الذين قضوا اعمارهم الطويله في تقصي اللغة والتفقه في كلام العرب قد تظاهروا على أنَّ اسم الفاعل لا يدل على مقدار من الوصف أكثر مما يدل عليه أصل المضارع والماضي أفيستطيع المؤول أن ينقض بناءهم بكلمة لا تمت إلى البحث بسبب ، وإنما هي وليدة الهوى وإلأنهما في مخالفة أهل العلم " (١)

وانما رددت على هذا التأويل لهذا الرجل لأن هناك من انخدع بهذا التأويل فأخذ يردده ويكرره عن جهل حيناً وعن فسق أحياناً ، وإلا فالحق فيه كما هو الحق في كثير من التأويلات الأخرى بَيِّن واضح لا يحتاج الى شرح وبيان كما لا يحتاج الحاداه فيه الى ابطال ونقد .

(١) بلاغه القرآن : الشيخ محمد الخضر حسين ص ١٢٦ - ١٢٧

الربا :

وحكم الربا ايضا معلوم من الدين بالضرورة ولئن قامت في المسلمين طائفة تبحث عن تأويل تبرره واقع المسلمين اليوم فتلتبس الضرورة الاقتصاديه سببا لباحة الربا أو تخصص المراد بالربا المحرم بأنه الربا الفاحش فإن هذه التبريرات الباطلة لا تغني من الحق شيئا بعد أن اتفق المسلمون على تحريم الربا قليله وكثيره ، أما محمد أبوزيد فقد زعم أن الربا المحرم هو الربا الفاحش ولم يحدد المقدار الذي يكون به الربا فاحشا وإنما ترك هذا لتقديره كل أمة بعرفها ؟ ! وهذا يكون الربا محرما في مكان ومباحا في آخر ؟ !

فقال في تفسير قوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا اضعافا مضاعفه واتقوا الله لعلكم تفلحون " ^(١) : - أي الربا الفاحش ومعنى آخر الربح الزائد عن حده في رأس المال وتقديره كل أمه بعرفها " ^(٢)

وعلى زعمه هذا ان قدرته أمه بما زاد على ٢٠٪ وقدرته أخرى بما زاد عن ١٥٪ فان ربا ١٦٪ الى ٢٠٪ حرام عند طائفة من المسلمين مباح عند أخرى ثم أين موقع السنة التي حرمت الربا قليله وكثيره من هذا التفسير ؟ ! انك لن تجد لها أثرا كما لم تجدها في سائر تفسيره وحسبك بهذا إنحرافا في التفسير.

تعدد الزوجات :

وأما تعدد الزوجات فقد جاء محمد أبوزيد في شرط إباحته بما هو أعجب من كل ما سلف حيث اشترط شرطا لم يقل به أحد من قبله ولا من بعده حتى ساعتنا هذه فيما أعلم حيث اشترط في قوله تعالى " وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة " ^(٣) " اشترط في " النساء " ان يكن من نساء اليتامى فلا يجوز عنده

(١) سورة آل عمران الآية ١٣٠

(٢) الهداية والعرفان : ص ٥٣

(٣) سورة النساء : من الآية ٣

التعدد من غير النساء اليتامى ؟ قال " من النساء : - نساء اليتامى الذين فيهم الكلام لأن الزواج منهن يمنع الحرج في أموالهن ومن هذا تفهم أن تعدد الزوجات لا يجوز إلا للضرورة التي يكون فيها التعدد مع العدل أقل ضرراً على المجتمع من تركه ولتعلم أن التعدد لم يشرع إلا في هذه الآية بذ لك الشرط السابق واللاحق" (١)

ولنا مع هذا التفسير وقفات قصيرة فلا سند لها ولا في اشتراط أن تكون النساء من اليتامى يكذب هذا اطلاق العبارة في الآية، وتكذبه السنة النبوية وفعل الرسول صلى الله عليه وسلم وفعل أصحابه فقد عدَّ وعدَّ وا من غير يتامى النساء ولم يدُر بخلد أحد هم هذا الشرط ولم يقل به أحد منهم ولا من سائر علماء المسلمين من بعد هــم .

ووقفه أخرى مع هذا التفسير من أين جاء بقيد " أنه لا يجوز إلا للضرورة " وليس في الآية مثل هذا القيد

ووقفه ثالثه ماذا يقصد بقوله أن التعدد لم يشرع إلا في هذه الآية ؟

أليست الآية الواحدة كافية في التشريع أم لا بد من تكراره حتى يكون مشروعاً ؟ أم يريد التقليل من شأن التعدد ؟ وحسبنا قدوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . وأصحابه من بعده

التسري :

والآية السابقة تنص على أن من خاف ألا يعدل فليتزوج واحدة أو يتسرى بما ملكت يمينه قال تعالى " فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيما نكم ذلك أدنى ألا تعولوا " (٢)

لكن محمد أبوزيد ينكر التسري فيقول " في تفسير قوله تعالى " ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيما نكم من

(١) الهداية والعرفان : ص ٦١

(٢) سورة النساء : الآية ٣

فتياتكم المؤمنات " الآية^(١) وبدلاً من أن يستدل بها على إباحة الزوج مما ملكت الايمان عكس المعنى فقال " وفي هذه الآية رد على الذين يتخذون ملك اليمين من الخاد مات والوصيفات للتمتع بهن كالزوجات بحجة أنهم ——— مشتراة بالمال أو أسيرات بالحرب فليس في الاسلام عرض امرأه يستباح بغير الزواج مملوكة كانت أو مالكة " (٢)

وإذا قرأت قوله تعالى في وصف المؤمنين " والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيماهم فإنهم غير ملومين " قال في تفسيرها " أو ما ملكت أيماهم من الخدم فإن لهم ما ليس لغيرهم فقد يكون في الانسان فروج أى نقائص وعيوب يسيئه أن يراها الناس فيه ولكن لا يسيئه أن يراها خدامه ومن البلاغة في التعبير أن لفظ (أو) أفاد التنويع بين ما يباح للأزواج وما يباح لملك اليمين إذ يوجد من العيوب ما لا ينبغي كشفه على الخدم ويكفيك فاصلاً : الذوق والعرف الجاري مع الفطرة " (٤)

وهو هنا صَرَفَ الآية عن أن تكون للحث على حفظ الفروج حقيقةً من الوقوع في الحرام إلى أن يكون المراد بالفروج النقائص والعيوب وأن المراد بحفظها منع كشفها لغير الأزواج والخدم ؟

وقد ضَحِكْتُ وَشَرُّ الْبَلَاءِ ما يضحك لقوله أن " أو " بلاغة في التعبير وتساءلت

هل يعرف هذا التعبير فضلاً عن بليغته ؟ ثم لا ندري كيف يستدل بأو العاطفه " ما ملكت ايماهم " على " أزواجهم " على التنويع بين ما يباح كشفه للأزواج وما يباح كشفه لملك اليمين مع انه لم يذكر في الآية ما يباح للصنفين فيما زعم .

(١) سورة النساء من الآية ٢٥

(٢) الهداياه والعرفان : ص ٦٤

(٣) المؤمنون الايتين ٦٠ ، ٥

والمعارج الايتين ٢٩ - ٣٠

(٤) الهداياه والعرفان : ٤٥٥

وخلصه الأمر أنه يحرم التسري بل وملك اليمين أصلا ويفسر الفروج بالعيوب وهو أمر لا تعين عليه اللغة ولا يدل عليه الشرع

الطلاق :

وكما إشتراط في التعدد شرطا جديدا لم يقل به أحد من قبله فانه جاء أيضا هنا بشرط عجيب لا أعلم أحدا قال به من قبله أيضا وهو أن الطلاق لا يقع من الزوج لزوجته إلا اذا جاءت بما يخل بنظام العشرة الزوجية وعبرة لا يقع تدل على أنه فيما لو نطق بالطلاق من غير هذا السبب فإن زوجته لا تطلق وهاك نص عبارته " أن الطلاق وإن كان في يد الرجل لا يقع إلا بسبب يخل بنظام العشرة الزوجية" (١)

وفي تفسير قوله تعالى " والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهاداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات أنه لمن الصادقين والخامسة أن لعنت الله عليه إن كان من الكاذبين " (٢)

قال " تسهيل على الرجل فانه يصعب عليه أن يعاشر امرأته وهو يعتقد عدم عفتها وتتهم من هذا أن ليس له أن يطلقها إلا بسبب يخل بالعشرة الزوجية وإلا ما إحتاج الى هذا الاشهاد" (٣) وهو يجهل أن هذه الشهادة من الزوج ليست لإيقاع الطلاق وإنما لإيقاع العقاب عليها ولذلك قال تعالى بعد هاتين الآيتين مباشرة " ويدرونها العذاب أن تشهد أربع شهادات" الآية (٤) ولكنه لا يفقه هذا وألحد في تفسير الآية

(١) الهداية والعرفان : ص ٤٤٥

(٢) سورة النور : الآيتين ٦ - ٧

(٣) الهداية والعرفان : ص ٢٧٤

(٤) سورة النور : الآية ٨

مصارف الزكاة :

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى مصارف الزكاة في قوله عز وجل " انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله . والله عليم حكيم " (١) ومحمد أبو زيد يفسر بعض هذه المصارف - كعاداته - تفسيراً جديداً فيقول : " وفي الرقاب " في خلاصها من الاستعباد ، وفي هذا الزمان تجد أكثر المسلمين رقابهم مملوكة للأجانب فيجب أن يتعاونوا على فك رقابهم ، وفي الصدقات حق لهذا التعاون . . . والغارمين الذين يضطهدون في سبيل الدين والوطن فيصيبهم من الغرامات ما يصيبهم ، وكل من يغرم للمصلحة العامة فهو من الغارمين (وفي سبيل الله) منه نشر الدعوة باللسان والقلم لحرية العقيدة والوطن والقتال للدفاع عن الحرية والاستقلال والتربية والتعليم الباعثان على تكوين أمة معمورة في الكون ويتبع ذلك المستشفيات والملاجئ للمرضى والمحتاجين والمعامل والمصانع للعمال والعاطلين . . (وابن السبيل) السائح المكتشف؟! واللقيط الذي يوجد في الطريق ولا يعرف له عائل " (٢)

وهو في تأويله هذا خلط حقاً بباطل وكلاهما معلوم لا يخفى ، أظنه لا يحتاج الى بيان .

زكاة الزروع :

ذكرنا رأيه في الربا وأنه يقول باباحة الربا غير الفاحش وأن مقدار الفاحش متروك للأمة تقدره بحسب حالها ، ورأيه هنا في زكاة الزروع لا يبعد

(١) سورة التوبة الآية ٦٠

(٢) الهداية والعرفان : ص ١٥٠

عن هذا حيث يقول في تفسير قوله تعالى " وآتو حقه يوم حصاده " (١)
قال " زمن تحصيله وكما أمر المالكين بإيتاء هذا الحق أمر الحاكم العام
بأخذه والعمل على جبايته لبیت المال ، وقد ترك التقدير للأمة بحسب
الحاله " (٢) وكل من أوتى حظا من الفقه يعلم أن السنة لم تترك هذا
بل قدّر زكاتها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ولكن محمد أبو زيد هذا
لا يعترف بالتفسير بالسنة .

خامسا : إهمال المدلول اللغوي :

ولأنه يأتي بما لم يقل به أحد من قبله فان اللغة لا تطاوعه ففى
كثير من أقواله فلا يبالي بذلك ولا يلقي له حسابا بل صرح في مقدمة تفسيره
بهذا حيث قال :- " وقد تغيرت معانى القرآن أيضا وتبدلت مقاصده بإعتماد
المفسرين على بعض كتب اللغة التى تفسر الألفاظ بلازمها ، وتقصرها على
بعض معانيها ، وقد سرى التقليد واستعمال الاصطلاحات في قواميس
اللغة كما سرى فى غيرها حتى أنك لتجد كثيرا من الفاظ القرآن في تلك
القواميس مفسرة بما فسرت به في كتب فقه الأحكام فتكون بذلك بعيدة عن
فقه اللغة فيتغير معناها المراد في القرآن " (٣)

ولا عجب بعد أن يتحرر من يزعم نفسه مفسرا من السنة الصحيحة
واللغة أن يفسر الآيات بما يشاء فأى ضابط للتفسير بعد هما فليقل ما يشاء
وليقل غيره ما يشاء فلا ميزان توزن به الأقوال ولا ملاذ تلجأ اليه
الآراء وهذا ما يريد الملحدون وأعداء هذا الدين ويأبى الله الا أن يتم
نوره .

(١) سورة الانعام : من الآية ٢٤١

(٢) الهدايه والعرفان : ص ١١٣

(٣) المرجع السابق : ص : ج

ولقد ذكرنا فيما سلف أمثله يظهر فيها عدم التزامه المدلول اللغوي الصحيح للالفاظ في تفسيره المزعوم ومن ذلك مثلا معنى كلمة الفروج فى مثل قوله تعالى " والذين هم لفروجهم حافظون " (١) وقوله سبحانه " افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج " (٢) والفروج فى اللغة جمع فرج وهو الشق والفتق وما بين الرجلين وكنى به عن السوء وغلب عليها (٣) والسياق فى الكلام يحدد المعنى المراد الاصلى أم الكناية ففى الآيه الاولى هنا المراد بها " العوره " وفى الآيه الثانى على المعنى الاصلى .

واذا ما نظرت بعد هذا فى تفسير محمد أبوزيد وجدته لا يفرق بين هذا وذاك فيذكر لهما معنى واحدا وزيادة على هذا فالمعنى الذى يذكره ليس هو المعنى الاصلى ولا الكناية به فقال فى تفسير الاولى " فـرُج أى نقائص وعيوب " (٤) ؟ ! وقال فى تفسير الآيه الثانية " فروج عيوب ونقائص " (٥) وهو دليل على جهله فى اللغة بل وعلى عدم اعتداده بها فى التفسير .

وخذ مثلا آخر اسم " الطير " لا يخفى معناه والمراد به فى قوله تعالى " وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين " (٦) لكنه يقول فى معناه " والطير يطلق على ذى الجناح وكلّ سريع السير من الخيـل والقطارات البخاريه والطيارات الهوائيه " (٧) (!!!)

-
- (١) سورة المعارج الآيه ٢٩
 - (٢) سورة ق : الآيه ٦
 - (٣) انظر المعجم الوسيط ج ٢ ص ٦٨٥
 - (٤) الهداية والعرفان ص ٤٥٥
 - (٥) الهداية والعرفان : ص ٤١٠
 - (٦) سورة الانبياء الآيه ٧٩
 - (٧) الهداية والعرفان : ص ٢٥٧

سادسا : تفسير القرآن بالقرآن :

وقد الصق المؤلف نفسه بهذا النوع من التفسير إصافاً مكرراً وخبثاً فهو يعلم قيمة هذا النوع من التفسير لدى المسلمين فسمى تفسيره " الهداية والعرفان في تفسير القرآن بالقرآن "

وقد جعلت الحديث عن هذا الأساس المزعوم هو الأخير لأنه آخر ما تجده في هذا التفسير ، وكيف يصح أن يسمى تفسيره تفسيراً بالقرآن وهو يعصي القرآن نفسه في أمره بالأخذ بالسنة في تفسيره ؟! هذا فيما لو صح ما يسميه تفسيراً للقرآن بالقرآن .

وإن شئتم أمثلة على ذلك سقت لكم منه كثيراً وكثيراً ولكن لا تطمعوا بفائدة منه في هذا فإشارته إلى ما يُفسَّرُ به ليس لآيه أو آيات إنما يشير لسورة أو سور كثيرة أي أنها إشارات مجملة وأذكر أمثلة يتضح بها المراد .

في تفسير قوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم " ^(١) قال في تفسيرها " اقرأ الطلاق " ^(٢) أي اقرأ سورة الطلاق ؟!

وفي تفسير قوله تعالى " ووصينا الانسان بوالديه حسناً " ^(٣) الآية يقول " اقرأ الاحقاف ولقمان " ^(٤)

وفي تفسير قوله تعالى " فكذبوه فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين " ^(٥) قال " جاثمين باركين اقرأ هود والحجر والشعراء " ^(٦)

(١) سورة الانفال الآية ٢٩

(٢) الهداية والعرفان : ص ١٣٨

(٣) سورة العنكبوت الآية ٨

(٤) الهداية والعرفان ص ٣١٢

(٥) سورة العنكبوت الآية ٣٧

(٦) الهداية والعرفان ص ٣١٤

وفي تفسير قوله تعالى " فان أعرضوا فقل أذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود " (١) قال " ١٣ - ٥٤ اقرأ الأعراف والحاقة والواقعة والنمل " (٢)

وفي تفسير قوله تعالى " وأنته كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزاد وهم رهقاً " الآيات (٣) قال (٦ - ١٠ اقرأ الصافات وتدبرها آية آية ثم الأعراف إلى ٣٨ و ٣٩ وما بعدها إلى آخرها (! !) ثم سبأ وغافر وإبراهيم والأنعام ويس والشعراء ثم الإسراء والكهف والحجر والرحمن والنمل وفصلت والذاريات وأواخر الأحزاب ثم هود والسجدة والناس ثم الفاتحة ثم ١٤٦ و ١٦٥ - ١٦٧ في البقرة بعد هذا تفهم أنه يطلق الجن والجنه على الزعماء والمستكبرين من السادة المتبوعين ويعبر عن الأنس بسائر الناس المقلدين والتابعين المستضعفين " (٤)

وإذا عرفت أن تفسيره مكتوب على هامش القرآن وأن هوامش كثيرة من الصفحات تكاد تكون بيضاء ، إلا من إحاله إلى قراءه سورة أو سور لمعرفة معنى كلمه أو آية عرفت صغر حجم هذا التفسير ومع هذا فهو مليء بهذه الانحرافات ، ولهذا فانه يخيل إلى أن صاحب هذا التفسير قد وزع أفكاره الإلحادية على آيات القرآن الكريم أولاً ثم للغش والتدليس نمق بعض الصفحات بمثل هذه الاحالات التي توهم تفسير القرآن بالقرآن ؟ وما هو بتفسير ولكنه إبتلاء وإمتحان للمؤمنين قِيَضَ اللّهُ لَهُ طَائِفَةٌ من العلماء كشفوا أعواره وأظهروا إلحاده فحُكِمَ على صاحبه بالردّه ولم يصدر الحكم النهائي من المحكمة لإعلانه رجوعه وتوبته ، ويبقى الحكم دائماً وأبداً لله سبحانه وتعالى فهو الذي يعلم ظاهره وباطنه وما تخفى الصدور .

(١) سورة فصلت : الآيه ١٣

(٢) الهداية والعرفان : ص ٣٧٦

(٣) سورة الجن : الآيه ٦ - ١٠

(٤) الهداية والعرفان : ص ٤٥٨

ومما يؤسف له ويحز في النفس أن كثيرا من آراء هذا الرجل في تفسيره قد انتشرت بين بعض من أصابهم داء ضعف الايمان أو فقدوه وهم حين يقولون بها لا يشيرون اليه ولا يؤمنون ، وما لنا ولا شارتهم أوعد مها وآراءهم متماثلة ينكرون مثله المعجزات ويؤولونها بما ييطلبها ويجهرون جهازا باشتراط تكرار السرقة والزنا حتى يقام على السارق والزاني الحد وإلا فلا حد ؟ ! وينكرون الملائكة والجن والشياطين وينكرون سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم ويقولون بملة أفواههم الإسلام هو القرآن وحده ويريدون منه بصريح عباراتهم عدم الاحتجاج بالسنة وانكارها ، وهم حين يقولون هذا وذاك يعيشون بيننا ولا يمنع ذلك كثيرا منا أن يكون أكيله وجليسه بل وصديقه الملحد وأي مؤمن يصادق ملحدًا ؟ ! ولكنها الجاهلية التي غشت على كثير من الابصار غشاوة أعمتها عن إلتماس السبيل فذهبت تلتسمه يمنة ويسرة فتعثر هنا وتعثر هناك وقد تهلك ان لم يدركها الله بنور من عنده .

الباب الرابع : الاتجاهات المنحرفة

الفصل الثانى

منهج القاصرين فى تفسير القرآن الكريم

قلنا فى أول هذا الباب أنا نقصد بالقاصرين طائفه لم يطلبوا العلم الشرعى ولم يدرسوه فى مدارس بل تقاذفتهم المدارس فى نواح شتى ليس منها علوم الشريعة ثم برز هؤلاء فى تخصصهم أوفى كتابة المقالات الصحفيه والأبحاث الأدبيه ونحو ذلك وكان لهم نصيب من الشهرة فى ذلك لابس به فأرادوا أن يتجهوا الى رقعة أوسع منها فرأوا أن الأنظار من مختلف المستويات ومختلف الاتجاهات تتجه الى رقعة الأبحاث الشرعيه ، والدراستات القرآنيه خاصه فتسللوا الى هذه الرقعه وبدأوا ينشرون تفاسيرهم لآيات قرآنيه وهم يحسبون أن علوم الشريعة لا تحتاج الى أكثر من تقليب النظر فى العبارات ثم ابداء الرأى من غير أن يكون لصاحبها الدرايه فى شروط التفسير ومن غير أن يدركوا شروط المفسر فأصبحوا ينظرون الى آيات القرآن الكريم كما ينظرون الى مقاله أدبيه سطرها أحد هم فراح الآخر ينقد ها فوقعوا فى انحرافات فى التفسير مصدرها جهلهم بالقرآن نفسه فى آياته الأخرى التى قد تفسر ما يكتبون عنه أو تبينه ، وجهلهم بالسنة الشريفه التى قد يرد فيها تفسير لهذه الآيه التى يتناولونها وجهلهم باللغة وأنها لا تحتل ما قالوه وجهلهم بالعقيد وأصولها وغير ذلك من الأصول والقواعد التى لا يصح لقاصر عن تحصيلها أن يفسر القرآن الكريم ولكنهم لم يلتزموا فأنحرف تفسيرهم .

والدواعى لهؤلاء لسلوك هذا المنهج فى التفسير كثيره لا تقل عما ذكرت فى أول هذا الباب من أسباب ومنهم من تحقق له ما أراد ومنهم من فشل فى ذلك فخرس الدارين .

وكما هيا الله للملحدين فى التفسير من رد عليهم فى تفاسيرهم وكشف حقيقتهم للناس فإن الله عز وجل هيا أيضا لهؤلاء من رد عليهم وكشف زيف آرائهم .

نماذج من هذا اللون فى التفسير :

ويمتاز هذا اللون عن سابقه بكثرة الذين كتبوا فيه مقالات ودراسات ومؤلفات وأكثر ما يدخل تحته التفسير العلمى وقد سبق أن أفردنا هذا بمنهج خاص لكن هذا المنهج قد تطرف فيه بعض من تناولوا التفسير وخرجوا عن حدود التفسير والمقبول الى منطقة التفسير المردود فأصبح تفسيرهم باللون الالحادى ألصق وان كانت صبغته علميه .

ثم يليه فى الكثرة آيات الأحكام التى ولج اليها طائفة أرادوا أن يعدلوا فى الأحكام الشرعية حسب ما يرونه ملائما للعصر حتى وان لم تطاوعهم الآيه فانهم يلوونها ليا وكأنهم قد قرروا الحكم الذى يريدون قبل أن ينظروا فى الآيه ثم أرادوا أن يطبقوا الآيه بعد ذلك على الحكم الذى قرروه قبلا ولا شك أن هذا الحاد بالآيه الى غير مدلولها .

خذ مثلا عباس محمود العقاد - عفا الله عنا وعن - يقول فى قوله تعالى " والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم " (١) : - " من هو السارق ؟ . . هل هو من يسرق مرة واحدة أو من تعود السرقة ؟ . . فان كلمة الكاتب مثلا لا تطلق على كل من يكتسب ويقرأ وانما تطلق على من تعود الكتابه وأكثر منها والاشارة الى النكال والى عزة الله فى الآيه الكريمه قد تفيد معنى الاستشراء والاستفحال الذى يقضى بالنكال وأيا كان المقصود بالسارق فى الآيه الكريمه فالتوبه والاستصلاح تعفيان من اقامة الحد ، ويوكل الأمر فيهما الى الامام فى رأى جملة الفقهاء " (٢)

(١) سورة المائدة : من الآيه ٣٨

(٢) الفلسفه القرآنيه : عباس محمود العقاد ص ١٠١

ولئن كان سبق في بحثنا هذا ايراد مثل هذا التفسير والرد عليه
فانى أحبذ أن أقف مع العقاد هنا وقفه في ثلاثة مواضع من حديثه .

أما زعمه أن السارق تطلق على من تعود السرقة كالکاتب تطلق على
من تعود الكتابة فان هذا غير مسلم وسبق بيان ذلك ويكفى هنا أن أضرب
له مثلا واحدا ، له من الرواج ما يفهم غير ذوى المعرفة باللغة وخصائصها
لو طرق عليك الباب طارق فانك تهتف " من الطارق " حتى ولو لم يطرق
الباب الا مرة واحده . .

أما ان الإشارة الى عزة الله والى النكال فانه لا يدل على ما زعمه بل
الذى أحسبه أنه عكس ما ذكر والله أعلم .

بقى أمر توبة السارق والاستصلاح فقد ذكر أنهما تعفیان من اقامة
الحد ولكنه لم يفرق بين ما اذا رفع الأمر الى الامام أو قبل أن يرفع والذى
لا يخفى أنه اذا رفع أمر السارق الى الامام فلا يسقط الحد حتى ولو أعلن
توبته والا أصبح الأمر عبثا فأى سارق لن يعلن توبته ولو كذبا اذا كان
هذا يد رؤى قطع يده ثم يصبح الأمر عنده بردا وسلاما يسرق ثم يتوب ولا أظن
ذا لب يقبل هذا ؟ !

وفى آیه أخرى يفسرها الأستاذ العقاد تفسيراً منحرفاً تلکم قوله تعالى
" والسابقون السابقون اولئك المقربون فى جنات النعيم ثلة من الأولین وقليل
من الآخرين على سرر موضونه متكئين عليها متقابلين يطوف عليهم ولـدان
مخلدون بأکواب وأباريق وكأس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون" (١) آيات .

حيث ذهب مذهب الفلاسفة فى القول بأن الجزاء الاخرى نعيمـــــــــــــــــا
وجحيما روحانى لاجسمانى .

ويعلل ورود هذا النعيم فى هذه الآيات وأمثالها بصيغ لا تقبل الا أن يكون العقاب والثواب جسمانى لا روحانى بقوله " فالحقيقة الاعتقادية لا بد أن تمتزج بتصور المؤمنين بها لأن الخطاب فيها موجه الى ملايين من البشر منهم العارف والجاهل ومنهم الذكي والغبى ومنهم كبير النفس وصغيرها ورفيع الحس ووضيعة ومنهم من يطلب الكمال ومن لا يعرف كما لا يطمح اليه . . فلا بد من توضيح الحقيقة الاعتقادية بالمحسوسات فى كثير من الاحوال وعلى هذا ينبغى أن يروض فكره كل من ينظر الى عقيدته الحياه الاخرى فى القرآن الكريم . .

فالقرآن الكريم يفرض على المؤمنين عقيدته البعث والحساب ويدعوهم الى الايمان بالنعيم والعذاب . . والجنه هى مقر النعيم . . والنار هى مقر العذاب . . وفى القرآن أوصاف محسوسه للجنه كما وصفت فى سورة الواقعة . . وفى القرآن أوصاف محسوسه للنار كما وصفت فى سورة الفرقان ولكن فى المتفق عليه بنص القرآن ونص الحديث النبوى الشريف أن هذه الموصوفات غير ما يرى ويعهد فى هذه الحياه . . . والواقع ان المسلمين يفهمون من هذه الصفات معنى التنعيم ومعنى العذاب ولا يخل فهمهم لهذا أو لذاك بالغرض المقصود من وعد الله ووعيده بالثوبه والعقاب" (١)

ثم ذهب يستدل لهذا الذى قرره بدليلين أحدهما فلسفى والثانى صوفى ، أما الاول فقال ، " فالامام فخر الدين الرازى مثلاً يقول فى تفسير الاتكاء على السرر المرفوعه : "معناه ان كل أحد يقابل كل أحد فى زمان واحد ، ولا يفهم هذا الا فيما لا يكون فيه اختلاف جهات وعلى هذا فيكون معنى الكلام انهم أرواح ليس لهم أديار وظهور فيكون المراد من السابقين هم الذين أجسامهم أرواح نورانيه : جميع جهاتهم وجه ، كالنور الذى يقابل كل شئ"

(١) الفلسفه القرآنيه : عباس العقاد ص ١٨٣ - ١٨٤ باختصار

وهذا فهم فيلسوف باحث في الجواهر والأعراض ، وفي مطالب الأرواح والأجسام "

وأما الثانى وهو الفهم الصوفى فقال عنه " ويفهم المتصوفه أن نعيم الحياه الباقيه كله هو الوصول الى الله ولا يتطلعون الى جزاء غير هذا الجزاء سمعت رابعه العدويه قارئا يتلو قوله تعالى " وفاكهه مما يتخـيرون ولحم طير مما يشتهون" ^(١) فقالت نحن اذن صغار حتى نفرح بالفاكهه والطير" وسمع الشبلى قوله تعالى " منكم من يريد الدنيا ، ومنكم من يريد الآخره" ^(٢) فصاح صيحه عظيمه وقال " فأين الذين يريدون الله تعالى ؟ "

الى أن قال - العقاد - فوصف الحقائق بالمحسوسات - كما رأينا - تعبير يفهمه الخواص الذين يرتفعون بالفهم ومطالب النفس الباقيه عن مطالب الجهلاء ، ولكن هل التعبير بالمعاني المجرده والحقائق المثاليه مفهوم عند هؤلاء الجهلاء ؟ ^(٣)

ثم ذكر أن الجهلاء هم أحوج الناس الى الايمان بالحساب ووصفهم ، بأنهم لا يعتقدون الا بما يحسون ويفقهون ، وأنه لا معدى اذن من احدى صورتين للعقائد اما ان تساق بأسلوب يحقق الحكمه من العقيدته عند جميع الناس خاصه وعامه ولا بد فيه من التعبير عن المعاني بالمحسوسات واما اسلوب يترك الخاصه لأنفسهم وينفى العامه عن حظيره الاعتقاد وهو لا يحقق الحكمه من العقيدته بحال .

ثم قال " فى ذلك الأسلوب لا خساره على أحد من الخاصه أو العامه وفى هذا الأسلوب لا فائده للخاصه ولا للعامه لأن الخاصه متروكون لأنفسهم

(١) سوره الواقعه : الآيتين ٢٠ - ٢١

(٢) سوره آل عمران : من الآيه ١٥٢

(٣) الفلسفه القرآنيه : عباس العقاد ص ١٨٥

يفهمون ما يفهمون بمعزل عن الوحي والرسالة (! !) ولأن العامه
محجوبون عن الوحي والرسالة بكل حجاب" (١)

تلكم خلاصة ما قاله الأستاذ عباس محمود العقاد ولنا معه أيضا
وقفات .

الأولى : أنه استدل برأى الفلاسفة ومفاهيم الصوفية ومن المعلوم
أن العقائد لا تؤخذ من هؤلاء ولا من هؤلاء وإنما من الكتاب والسنة .
الثانية ان ما ذكره ونسبه للرازي انما هو أحد قولين أورد هما الرازي
ايرادا ورجح الثانى الذى لم يذكره العقاد وهو أن التقابل يعنى أنهم
متساوون فى المكانه والرتبه لا يرى أحد هم نفسه دون الآخر .

الثالثة : أن ما ذكره عن رابعه والشبلى ان صح عنهما فلا يدل على
فهمه هذا ذلكم أن الصوفية حين يقولون مثل هذه المواجد ويلهجون
بالنعيم الروحى وهو الوصول الى الله تعالى لا ينكرون أن هناك مع هذا
نعيمًا محسوسًا وعقابًا كذلك وانما يتحدثون عن أمانيتهم وليس عن الواقع
وحده .

والوقفه الرابعه وهى الا خطر زعمه " أن الخاصة متروكون لأنفسهم
يفهمون ما يفهمون بمعزل عن الوحي والرسالة " وهو كلام خطير لا أظن
الأستاذ العقاد يقصد معناه بكل أبعاده والا لأدى الى انكار الدين من
أصله وترك - الخاصه - يقررون لأنفسهم من العقائد ما شاءوا بعيدها
عن الوحي والرسالة وحينذاك يكون الهلاك . .

ولعل فى هذه الوقفات القصيره ما يظهر الحقيقه التى غابت عنه
فيما ادعاه من النص الذى سقناه له وحرصنا على استيفاء معانيه فجاء
طويلا .

(١) الفلسفه القرآنيه : عباس محمود العقاد ص ١٨٥ - ١٨٦

وغير العقاد كثيرون أولوا الآيات على غير مدلولها الصحيح من ذلك
- كما أشرنا - التفسير العلمى خاض فيه كثير من هؤلاء فجاءوا بتفاسير
منها ما هو مقبول ومنها ما هو مردود ومنها ما هو الحاد أو انحراف ومنها
ما هو كفر وضلال .

لن أذكر أمثله للمقبول والمردود فقد أفردناه بدراسه خاصة ومنهج
خاص هو المنهج العلمى فى التفسير وانما اشير الى ما فيه انحراف أو كفر
بل أشير الى بعضه .

فمن ذلك الاستاذ عبد الرزاق نوفل رحمه الله وغفر له وعفا عنا وعنـه
أكثر من التفسير العلمى أحسبه بدافع الحرص على هداية الناس وجذبهم
الى الاسلام وما علينا ونيته فأمرها الى الله وانما علينا أن نذكر مواضع
انحرافه فمن ذلك تفسيره للنفس الواحده فى قوله تعالى " هو الذى
خلقكم من نفس واحد وجعل منها زوجها ليسكن اليها" ^(١) ففسر النفس
الواحدة بالبروتون وزوجها الألكترون واقراً تفسيره قال : - وقد اعتبر
اكتشاف الألكترون أكبر نصر علمى أمكن العقل البشرى أن يصل اليه حتى
أنهم يطلقون على هذا العصر الذى نعيش فيه الآن العصر الالكترونى اذ يعتبر
أن هذا أروع وأهم اكتشاف تميز به عصر من العصور اذ أمكن الوصول الى
الجوهر الفرد وحدة الخلق التى منها خلق كل شىء فى الوجود : الانسان
والحيوان والماء والهواء . . . الحي والجماد والأرض والسماء فوجد أنها
وحده تناهت فى الصغر الى درجه لا يقبل الفكر أن يتمثلها . . . وهذه
الحقيقة العلمية التى يتيه بها العصر الحديث قد جاء بها القرآن الكريم
منذ ١٤٠٠ سنة فى صراحه (!!) ووضح اذ تقرر الآيه ١٨٩ من سورة
الأعراف أن كل ما خلق الله انما خلقه من نفس واحد وجعل منها زوجها:
" هو الذى خلقكم من نفس واحد وجعل منها زوجها " ^(١) أليست هذه

هى البروتونات والالكترونات . . الكهارب الواحده موجبہ وسالبہ
أى النفس الواحدہ . . الزوجيہ الجنس بين موجب وسالب" (١)

فهل يقبل ذولب أن يوصف هذا التفسير بأن الآيه تدل عليه
بصراحه ووضوح ومع هذا يخفى على علماء المسلمين حتى القرن الرابع
عشر الهجرى ؟! اين الصراحه والوضوح ، وكان يكفى الأستاذ نوفل - عفى
الله عنه ان يكمل الآيه ليعرف مدلولها الصريح والواضح " هو الذى خلقكم
من نفس واحدہ وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشاها حملت حملا
خفيفا فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من
الشاكرين فلما آتاها صالحا جعل له شركاء فيما آتاها فتعالى الله عما
يشركون " (٢)

وهذا الشاب أحمد شعبان محمد شاب مغمور لعله أراد أن يصبح مشهورا
فكتب ما زعمه " إعجاز علمي في سورة النور " تناول فيه قوله تعالى :-
" الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح . المصباح فى
زجاجه الزجاجه كأنها كوكب درى يوقد من شجره مباركه زيتونه لا شريقه
ولا غربيه يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسه نار ، نور على نور ، يهدى
الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شىء عليم" (٣)
زعم أن فى هذه الآيه بيان لـ " نوع من أشعه الليزر " يسير الجبال ويقطع
الأرض ويكلم به الموتى " ؟!! وقد بلغت هذه الدراسه ٣٠ صفحه قدمها
صاحبها الى اداره البحوث والنشر فى مجمع البحوث الاسلاميه وأحيلت
الى فضيله الشيخ محمد مصطفى الحديدي الطير فكتب تقريرا فى ٢٢

(١) القرآن والعلم الحديث : عبد الرازق نوفل ص ١٥٦ .

(٢) سورة الاعراف : الآيتين ١٨٩ - ١٩٠

(٣) سورة النور : الآيه ٣٥

صفحه ختمه بأن هذا البحث لا يصلح للطبع والنشر
ولأخفى أنى غبطل الشيخ مصطفى الطير على سعه صدره وطول نفسه
فى قراءه هذه الرساله كلها وكتابته نقدا شاملا لها مع أن كل صفحه فيها
مليئه بما يجبر منعها من الطبع والنشر ومع هذا فان الشيخ مصطفى قد قرأها
كامله وكتب نقدا شاملا وزودنى جزاء الله خيرا بنسخه من الرساله وصوره من
التقرير الذى كتبه وجاء فيه قوله "يشتمل هذا الكتاب على احدى وثلاثين
صفحه من القطع الكبير وقد حاول فيه أن يستخرج اشعه الليزر من الآيه
الخامسه والثلاثين من سورة النور" (١)

قال الموء لف عن الآيه ٣٥ المذكوره من سورة النور : " أحسست بوجود
تطابق بين هذه الآيه الكريمه وبين اجهزه الليزر عموما . كما لو كانت الآيه
تصميم (كذا) لجهاز من تلك الأجهزه " (٢)

أما تفسير الآيه فقال ما خلاصته " مشكاه هو (كذا) الكوه التى ليست
بنافذه وهى عباره عن جسم مفرغ من الداخل وليس له الافتحه واحده كشباك
أى أن هذه الفتحة لها سداده أقل سمكا من باقى الجسم ويعتمد تصميم
المشكاه على درجه الحراره داخلها وعلى مسارات الاشعه وانكساراتها
ويجب كذلك ان تكون على درجه عاليه من الصقل بالنسبه للسطح الداخلى
وذلك لاتخاذ الأشعه مساراتها المحدده حسب النظريات المعروفة (فيها)
بمعنى داخل هذه المشكاه (مصباح) يعنى مصباح صناعى يعمل
بماده زيت الزيتون من نوع محدد (المصباح) اشاره الى كلمه المصباح
السابقه وعلى حسب التصورات العلميه المتاحة لنا يتحدد تصميم المصباح

(١) الصفحه الأولى من التقرير الذى أعده الشيخ محمد مصطفى الحيدى
الطير عن هذه الرساله -

(٢) دراسه حول النور من كتاب الله : أحمد شعبان محمد ص ٢

مصطفى

فيكون هذا المصباح مائلا لدائره مصابيح الزئبق بحيث ترفع طاقه الزيت من خلال تيار كهربى ويكون الزيت بمعزل عن أى مواد أخرى مثل الهواء لكى لا يحترق الزيت فيكون فى أنبويه زجاجيه مفرغه فعند رفع طاقه الزيت يتحول من الحاله السائله الى الحاله الغازيه ويتسبب ذلك فى وجود ضغط داخل الانبويه ونستمر فى رفع طاقه بخار الزيت الذى يكون فى هذه الحاله متأنيا (كذا) حتى نصل به الى درجه الاشتعال فيصدر ضوءا دون أن يحترق لعدم وجود أكسجين داخل الانبويه (فى زجاجه) أى أن هذا المصباح بداخل الزجاجه ويجب عمل تفريغ بين المصباح والزجاجه لتكـون بمثابة عازل يمنع أجزاء المصباح وهى الدائره الكهربيه (كذا) الخارجيه عن أنبويه الزيت من التأكسد وبالتالى التلف وكذلك لتعمل كعازل لعزل الجسيمات الموجوده فى الضوء الخارج من الزيت وعدم السماح الا بمرور الموجبات فقط من خلال الزجاجه الى أن قال : - " يوقد من شجرة مباركه " . . . والبركه معناها الوفرة والكثرة أى أن الشئ المحدود يتكاثر بغير حدود ومن الممكن ان نصل الى أدنى هذه الحدود وذلك بالمقارنه عن طريق الآيات الآتيه : -

(انا أنزلناه فى ليله مباركه انا كنا منذرين) (٣ الدخان)

(انا انزلناه فى ليله القدر) (١ القدر)

ففى الآيتين السابقتين وردت كلمه مباركه فى الآيه الأولى مرادفـه لكلمه القدر فى الآيه الثانيه وتعريف قيمه القدر " وما ادراك ما ليله القدر ليله القدر خير من ألف شهر " ٢ القدر قليله القدر خير من ألف شهر أى أنها خير من نظيرها ب ٦٠.٠٠٠ على اعتبار الليله نصف يوم فنصف

اليوم خير من $1000 \times 30 \times 2 = 60000$ نظيرها ، وبالمثل فان كلمه مباركه تعنى الخير لأكثر من ٦٠٠٠٠ نظير وهذا يعنى ان الاستفادة من هذه الشجره خير من ٦٠٠٠٠ شجره فى مكان آخر وشعاع النور الذى يخرج من هذه الشجره خير من ٦٠٠٠٠ شعاع يخرج من شجره أخرى لأن هذه الأشعه مركزه فى نقطه واحده وليست مشتته بعيدا عن بعضها

ثم وصف هذه الاشعه المركزه فى نقطه واحده بأنها " نور على نور " وعند ما تسير موجات نور على نور فى خطوات منتظمه فانها تستطيع أن تحقق آثارا مذهله والسبب هو أن طاقتها لا تتشتت كما لا تنتشر الحزمه نحو الخارج وهو يدعو الى تكثيف تركيزا لطاقه عند نقطه محدده تماما وتوسع أيضا بدرجة عظيمه مدى مصدر الضوء ثم ذكر بعض الانجازات المثيره لاشعه (نور على نور) ومنها أنه يمكن لهذا الشعاع أن يحدث ثقوبا فى لوح من الصلب سمكه $\frac{3}{8}$ بوصه على بعد عده أقدام وقال " ويستخدم هذا الشعاع (نور على نور لضبط المدى حيث تستخدم فى سلاح المدفعيه لتوجيه المدافع وكذلك الصواريخ وكذلك المساحون فى الفضاء الخارجى وستحل الأجهزة التى تصدر هذا الشعاع محل أجهزة الرادار التقليديه واللاسلكى لملاحه سفن الفضاء والاتصالات ويستطيع هذا الشعاع ان يقطع المعادن والمواد الاخرى ويستخدم حاليا فى احكام ميكنه المعادن والمواد الهشه مثل التى بالماس وكذلك نستطيع أن نلحم المعادن ونستخدم كذلك فى صناعه دوائر ميكروالكترونيه ومن ثم فان الاجهزه الضخمه التى تخرج هذا الشعاع التى تتركب فوق قمم الجبال العاليه يصفها على أنها وسيله للدفاع ضد الرؤوس النوويه للقذائف الموجهه الحربيه من عابرات القارات . . " (١) الخ

(١) المرجع السابق ص ٢٩ - ٣٠ باختصار

هذه خلاصه سريعه لهذا البحث عن "الليزر" الذى زعمه صاحبه تفسيراً للآيه
٣٥ من سوره النور وهل مثل هذا يحتاج الى نقد ؟! لا أحسبه كذلك
فأمر بطلانه ظاهر لا يخفى

ولا يصح فى الأذهان شىء اذا احتاج النهار الى دليل ومن المؤسف
ان تنشر مثل هذه الخرافات جريده "النور" المصريه فى عدد ها ٤٢ بعنوان
"اعجاز علمى فى سوره النور نوع من أشعه الليزر يسير الجبال ويقطع الأرض
ويكلم به الموتى ! وهذا المقال خلاصه لهذا البحث قد مها الكاتب نفسه
بقي أمر طريف أحببت الاشاره اليه لطرافته وأترك بيان العلاقه بينه
وبين البحث لعلماء النفس ذلكم أن عنوان الباحث كما هو أمامى شارع طنطا وى
الجوهري ؟! وهل لاسم الشارع أثر على اتجاه أهله أم لا .

وكما ان الالحاد يكون فى التطرف - ايجابا - فى ربط الحقائق والنظريات
العلميه بآيات القرآن الكريم فان الالحاد أيضا يكون فى التطرف - سلبا -
فى زعم مخالفة الآيه لحقائق علميه فهذا الأستاذ اسماعيل مظهر يكتب فى
العدد الأسبوعى لمجله العصور الصادر فى ٢٤ فبراير سنه ١٩٣٠م تحت
عنوان "استفتاء" وجاء فى مقاله "جاء فى القرآن الكريم (ولقد زيننا السماء
الدنيا بمصابيح" ^(١) وقد دل العلم الصحيح على أن السماء غير مزينه بمصابيح
بل هى فضاء غير متناه ، تناثرت فيه كرات عظيمه هائله الأبعاد ، ومنها
ما يستمد ضوءه من غيره ، ومنها ما هو ملتهب كشمسنا فهل الاعتقاد بأنها
ليست مصابيح مخالف للدين ؟" ^(٢) ونقول لهذا انه مخالف للحواس أيضا
وليس للدين فحسب وأينا لم ينظر الى السماء فى ليله مظلمه وقد أنتشرت

(١) سوره الملك الآيه ٥

(٢) ذيل الملل والنحل : محمد سيد كيلانى ص ١٠١

ففيها النجوم واطل من بينها وجه القمر فلم تأخذ بلبه ، وكم تغنى في هذا المنظر الشعراء وأبدع فيه الأدباء وكم اهتدى بهذا المنظر رجل تأمل وتفكر في هذا الخلق البديع فلم يجد بدا من الازعان والاعتراف بأن هذا لا يكون الا من الخلاق العليم .

وليعلم هذا أن القرآن وهو يصف السماء والمصابيح فانما يخاطب أناسا ينظرون اليهما من موقعهما فتبدوا مطابقة كل المطابقة لهذا الوصف ولا أظنه يجهل أن اللوحات الجميله والمناظر البديعه لا يحسن النظر اليهما الا من بعد والا فلو قرب حدة عينه حتى تكون داخل اللوحه أو قريبه منها فانه لن يرى الا نتوءات وحفرا بل ويرى الألوان مشوهه فهل له وهو في هذه الحاله أن يصف هذه اللوحه بما هي منه بريئه وليجرب هذا الرجل وأمثاله أن يقرب عينه من أرض حديقته جميله أو يضع حدة عينه في قلب ورده زاهيه الألوان وليصف ما يرى وليسمع رأى الناس في وصفه انهم لن يصفوه بأكثر من أحد وصفين اما الجنون أو المكابر وحسبك بهما وصفا لما زعمه في الآيه .

والحاد آخر في قوله تعالى " ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر " (١) قال فيه " وقد أثبت العلم أن السماء لا أبواب لها وأن الماء انما يتساقط على الأرض بعد أن يتكاثف سحابا وبعد أن يعلو متبخرا من مياه الأرض فهل هذا الاعتقاد تجديد؟ وهل يجب أن نعتقد أن للسماء أبوابا من فوقها بحار ، إذا فتحت إنهمر المطر ، وإذا أقفلت أمسك عن الانهار؟ " (٢)

والرجل في الحاده هذا يجهل اللغة والبلاغه أما اللغة فاعتقاده أن المراد بالسماء السماء حقيقه وانما المراد بها العلو والارتفاع وهو الجو هنا وهو

(١) سورة القمر : من الآيه ١١
(٢) ذيل الملل والنحل : محمد سيد الكيلاني ص ١٠١

مقر السحاب أما جهله البلاغه فان فى الآيه استعاره تمثليه بتشبيه تدفق
المطر من السحاب بانصباب انهار انفتحت لها أبواب السماء وشق لها أديم
الخضراء^(١) ولو علم اللغه والبلاغه لما قال ما قال

بقى أن أقول هنا أن اسماعيل مظهر هذا قد رجع الى حظيره الاسلام
مره أخرى والحمد لله^(٢) اذ هو قد خرج عنه فى أمور كثيره منها ما هو
صريح لا يشك فى أمره فيها . والحمد لله أولا واخرا

ولعلى أكتفى بهذا فى سياق الأمثله على التفاسير المنحرفه فى منهج
القاصرين فى تفسير القرآن الكريم وأذكر بعد هذا مثالا للمؤلفات فى
هذا المنهج .

القرآن ... محاوله لفهم عصرى

أولا المؤلف:

أما أسم الشهره فمصطفى محمود ، أما أسمه الكامل :-

فمصطفى كمال بن محمود حسين

ولد فى ١٩٢١/١٢/٢٧ فى قريه شبين الكوم ، بالمنوفيه فى مصر
ولكنه نشأ فى طنطا حيث أنتقل اليها مع أبويه وبدأ دراسته فى الكتاب فيها
بضعة أشهر ثم دخل المدرسه الابتدائيه ، وقد أهله درجاته العاليه فى
الثانويه للالتحاق بكلية الطب بالقاهره حتى أحرز شهاده الكليه عام ١٩٥٢م
وواصل دراسته حتى تم مرحله التخصص فى الأمراض الصدرية

مرحله الرضى :-

ووجد فى القاهره الجو المساعد لتنمية هواياته التى جمعت بين الفن
والعلم وقد كان ولعه بالقراءه فى سن مبكره حين شارف على الثالثه عشر

(١) انظر تفسير القاسمى : ج ١٥ ص ٥٥٩٨

(٢) ذيل الملل والنحل : محمد سيد كيلانى ص ١٠٨

حيث قرأ مؤلفات شبلى شميل واسماعيل مظهر وسلامه موسى الذين كونا في ذهنه مرحلة الرفض ويحدد نطاق شكه فيقول أنه مقصور على موضوع النبوات والرسالات فقط أما ما يتعلق بوجود الخالق تبارك اسمه فقد ظل في قلبه وعقله فوق كل ريب

ويعلل بواعث تلك الشكوك بأنها رد فعل لما يراه من المظاهر الشاذة عند ضريح البدوي وغيره في طنطا

مؤلفاته:

وأول مؤلفاته هي مجموعته القصصية "أكل عيش" وصدرت سنة ١٩٥٤م لكن كتابه الثاني "الله والانسان" الأثر الأكبر في التأليف حيث قفز به من معالجه الواقع الانساني على صعيد الأحداث القصصية الى محاولته التشكيك في كبرى اليقينيّات وحشد في هذا الكتاب كل المشكلات التي خاضها فألقت به في صراع كاد يمزقه . . وقد أثار عليه هذا الكتاب بعض ذوى الغيرة الإسلامية فحاربوه حتى قام الأزهر بواجبه فصدرت نسخ الكتاب وقدّم المؤلف الى محكمه أمن الدولة ودافع محامى المؤلف عنه فأعلن أن هذا الكتاب يسجل بداية متصوف لا تهجمات ملحد - ولسبب مجهول كان أعضاء المحكمة من أهل التصوف - فحكموا بمصادره الكتاب والكف عن ملاحقه مؤلفه

وبعد سكون الزوبعة رجع المؤلف الى نفسه يحاكمها ويحاكم كتابه وانتهى الى أنه عمل متهور لا يرضى عنه قلبه ولا عقله وكانت هذه المحاكمة بدايه لمرحلة جاده في طلب الحقيقه . . واستحكمت صلته بالقرآن وشعر بالاتصال بأئمة المفسرين وكان أعماقهم تأثيرا سيد قطب في ظلال القرآن وأبن كثير في تفسيره

وأعلن الدكتور رفضه لكتابين من كتبه أولهما (الله والانسان " الذى صودر

ولن يطبع ثانيه ، وثانيهما " ابليس " اذ أعلن أنه لا يسمح باعاده طبعه

وكل طبعه له ظهرت بعد ، الأولى فمن غارات السارقين في بيروت

وخص كتابه " لغز الموت " بالذكر واعتبره مدخله الى الايمان وقد كتبه في

(١) عام ١٩٥٨ - ١٩٥٩ ثم المستحيل الذي صدر سنة ١٩٦٠ م

وله عدد من المؤلفات يذكرها عادة مع تواريخ صدورها في آخر كل كتاب

له . ومن هذه المؤلفات غير ما ذكرنا

١ - لغز الحياه دراسه كتبت سنة ١٩٦٧ م

٢ - اينشتين والنسيه دراسه كتبت عام ١٩٦١ م

٣ - رحلتى من الشك الى الايمان دراسه كتبت عام ١٩٧٠ م

٤ - الطريق الى الكعبه رحله حج كتبت عام ١٩٧١

٥ - الله دراسه كتبت عام ١٩٧٢

٦ - التوراه دراسه كتبت عام ١٩٧٢

٧ - رأيت الله دراسه كتبت عام ١٩٧٣

٨ - الروح والجسد دراسه كتبت عام ١٩٧٣

٩ - حوار مع صديقى الملحد دراسه كتبت عام ١٩٧٤

١٠ - الماركسيه والاسلام دراسه كتبت عام ١٩٧٥

١١ - محمد دراسه كتبت عام ١٩٧٥

١٢ - السر الأعظم دراسه كتبت عام ١٩٧٥

١٣ - من أسرار القرآن دراسه كتبت عام ١٩٧٦

١٤ - الوجود والعدم دراسه كتبت عام ١٩٧٦

١٥ - لماذا رفضت الماركسيه دراسه كتبت عام ١٩٧٦

١٦ - القرآن محاوله لفهم عصرى (وهو موضوع بحثنا هنا)

(١) لخصت هذه الترجمة من كتاب الاستاذ / محمد المجذوب علماء ومفكرون عرفتهم

هذه أهم مؤلفاته فيما نرى ولم ونذكر منها أسماء رواياته ومسرحياته—
ورحلاته وقصصه التي صدرت في مجموعات أربع في بيروت سنة ١٩٧٢م يكفى
أن أقول أن عدد مؤلفاته كما يذكرها في آخر كتابه من أسرار القرآن ٥٥ مؤلفا
فضلا عن المجموعات الكاملة التي أشرت إليها آنفا ، وسأتحدث بعد هذا عن
تفسيره .

ثانيا : الكتاب :- القرآن محاوله لفهم عصرى

وتقع طبعه دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٦م لهذا الكتاب في حوالى ٢٨٠
صفحه من الحجم المتوسط وطبع قبلها وبعد ها عدة مرات .

والمهم فى الأمر أن الكتاب قد لاقى القبول عند كثير من " المثقفين وقرأء
مصطفى محمود كما لاقى الرفض عند كثير من المختصين بعلوم القرآن وقد توسط
بعض العلماء فقبلوا بعضه وأنكروا بعضه وردوه ، وأفرده بعضهم بمؤلفات
مستقلة

ومن الذين نقدوه بدراسه مستقلة

١ - الأستاذ عبد المتعال محمد الجبرى فى كتابه " شطحات مصطفى
محمود فى تفسيراته العصريه للقرآن الكريم ويقع فى حوالى ٢٥٠ صفحه

٢ - الأستاذ مصطفى اسماعيل الرج فى كتابه " رد على محاوله لفهم

عصرى للقرآن" ويقع فى ١٢٧ صفحه

٣ - " الملحد" محمود محمد طه فى كتابه " القرآن ومصطفى محمود والفهم
العصرى والعجيب أن المؤلف من أشهر الملحدين فى هذا العصر

ومن الذين أدعوا الرساله ، ويقع كتابه فى ٢١٣ صفحه .

ومن الذين نقدوه نقدا موسعا :-

١ - الدكتور عائشه عبد الرحمن " بنت الشاطىء " فى كتابيها :

١ - القرآن والتفسير العصرى

٢ - القرآن وقضايا الانسان

٢ - الشيخ مصطفى محمد الحديدى الطير فى كتابه " اتجـاه
التفسير فى العصر الحديث منذ عهد الامام محمد عبده الى مشروع
التفسير الوسيط "

٣ - الأستاذ أحمد محمد جمال فى كتابه " على مائدة القرآن مع
المفسرين والكتاب "

٤ - الأستاذ توفيق على وهبه فى كتابه " شبهات وانحرافات فى
التفكير الاسلامى المعاصر . "

وغير هؤلاء كثير نقد وه فى كتبهم أو فى مقالات نشرت فى الجرائد
والمجلات .

والكتاب فى أصله مجموعه مقالات نشرت فى مجله " صباح الخير " فى ديسمبر
١٩٦٩م وأوائل ١٩٧٠م بعنوان تفسير عصرى للقرآن فلما قامت الاعتراضات
على تفسيره هذا جمعها فى كتاب وزاد كلمه حسبها تبرر عمله هذا وسماه
محاولة لفهم عصرى للقرآن

وأستنكرت طائفة كتابه هذا التفسير فى مجله صباح الخير لجلال الموضوع
وهبوط المجله فلا تناسب بينهما

واستبشرت طائفة أخرى ليس لما أصاب فيه المؤلف وانما لما أخطأ فيه
وانحرف فهى تصفق اعجابا لكل تأويل باطل أو شرح منحرف لقضيه من
القضايا الاسلاميه ، وكأنما أسند اليها القيام بتحريف الاسلام فهى تدافع
عن كل ملحد وتشجع كل منحرف وتبرر كل خطيئه

وطائفة رفضت هذا التفسير لعدم تخصص المؤلف وعدم توفر شروط المفسر
فيه فاذا قيل لهم ان الاسلام ليس حكرا على أحد ألقموه حجرا وقالوا حقا

الاسلام ليس حكرا على أحد ولكن تفسير نصوصه ليس مباحا لكل أحد
كالدواء تماما العلاج به ليس حكرا على أحد لكن وصفه وتركيبه ليس مباحا
لكل أحد

وسأذكر بعد هذا أمثله من الانحرافات والشطحات التي ارتكبتها
الدكتور مصطفى محمود في محاولته هذه

نماذج من تفسيره:

يحتوى كتابه هذا على أربعة عشر بحثا جعل لكل منها عنوانا وختم
هذه الأبحاث بمناقشات . أما هذه الابحاث اجمالا فهي :-

١ - المعمار القرآنى

٢ - مخير أم مسير

٣ - قصه الخلق

٤ - الجنه والجحيم

٥ - الحلال والحرام

٦ - العلم والعمل

٧ - أسماء الله

٨ - رب واحد ودين واحد

٩ - الغيب

١٠ - الساعه

١١ - البعث

١٢ - لا كهنوت

١٣ - لا اله الا الله

١٤ - لماذا . . اعجاز القرآن ؟

ولا يحتاج القول أن المؤلف لم يفسر القرآن على الطريقه المألوفه فى
تفسيره آيه آيه وسوره سوره بل جاء تفسيره عصريا يختار الموضوع سلفا

ثم يضع فيه من الآيات ما يختار ويتناولها فيه تفسيراً وشرحاً وحتى عناوين الأبحاث تبد وفيها العصريه

بقى أن أقول أن الكتاب مليء بالأمثله على الانحراف في التفسير فـما الذي أذكر وما الذي أدع . أذكرها كلها وإذا لو فعلت لجاء في كتاب كامل وقد كفيت هذا ، أو أذكر بعضها ففيه مرادى هنا من ضرب المثال للتفسير المنحرف للمفسر القاصر . وعلى هذا الأخير أكتب فعذرا إذا لم أستوف وأستوعب .

خلق الانسان :

من أهم القضايا التي خاض فيها الدكتور مصطفى في كتابه مسأله خلق الانسان بل خلق آدم وحواء عليهما السلام وهو أمر لا شك أنه غيبي لا سبيل الى ادراكه ومعرفته الا عن طريق الوحي وقد بسط القرآن الكريم الحديث عن ذلك في آيات شتى علينا أن نؤمن بها ولا نصرفها بما لا تحتمله ألفاظها حتى توافق نظريه علميه مازالت تتأرجح يمنه ويسره ان لم تكن قد سقطت .

وقد أفاض الدكتور الحديث عن هذه المسأله وأطال وأصاب فيه وأخطأ ورجع في طبعات الكتاب الأخير (دار المعارف) عن أقوال سجلها في طبعاته الأولى (طبعه القاهره) وهو أمر نشكره عليه وندعو الله أن يزيده ايمانا ورجوعا الى الحق .

وبدأ الدكتور حديثه بذكر قصه داروين وطوافه حول العالم وجمعته العينات من البر والبحر وملاحظاته وتأملاته ثم ذكر بعضا من ملاحظات داروين أعقبها بتساؤل : - " هل الحكايه أن الحيوانات أصلها واحد ثم تطور هذا الأصل وتباين وأختلف الى هذه الفصائل المتباينه بسبب تباين الظروف والبيئات . . الحيوانات التي دبّت على الأرض طورت لنفسها أرجلا . . .

والتي نزلت الى البحر تحورت فيها الأرجل الى زعانف . . .
والتي طارت في الجو تحورت فيها الأطراف الى أجنحه
إذا كان هذا الاستنتاج صحيحا فلا بد أن يكشف لنا تشابها في بنيته
الجميع . . وهذا هو ما قاله المشروط بالفعل ^(١)

ثم ذكر أمثله لما كشفه المشروط عند داروين ففي الثعبان يكشف عن أرجل
ضامره وفي الطيور يكشف أن أجنحتها هي الزوج الثاني من الأطراف
وفي الأسماك يكشف أن زعانفها الأربع هي أطرافها الأربع ، وهكذا الى
أن قال . . لم يبق الا أن يكتب داروين نظريته في أصل الأنواع بل
أن النظرية لتكتب نفسها فتقول أن الأنواع انحدرت كلها في أصل واحد
تباين واختلف الى شجرة من الفصائل والأنواع نتيجة تباين الظروف والبيئات ^(٢)

ثم نفى أن يكون داروين قال ان الانسان انحدر من القرد وانما هي
نكته روجتها الصحف ، ووصف هذه النظرية بأنها في أصلها المكتوب لا تقول
بأن أيا من الأجناس الموجوده خرج من الآخر وانما كل جنس هو
بذاته نهايه فرع مستقل من الشجرة لم يخرج فرع من فرع

وقامت الزوبعة على داروين ومضت سنون وسنون من التمهيص واعاده النظر .
وعاش من نظريه داروين بعضها ومات بعضها . . .

ثم بين الدكتور مصطفى ما عاش منها وما مات فقال :-
" حكاية أن الأنواع انحدرت من أصل واحد وأنها تباينت الى شجره
من الفصائل والأنواع نتيجة تباين الظروف والبيئات كانت احتمالا مرجحا
أقرب الى الصحة تقوم عليه الشواهد . . فالوشيجه العائليه تربط كل الخلائق
بالفعل . . والتشريح يقول انها ترتبط بعضها ببعض بصله رحم وقربى

(١) القرآن محاوله لفهم عصرى : مصطفى محمود ص ٤٩

(٢) المرجع السابق : ص ٥٢

أما حكاية أن الترقى حدث بالحوافيز الحياتيه وحدها وبدون يد هاديه فلم تعد مقنعه . . وسقطت من غريال الفكر المدقق المحقق" (١)

خلاصه الأمر أن الدكتور مصطفى يخالف هذه النظرية في جزئيه شكلية -- وانا أقول شكلية ليس في ناحيه العقيدة وانما من ناحيه النظرية نفسها - شكلية لأن داروين - حسب قول الدكتور مصطفى زعم أن عوامل التطور هي عوامل داخلية وقال الدكتور أنها بيد هاديه ترشد ها (٢) وما عدا هذه الجزئيه فلا أعترض على هذه النظرية

وبعد هذا العرض الطويل الذي أوردت خلاصته وصل الدكتور مصطفى الى مرحله الصاق هذه النظرية بالقرآن الكريم وهو يدرك أن العبارات والنصوص لا تطاوعه على ما أراد فمهد للأمر بأن قال :- القرآن لله أسلوبه المختلف عن كل الأساليب . .

وهو حينما يشير الى مسأله علميه لا يعرضها كما يعرضها اينشتين بالمعادلات ولا كما يعرضها بيولوجى بروايه التفاصيل التشريحيه وانما يقدمها بالاشارة والرمز والمجاز والاستعاره واللمحه الخاطفه والعبارة التى تومض فى العقل كبرق خاطف . . انه يلقي بكلمه قد يفوت فهمها وتفسيرها على معاصريها . . ولكنه يعلم أن التاريخ والمستقبل سوف يشرح هذه الكلمه ويثبتها تفصيلا" (٣)

ولا شك ان مثل هذا يوحى بأن الدكتور قد عجز عن أن يجد كلمه صريحه أو عبارة واضحة أو دلالة بينه على ما ذهب اليه فلم يجد بدا من أن يحمل ما فهمه على الاشارة والرمز والمجاز والاستعاره واللمحه الخاطفه . . . وأى

(١) المرجع السابق : ص ٥٢

(٢) المرجع السابق : ص ٥٤

(٣) المرجع السابق : ص ٥٥

مانع لمن أراد أن يقول في القرآن ما يريد أن يقول أنه فهمه بهذه المصطلحات.

ان مثل هذه القضية في أهميتها لا تكفى مثل هذه الاشارات والرموز لاقامتها هذا ان سلم له أن في الآيات رمز وإشاره ولنربعد هذا ما حسبه رموزا وإشارات ، فقد قال في تفسير قوله تعالى : - " ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة أسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين " ^(١) قال : - " وفي هذه الآية يحدد أن خلق الانسان ثم على مراحل زمنية " خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة أسجدوا لآدم " والزمن بالمعنى الالهى طويل جدا " وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون " ^(٢) . . . فاذا قال الله خلقناكم ثم صورناكم . . . ثم اكتملت الصورة بتخليق آدم فقلنا للملائكة اسجدوا لآدم . . . معنى هذا أن آدم جاء عبر مراحل من التخليق والتصوير والتسويه استغرقت ملايين السنين بزماننا وأياما بزمان الله الأبدى . . .

" وقد خلقكم أطوارا " ^(٣) ومعناها أنه كانت هناك قبل آدم صور وصنوف من الخلاق جاء هو ذروه لها

" هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا " ^(٤) اشاره الى مرحله بئده من الدهر لم يكن الانسان يساوى فيها شيئا يذكر ،

ويقول القرآن عن الله انه هو " الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى " ^(٥) أى انه هدى مسيره التطور حتى بلغت ذروتها فى آدم . . . " ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين " ^(٦) وهى اشاره صريحه بأن الانسان لم

(١) سورة الأعراف : الآية ١١

(٢) سورة الحج : الآية ٤٧

(٣) سورة نوح الآية ١٤

(٤) سورة الانسان : الآية الأولى

(٥) سورة طه الآية ٥٠

(٦) سورة المؤمنون الآية ١٢

يخلق من الطين ابتداءً . . . وانما خلق من سلالات جاءت من الطين هناك مرحله متوسطه بين الانسان والطين . . . هي سلالات عديده متلاحقه كانت تمهيدا لظهور نوع الانسان المتفوق . . . ثم يحدثنا القرآن عن تخلق الجنين فيحكي لنا أن خلق العظام سابق على خلق العضلات " فخلقت المضعه عظاما فكسونا العظام لحما"^(١) ومعلوم في علم الأجنه أن نشأه العمود الفقري سابقه على نشأه العضلات"^(٢)

تلكم خلاصه ما قاله الدكتور في خلق الانسان ، وظاهر أن المؤلف يخلط بين الآيات التي تتحدث عن خلق آدم عليه السلام وبين الآيات التي تتحدث عن خلق الانسان . . . كل انسان فالآيه التي استدل بها" وقد خلقكم أطوارا" انما هي من قول نوح عليه السلام يخاطب قومه ويحدثهم عن خلقهم لا عن خلق آدم عليه السلام ويعجب كيف لا يرجون لله وقارا وهو الذي خلقهم أطوارا وكان مقتضى خلقه لهم كذلك ان يوقروه عز وجل فلما لم يفعلوا عاتبهم وهذا هو الذي يدل عليه السياق ، ولا دلاله في الآيه على أن المراد بالأطوار صنوفا وصورا من الخلائق جاء آدم ذروه لها بل لم يرد ذكر آدم عليه السلام في هذه الآيات فكيف يرجع الضمير اليه

ونحو هذا تفسيره لقوله تعالى على لسان موسى عليه السلام" قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى"^(٣) حيث فسرهما الدكتور مصطفى بقوله أي أنه هدى مسيره التطور حتى بلغت ذروتها في آدم ، وهو تفسير غريب فلا علاقه لهذه الآيه بحكاية التطور في خلق آدم وانما وردت لبيان قدره الله سبحانه وتعالى وحكمته خلقا وتقديرا أو خلقا وهداية ولهذه الآيه قرائن أخرى كقوله عز وجل " سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى

(١) سوره المؤمنون : في الآيه ١٤

(٢) القرآن محاوله لفهم عصرى : مصطفى محمود ص ٥٨ - ٥٩ باختصار

(٣) سورة طه : ٥٠

والذى قد رفهـدى" (١) وقوله سبحانه " ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين
وهـديناه النـجدين" (٢) وقوله سبحانه " إِنَّا هـديناه السبيل إِنَّمَا شَاكِرَا وَإِمَّا
كفـورا" (٣) ومع هذا فلا يصح أن يستدل بهذه الآيات على تطور خلق آدم .
حتى ولا على سبيل الرمز والاشارة كما يفعل الدكتور .

أما زعمه أن قوله تعالى " ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين" (٤) اشارة
صريحه بأن الانسان لم يخلق من الطين ابتداء فغير صحيح بل هو مخالف
لصريح القرآن الكريم قال تعالى " الذى أحسن كل شىء خلقه وبدأ خلق
الانسان من طين ثم جعل نسله من سلاله من ماء مهين" (٥) هذه هى الدلالة
الصريحة فى أن خلق الانسان بدأ من الطين اذا فلا يصح للدكتور مصطفى
ولا لغيره أن يزعم أن الانسان لم يخلق من الطين ابتداء ، ثم يخطئ مره
أخرى حين يقول " وانما خلق من سلالات الخ والآيه تنص على " من سلاله
من طين" فكيف يعدد ما أفرد القرآن

وعلى كل حال فالدكتور مصطفى قد أخطأ مرات فيما ذكرنا وفيما لم نذكر
من أقواله فى خلق الانسان ولعله يعود مره أخرى فيستغفر الله ويتوب اليه

هبوط آدم :

ومما يتعلق بخلق آدم عليه السلام ويرد عند الحديث عن خلقه وسجود
الملائكه له هبوطه من السماء الى الأرض جزاء معصيته

وقد أستدل بهذا بعض منكرى نظريه التطور المزعومه حين فرقوا بين خلق
آدم وسائر المخلوقات فقالوا ان آدم خلق فى السماء ثم عصى فأنزل الى الأرض

-
- (١) سوره الأعلى : الآيات ١ - ٣
(٢) سوره البلد : الآيات ٨ - ١٠
(٣) سوره الانسان : الآيه ٣
(٤) سوره المؤمنون : الآية ١٢
(٥) سوره السجده : الآيتين ٧ - ٨

وكان على من يقول بنظريه التطور أن ينكر خلق آدم في السماء وهبوطه
وكان هذا هو ما فعله الدكتور مصطفى حيث أنكر الهبوط فقال : -

" والذين لا يوافقونا على القول بالتطور يسألون . . ماذا يكون معني
الاهباط من الجنة في النظره التفسيريه الجديده . . ومعنى مشهد اسجاد
الملائكه

بأن الاهباط ورد في القرآن بمعنى الانتقال من مكان الى مكان دون
مغادره الأرض . . في مخاطبه الله لقوم اسرائيل " اهبطوا مصرا فان لكم ما
سألتم" (١) وكذلك وردت الجنة بمعنى البستان والحديقہ على الأرض: " لقد كان
لسبأ في مسكنهم آيه جنتان عن يمين وشمال" (٢) وفي الأرض قطع متجاورات
وجنات من أعناب" (٣) ويكون المعنى المقصود من الاهباط اذن هو الاهباط
المعنوى من مقام الرضا الى مقام المعصيه وانه قد تحقق بانتقال آدم عن
حياه سهله في البساتين يانعه وافرہ الخصب والرزق الى مكان جديب وهو على
الأرض ما يزال ودنما اهباط من سماوات

أما مشهد اسجاد الملائكه فقد حدث هو الآخر على الأرض من قبيل
التسخير كما سخر الله الجن لسليمان على الأرض . . أو من قبيل الكشف
والاطلاع على الملكوت كما أطلع نبيه محمدا على الملكوت والمعراج وهي
معجزات يختص بها الله أنبياءه وكلها دلالات كاشفه على مقام آدم العالى
عند ربه . . وقد كشف له هذه الأمور كشافا وهو على الأرض لم يزايلها

(١) سورة البقره : من الآيه ٦١

(٢) سورة سبأ : من الآيه ١٥

(٣) سورة الرعد : من الآيه ٤

انها الأرض لم يبرحها آدم منذ اختاره الله من أزكى فرع فى شجره
الحياه التى أنبتها نباتا من طين الأرض وهداها فى إنتقالها من سلاله
الى سلاله الى أن بلغ الذروه المختاره

وتؤيدنا فى ذلك آيات كثيره عن الأرض :- " فيها تحيون وفيها تموتون
ومنهما تخرجون" (١) " والله أنبتكم من الأرض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم
اخراجا " (٢) " منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تاره أخرى" (٣)
انها الأرض لم نبرحها والاهباط هو اهباط من الارض الى الأرض" (٤)

وهذه المزاعم الثلاث التى زعمها الدكتور مصطفى

١ - ان الجنه فى الأرض . .

٢ - ان الاهباط هو الاهباط من الأرض الى الأرض . .

٣ - سجود الملائكه حدث على الأرض وهو من قبيل التسخير
امور خطيره فيها من الجراه على النصوص الشرعيه ما يخشى على صاحبه
ولهذا ولعظم هذا القول وعظم الحكم عليه أسوق كلام أبى تيميه رحمه الله
تعالى حيث قال :-

" والجنه التى أسكنها آدم وزوجته عند سلف الأمه ، وأهل السنه
والجماعه هى جنه الخلد ومن قال أنها جنه فى الأرض بأرض الهند أو
بأرض جده أو غير ذلك فهو من المتفلسفه والملحدین أو من اخوانهم
المتكلمين المبتدعين فان هذا يقوله من يقوله من المتفلسفه والمعتزله .

والكتاب والسنه يرد هذا القول وسلف الأمه وأئمتها متفقون على بطلان
هذا القول . قال تعالى (واذ قلنا للملائكه أسجدوا لآدم فسجدوا الا

(١) سوره الأعراف : الآيه ٢٥

(٢) سوره نوح : الايتين ١٧ - ١٨

(٣) سوره طه : الآيه ٥٥

(٤) القرآن محاوله لفهم عصري : د / مصطفى محمود ص ٦٨-٦٩

ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين . وقلنا يا آدم أسكن أنت وزوجك الجنة) الى قوله (قلنا اهبطوا منها جميعا بعضهم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع الى حين) فقد أخبر أنه سبحانه أمرهم بالهبوط و أن بعضهم عدو لبعض ، ثم قال (ولكم فى الأرض مستقر ومتاع الى حين) وهذا يبين أنهم لم يكونوا فى الأرض وإنما اهبطوا الى الأرض فانهم لو كانوا فى الأرض وانتقلوا الى أرض أخرى كانتقال قوم موسى من أرض الى أرض لكان مستقرهم ومتاعهم الى حين فى الأرض قبل الهبوط وعده ، وكذلك قال فى الأعراف لما قال ابليس :- " أنا خير منه ، خلقتنى من نار وخلقته من طين ، قال :- (اهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها) . فقوله :- " اهبط منها " فما يكون لك أن تتكبر فيها) يبين اختصاص السماء بالجنة بهذا الحكم فان الضمير فى قوله : (منها) عائد الى معلوم غير مذكور فى اللفظ - هذا بخلاف قوله : - (اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتكم) فانه لم يذكر هناك ما أهبطوا فيه وقال هنا :- (اهبطوا) لأن الهبوط يكون من علو الى سفلى وعند أرض السراة حيث كان بنو اسرائيل حيال السراة المشرفة على المصر الذى يهبطون اليه . ومن هبط من جبل الى واد قيل له : هبط الى ان قال ابن تيمية رحمه الله تعالى " وقوله : - (ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين قال : اهبطوا) الايتين فقوله هنا بعد قوله : (اهبطوا بعضهم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع الى حين) يبين أنهم هبطوا الى الأرض من غيرها وقال : (فيها تحيون و فيها يموتون ومنها تخرجون) دليل على أنهم لم يكونوا قبل ذلك بمكان فيه يحيون وفيه يموتون ومنه يخرجون وإنما صاروا اليه لما أهبطوا من الجنة والنصوص فى ذلك كثيرة وكذا لك كلام السلف والأئمة " (١)

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية : جمع عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد ج٤ ص ٣٤٧ -
٣٤٩ باختصار

هذا جواب ابن تيميه رحمه الله تعالى لمنكر الهبوط ولمنكر ان تكون
جنه آدم هي جنه الخلد أما جوابه لمن أول سجود الملائكه بغير معناه
المتبادر فقال : - فمن قال انه لم يسجد له جميع الملائكه بل ملائكه الأرض فقد
رد القرآن بالكذب والبهتان وهذا القول ونحوه ليس من أقوال المسلمين
واليهود والنصارى وإنما هو من أقوال الملاحده المتفلسفه الذين يجعلون
"الملائكه" قوى النفس الصالحه " والشياطين " قوى النفس الخبيثه ويجعلون
سجود الملائكه طاعه القوى للعقل وامتناع الشياطين عصيان القوى الخبيثه
للعقل ونحو ذلك من المقالات التى يقولها أصحاب " رسائل اخوان الصفا "
وأمثالهم من القرامطه الباطنيه ومن سلك سبيلهم من ضلال المتكلمه والمتعبد
وقد يوجد نحو هذه الأقوال فى أقوال المفسرين التى لا اسناد لها
يعتمد عليه " (١)

وبعد هذا ما قاله الدكتور مصطفى وهذا ما قاله شيخ الاسلام ابن تيميه
وحسبك به

حد السارق :

وللدكتور مصطفى فى حد السارق ثلاثه مواقف أما أحدها فنشره فى
أحدى المجلات بعد صدور الطبعة الأخيره من كتابه وكأنها أضافه جديده ،
وأما ثانيها فحذفه من الطبعة التى بين يدي وأما ثالثها فلا يزال ، لم
يرجع عنه

وللبیان فإن أولها زعم إشتهر عن الدكتور مصطفى وان كان قاله قبله كثير
من الملحدین والمنحرفين والجاهلين ذلكم هو الزعم بأن اليد لا تقطع
لمن يسرق مره واحده فلا بد أن تتكرر منه السرقة حتى يوصف بأنه " السارق "

(١) مجموع فتاوى ابن تيميه : عبد الرحمن بن قاسم ج٤ ص ٣٤٥-٣٤٦

فيصح حينئذ قطع يده،^(١) وهذا أمر سبق عرضه والرد عليه فلا داعى
لإعادته هنا

أما ثانيهما فما ذكره من أنه إذا تاب السارق وقال صادقا ثبت ولن أسرق
بعد الآن يعطى لولى الأمر مجالا لرفع الحد عنه، لكن الدكتور مصطفى
حذف هذا فى الطبعة التى بين يدي لعله بعد أن قرأ ردود أهمل
العلم عليه .

وثالثها زعمه أن "من سرق - للجوع أو للحاجة لا يصح شرعا إقامه الحد
عليه حتى لو كان يسرق عن اصرار وعمد"^(٢) وهو حين يقول هذا لا يفرق
بين مجاعه تعم المسلمين ومجاعه يزعمها كل سارق فيسقط عنه الحد ويكون
التشريع به باطلا؟! سبحانه هذا بهتان عظيم .

الجنة والجحيم:

وهذا الموضوع فى كتابه كغيره من المواضيع ملئ بالانحرافات فى التفسير
والتأويلات البعيدة والمتناقضة والسطحية بل عد الدكتور من أسباب انصرافه
عن القرآن فى شبابه ما قرأه عن أنهار العسل وأنهار الخمر فى الجنة وهو
لا يحب العسل ولا يحب الخمر وعد هذا سذاجه (!!) وانسحب حكمه على
القرآن ثم على الدين كله والسادج فى واقع الأمر لم يكن الا هو ، كذا قال^(٣)
وقد ظن خاطئا أن تأويل ما فى الجنة وما فى النار بأنه ضرب مثل ولون
من التقريب وألوان من الرمز ثم تخبط فمره يقول ان النعيم والعذاب
معنويان لا حسيان ومره عكس هذا ومره معنويان وحسيان ولا تدرى أيهما
عقيدته

قال: "فماذا يقول القرآن فى الجنة؟" مثل الجنة التى وعد المتقون فيها

(١) انظر مجله صباح الخير العدد ١٠٩٣ فى ١٦ ديسمبر^{١٩٧٦} مقال: قطع
اليد فى القرآن مصطفى محمود

(٢) القرآن محاوله لفهم عصرى: د / مصطفى محمود ص ٢١٢

(٣) المرجع السابق: ص ٨١

أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر
لذه للشاربين وأنهار من عسل مصفى" (١)

والآيه تبدأ بأنها ضرب مثل " مثل الجنة التى وعد المتقون " وليست ايرادا
لأوصاف حرفيه . فهذا أمر مستحيل لأن الجنة والجحيم أمور غيبية بالنسبه
لنا لا يمكن تصويرها فى كلمات من قاموسنا فكل الغايه هى تقريب
تلك المعانى المستحيله بقدر الامكان وكل ما جاء عن الجنة والجحيم ما هو
الا ألوان من ضرب المثل . . وألوان من التقريب وألوان من الرمز" (٢)

ويقول أيضا " الله لا يعذب للعذاب . . وانما يأتى العذاب واحترق
الصدر من احساس من هم فى أسافل الدرجات بالغيره والحسد والهوان
والخسران الأبدى الذى لا مخرج منه . . . وسوف يحرق هذا الاحساس
الصدر كما تحرقها النار وأكثر . . وسوف يكون هو النكال والتنكيل بينكل
الواحد منا بنفسه بالدرجه التى وضع نفسه فيها والتى انحدر اليها بأعماله
فى الدنيا" (٣)

وفى قوله تعالى عن المعذبين فى النار " كلما دخلت أمه لعنت أختها
حتى اذا إدراكوا فيها جميعا قالت أخرجهم لأولا هم ربنا هؤلاء أضلونا
فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون" (٤) قال
الدكتور مصطفى " انه حوار ومكالمه فى النار يجرى بين المعذبين ، وفى
مثل نارنا لا يمكن أن يجرى حوار بين اثنين يحترقان . . . والمعنى الثانى
العميق فى الآيه و " لكل ضعف ولكن لا تعلمون " ان أمامنا اثنين (كذا)

(١) سورة محمد : الآيه ١٥

(٢) القرآن محاوله لفهم عصرى : د / مصطفى محمود ص ٨١-٨٢

(٣) المرجع السابق ص ٨٧-٨٨

(٤) سورة الأعراف : من الآيه ٣٨

يتعذب الواحد منهما ضعف الآخر مع أنهما فى المكان نفسه : ومعنى
هذا أن العذاب^{يكون} فى الشخص وليس فى المكان ذاته . . . وهذا لا ينفى أن
العذاب المذكور حسيا بل أنه من الممكن أن يكون معنويا وحسيا فى نفس
الوقت^(١)

لكنه يرجع الى القول بأن العذاب معنوى حين يفسر قوله تعالى "اقرأ كتابك
كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا"^(٢) فيقول : - " والحساب هنا بيد وأنه
حساب النفس للنفس وتنكيل النفس بالنفس ومواجهه النفس للنفس ، لقد
لزم كل واحد عمله كظله ولا خلاص وحق القول . . ونفذ العدل الأزلى"^(٣)

ولعل الذى حمله على الاعتقاد بأن العذاب معنوى اعتقاده الآخر
فى بعث الأجساد يوم القيامة حيث يقول " وبالمثل ما يروى القرآن عن النار
فهى نار لا كما نعرف من نار . . نار تنبت فيها شجره لها ثمر (شجره
الزقوم) . . وفيها ماء حميم يشربه أهلها والمعدبون فيها يتكلمون ويتحاورون
فأجسادهم لا يمكن أن تكون لها نفس كيميائية الأجساد كما نعلمها والا لتبخرت
دخانا فى لحظات ولما استطاعوا أن يتبادلوا كلمه

ومعنى هذا أننا سوف نبعث أجسادا ولكن لا كالأجساد . . . ربما كيانات
لها ذات الهيئه والصوره ولكن من ماده مختلفه هى بالنسبه لنا غيب
انها لن تكون الأجساد الترابيه التى نتكون منها الآن فى حياتنا الأرضيه . . .
ولهذا يمكن أن تتضاعف المتع حسيا ومعنويا بطريقه نجهلها كما تتضاعف
درجات العذاب حسيا ومعنويا عما نعلم"^(٤)

وبوء كد هذا رده على حجه لمن ينكر رؤيه الله يوم القيامة فيقول " وهى حجه

(١) القرآن محاوله لفهم عصرى : د مصطفى محمود ص ٨٨

(٢) سوره الاسراء : الآية ١٤

(٣) القرآن محاوله لفهم عصرى : ص ٩٦

(٤) المرجع السابق ص ٨٩

واهيه وتصور مادي دنيوى . . فهم يتصورون أن الروح سوف تبصر
بعين ماديه فى الآخرة وستكون لها حدقه وأجفان وستظل ملابســـــــــــــــــه
للزمان والمكان المعروف فى الدنيا . . . وهو أمر ينكره القرآن (!!) فيقول
عن النشأه الأخرى " وننشئكم فيما لا تعلمون^(١) أى انه سوف ينشئنا
نشأه مختلفه تماما عن كل ما نعلم ولا غرابه فى أن يكون للروح بصر شامل
يدرك اللامحدود وأن ترى الله فى الآخرة^(٢)

والحقيقه انك لا تكاد تجد لهذا الرجل قاعده ينطلق منها الحوار فبينما
تراه فى أقصى الشرق لا تلبث أن تراه فى أقصى الغرب تراه أمامك مسلما
فى أمر فاذا بك ترى قفاه رافضا ثم يلتفت اليك مترددا حائرا يستدل أحيانا
بالآيات فى غير مدلولها ويبتر حينما آليه بترا عن سياقها

ودعونا نأخذ من حديثه السالف الطويل آخره إستدل بقوله تعالى
"وننشئكم فيما لا تعلمون" على أن البعث يكون فى نشأه مختلفه عن أجسادنا
فى الدنيا !!

ولنقرأ الآيه كامله " نحن خلقناكم فلولا تصدقون ، أفترئيم ما تمنون
أنتم تخلقونه أم نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على
أن نبدل أمثالكم وننشئكم فى ما لا تعلمون ولقد علمتم النشأه الأولى
فلولا تذكرون^(١)

فهذه الآيات رد على منكرى البعث بأنه قدر عليهم الموت وأنه قادر على
أن يأتى بآخرين من جنسهم بعد مهلكهم وأن يخلقهم هم فى صور أخرى
غير الصور التى كذبوا بالبعث وهم عليها صورا وأشكالا أخرى . قال الأستاذ
أحمد محمد جمال "أى ينشئهم خلقا آخر قرده مثلا - أو خنازير أو أى صنف
من أصناف مخلوقاته . . فهو تبارك وتعالى - يهدد المنكرين للبعث بأنه

(١) سوره الواقعة : الآيات ٥٧ - ٦٢

(٢) محاوله لفهم عصرى للقرآن : د مصطفى محمود ص ١٣٧

قادر على تبدل خلقهم الانسانيه وانشاءهم فى خلقه أخرى ويذكرهم بالخلق الأولى . . . خلقهم الطين أو خلقهم من ماء مهين والذي بدأ الخلق يعيده من غير شك" (١)

وقال القاسمى " قال الشهاب والظاهر أن قوله (وننشئكم) المراد به اذا بدلناكم بغيركم ، لا فى الدار الآخرة كما توهم وهذا كقوله تعالى " ان يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين" (٢) " (٣)

تفسيره الباطنى :

ومع أن الدكتور مصطفى يحذر من التفسير الباطنى ويذمه ويذكر أمثله من تفسير ميرزا حسين على الذى لقب نفسه "ببهاء الله" (٤) إلا أنه مع هذا يفسر القرآن أحيانا تفسيراً باطنياً

فقال مثلاً فى تفسير قوله تعالى مخاطباً نبيه موسى عليه السلام " أنى أنا ربك فأخلق نعليك انك بالواد المقدس طوى" (٥) قال الدكتور " ويقول الله لموسى : فأخلق نعليك انك بالواد المقدس طوى" فلا يمكن الوقوف فى حضرة الله إلا بخلق النفس والجسد وخلق شواغل النفس وشواغل الجسد كشرط للوصول ؟ ! (٦)

وهو حين يقول هذا لا يجهل أنه تفسير باطنى لبعض الصوفيه حيث كرر هذا التفسير فى موضع آخر ودافع عنه فقال : - " وفى هذا يفسر بعض المتصوفه كلام الله لموسى فى القرآن : - " فأخلق نعليك انك بالواد المقدس طوى" ان المقصود بالنعلين هما النفس والجسد . . . هوى النفس وملذات الجسد . .

(١) على مائده القرآن مع المفسرين والكتاب: احمد محمد جمال ص ٤٧١

(٢) سورة النساء: الآية ١٣٣

(٣) محاسن التأويل : تفسير القاسمى ج ١٦ ص ٥٦٥٥

(٤) القرآن محاوله لفهم عصرى : ص ١٥٤ - ١٥٦

(٥) سورة طه: الآية ١٢

(٦) القرآن محاوله لفهم عصرى : ص ١٠٨

فلا لقاء بالله الا بعد أن يخلع الانسان النعلين : نفسه وجسده بالموت أو بالزهد والله يصورها كنعلين لأنهما القدمان اللتان تخوض بهما الروح فى عالم الماده وعن طريقهما نزلت من سماواتها الى الأرض.

وقد يعترض معترض قائلا . . وما ضروره لصرف اللفظين عن معناها الظاهر والواقع أن هناك ضروره . . فالحضرة الربانيه لا يكفى لدخولها خلع نعلين . . . وانما التجرد الكامل هو شرطها دائما وهو أقل ما يليق بالحضرة الجلاليه . . . ولا يتم التجرد الا بخلع شواغل النفس والجسد . . فالمعنى هنا وارد والتأويل له ضروره (!!) وهو لا يناقض المدلول الظاهر للألفاظ (!!) ولهذا يبادر المتصوف بأن يخلع النعلين ليخطو أول خطوه فى الوادى المقدس^(١)

ونحمد الله أن الدكتور لم يستند فيما قال الى كتاب ولا الى سنه ولا الى لغه ولا الى قول سلف وانما الى قول المتصوفه وفعل المتصوفه فأراحنا من عناء الرد عليه .

ومن تفسيره الباطنى أيضا تفسيره للشجره التى أكل منها آدم عليه السلام فى الجنه بأنها التلاقح الجنسى (!!) وأنها رمز للجنس والموت حيث قال " وأنا أرى أنها رمز للجنس والموت الذين تلازما فى قصه البيولوجيا حينما أخذت الكائنات الحيه بطريقه التلاقح الجنسى لتكاثر فكتبت على نفسها طارئ الموت ولم تكن الكائنات قبل ذلك تموت بل تتجدد وتعود الى الشباب بالأنقسام الذاتى . كان التلاقح الجنسى هو الشجره المحرمه التى أكلت منها الحياه فهوت من الخلود الى العدم^(٢)

ومعلوم أن هذا التفسير صرف للفظ عن ظاهره من غير دليل فهو

تفسير باطنى

(١) المرجع السابق : ص ١٣٥ - ١٣٦

(٢) المرجع السابق : ص ٦٦

ومن تفسيره الباطنى تفسيره لهبوط آدم وحواء عليهما السلام الى الأرض بعد أن ذاقا الشجرة بأن " المقصود من الالهياط اذن هو الالهياط المعنوى من مقام الرضا الى مقام المعصية " (١)

هذه أمثله من تفسيره الباطنى الذى أنكره ووقع فيه فى مواطن كثيره من كتابه هذا .

صفات الله :

والمؤلف يقع كثيرا فى أسر الرغبه فى التعبير المتحرر الذى لا يلتزم صاحبه العقيدة الصحيحة فى جنب الله ولم تهذب عبارته مجالى الدراسات الاسلاميه ولا يعرف الالتزام الذى يقتضيه مقام الحديث عن الله عز شأنه فيورد عبارات وأوصاف بقدر ما تبتعد عن العقيدة معنى تلتصق بالعصريه لفظا فقد غلب عليه الحرص على التجديد فى العبارات والصفات غلبة ابعدته عن المنهج الحق .

لن أسترسل فى هذا من غير أن أعلق بحد يفى مثالا يجلو غامضه بل أمثلة أولها قول الدكتور عن الله عز شأنه :- " والله هو العقل الكلى المحيط " (٢) ولا يخفى على أحد أن هذا وصف لم يصف الله به نفسه ولم يصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم فمن أين جاء به أيا كان مصدره من سواهما فمردود لأن عقيدة السلف أن لا يصفوا الله سبحانه وتعالى الا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم لأنه من الغيب وهما مصدر المؤمن فى معرفه الغيب وجلائه

ومثالا آخر يشبه ادراك النملة لسليمان عليه السلام بادراك سليمان عليه السلام لله سبحانه وتعالى فيقول " وادراك نملة لسليمان أمر ممكن مثل

(١) المرجع السابق : ص ٦٨

(٢) المرجع السابق : ص ١١٠

ادراك سليمان لله^(١)

ومثالا ثالثا يقول " ومن التسابيح السنسكريتيه أن يتلو اليوجى فى خشوع كلمه " رهيم . . رهام " آلاف المرات (! !) وهى كلمات تقابل رحيم رحمن . . عندنا وهى من أسماء الله بالسنسكريتيه^(٢) ! ، ومثالا رابعا وهو يرد على ميرزا حسين علي الذى أدعى النبوه من غير معجزه فيقول " انها إختلاقات النبي الذى أراد أن يدخل منتدى الأنبياء بلا مؤهلات . . ويتسلل إلى مائده الخالدين دون أن يمتحن فأنكر المعجزه والغيب حتى لا يطالبه أحد بأوراق اعتماده فى السفاره الالهيه التى أدعاهـا^(٣) " وهوبهذه العبارة أيا كان قصده جاء بما هو

ممجوج

ويمناسبه الحديث عن الممجوج من حديثه الذى حشا به كتابه سخريته من الذى يدعوره أن يرزقه مئه جنيه ويرشده الى الطريقه التى يحل بها مشكلته فقال " أما الذى يقول . . يارب أرزقنى مائه جنيه . . فهو رجل يمزح مزاحا سخيفا . . فهذه أمور يمكن أن يسعى اليها بأسبابها الدنيويه المعروفه وليس طريقها التصوف ؟ ! . . . وكشك سجاير على ناصيه عماد الدين يحل المشكله^(٤) " ؟

وملاحظه هامه أنه فى تفسيره يذكر الله عز وجل ويذكر أنبيائه عليهم الصلاه والسلام فلا يسبح الله ولا يصلى على أنبيائه وليس هكذا أدبنا الاسلام .

(١) المرجع السابق : ص ١٦٦

(٢) المرجع السابق : ص ١٣٤

(٣) المرجع السابق : ص ١٥٥

(٤) المرجع السابق : ص ١٣٨

تصوفه :

وقد أخذ الدكتور من خرافات الصوفية نصيبا وافرا فمن اعتقادات بعض الصوفية أن التوجه الى الله بالدعاء هو مشاركة لله في ارادته وانه طلب لما لم يرد الله أن يفعله ويشيد الدكتور في كتابه هذا ويثني كثيرا على هؤلاء الصوفية فيصف عملهم هذا بالتجرد وسالأدب ؟! فيقول " والمتصوف متجرد . . وهو قد نفى المطلب الدنيوى من باله لانه يريد مطلبا أعظم والمتصوف متأدب . . وهو يمرض فلا يسأل الله الشفاء حياء وأدبا ويقول . . كيف أجعل لنفسى ارادة الى جانب ارادة الله .. فأسأله ما لم يفعل . . وأنا الذى لا أعلم ما ينفعنى مما يضرنى . . كيف يعترض الذى لا يعلم على الذى يعلم . . ومن يدرينى أن مرضى وآلامى ليست الوسيلة الى خلاصى . . وهذه مبالغة غير مطلوبة من المسلم . . فالله يحب منا أن نسأله ولكن الصوفي من باب الخوف والأدب لا يطلب من الله الا ما يطلبه الله منه فيقول كما قال النبي ابراهيم : " رب اجعلنى مقيم الصلاة " (١) فهو يجعل من ارادة الله ارادته الخاصة ومسعاها . . حبا واحتراما لخالقه والحب هدف المتصوف الاسمى .

ليس لى فى الجنان والنار حظ . . أنا لاأبتغى بحبى بدىلا

والتناقض ظاهر فى حديث الدكتور فمع أنه يصفه بأنه " مبالغة غير مطلوبة من المسلم " الا أنه يثني على الصوفية ويمجد طريقهم هذا فكيف يثني على ما هو " غير مطلوب من المسلم " .

وتناقض آخر حيث يعترف أن " الله يحب منا أن نسأله " فكيف يكون الأدب والحياء فى ترك ما يحب الله أن نفعله بل اذا كان الله يحب أن

(١) سورة ابراهيم : من الآيه ٤٠

(٢) القرآن محاولة لفهم عصرى : د مصطفى محمود ص ١٣٨

نسأله فهو يريد أن نسأله لأنه سبحانه لا يحب ما لا يريد فإذا كانت إرادة الله أن نسأله فكيف يكون الأدب في إرادة غير إرادة الله ؟! هذا إذا أردنا الجواب حسب منطقنا أما إذا أردنا الدليل الحق فكتاب الله وسنته مليئة بالأمر بالدعاء وأنه مخ العباد ؟! فهل يتأدبون مع الله .

وكثيرا ما يشيد ويثنى على الصوفية فيصفهم بأنهم أهل الحضرة وأن علمهم لدنى . . من لدن الله وليسوا كالفقهاء علمهم علم نقل من الكتب وأنهم أهل السر والقرب والشهود وأنهم الأولياء الصالحون حقاً وأنهم الاتقياء الاخفياء ^(١) وأثنى عليهم في فصل " أسماء الله " ثناء كبيرا وعد الوصول الى أرقى درجاتهم أشق من الصعود الى القمر .

ورد عليه في هذا الأستاذ أحمد محمد جمال بقوله " انهم هم السخفاء حقا . . لانهم يزعمون لأنفسهم أنهم أنبياء يتلقون علمهم اللدنى من الله مباشرة وأنهم لا يحتاجون الى القرآن وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم اللذين فيهما علم العقيدة وعلم الشريعة ألا أنهم . هم الجهلاء والسفهاء . . ولكن لا يشعرون " ^(٢)

والذى يظهر لي أن الدكتور مصطفى وهو في طريق أوبته وتوبته لا يزال متأرجحا يمنة ويسره يبحث عن المكان الذى يستقر فيه ولذا بيرزت ظاهرة في تفسيره أكدها كل من كتب عنه فيما قرأت ظاهرة التناقض ولو عدت لما كتبت عنه فى الصفحات السابقة لوجدت بعضا منها وان دل هذا على شئ فانه يدل على أن فكره لا يزال يبحث عن الحقيقة التى فقدتها فيحسبها حيناً هناك فيقررها حيناً هناك فيقررها وقد يكون مخطئا فى

(١) انظر مثلا الصفحات ١٣٨ - ١٤١

(٢) على مائدة القرآن مع المفسرين والكتاب : أحمد محمد جمال ص ٤٧٥

الحالتين فعليه ان أراد كتابة جاده أن يعيد النظر فيما كتب ويستقر على رأى فيما تناقض فيه ولا ينسى ما قرره فى موضع عند خوضه غمار قضية أخرى .

وبعد

ليس ما ذكرت هو كل مواضع انحرافه وليس ما ذكرت هو أهمها ففيمما لم أذكر أكثر وأخطر مما ذكرت وانما صرفنى عن بيانه أنى قد كفيت ذلك فان كان عند الدكتور رغبه فى الحق فقد بينه غيرى ممن هو أرفع منى درجة وأعلى مقاما ولا أظنه الا كذلك ان شاء الله يؤيد هذا رجوعه عن كثير من آرائه فى الطبقات الأولى .

وهو في غير تخصصه - رجل مثقف ^(١) بمدلولها الحديث وهو الرجل الذى أخذ من كل علم بطرف لكن هل هذا بهذه الصفة يصلح لتفسير القرآن الكريم ؟! لندع أمر التفسير . رجل كمثل تخصص فى الأمراض الصدرية هل يحق له أن يعالج أمراض العين والأسنان والعظام وو الخ فضلا عن أن يكون مهندسا للطرق أو الانشاءات أو خبيرا زراعيا أو عالما فى طبقات الأرض أو طيارا . . الخ ان مثل هذا لو فعل ذلك سيجب فى عمله جناية كبرى سيفسه العين والأسنان ويتلف الزرع والثمار وسيعتبر د خيلا فى مهنته وسيلومه الناس صغيرهم وكبيرهم عالمهم وجاهلهم ان لم توضع فى كفيه القيود ويدخل السجون .

وليعلم هذا وغيره أن أمر تفسير القرآن الكريم أخطر من كل هذه الأمور على صاحبه وعلى المجتمع ، أما اولئك الذين يزعمون أن تفسير القرآن الكريم والحديث عن الدين أمر مشاع للمسلمين كافة فهم مخطئون أو جاهلون

(١) قال بن منظور فى لسان العرب ج ٩ ص ١٩ رجل ثَقَفٌ وَثَقِيفٌ وَثَقُفٌ : حاذق فهم .

ونحن نقول أن الدين ليس حكرا على أحد وأن تفسيره ليس مباحا لكل أحد ليس الدين حكرا على أحد فلا يجوز أن نمنع أحدا من الدخول فيه بل يلزمنا الاعتراف باسلامه متى أعلن ذلك ما لم يأت بأمر مخرج من الدين . أما الذين لهم حق تفسير القرآن فهم الذين توفرت فيهم شروط المفسر وآدابه فاذا ما توفرت فيهم هذه جاز لهم تفسير القرآن الكريم . أما قبل ذلك فلا وكان حقا ان يعاملوا كادعياء الطب . . الخ بل أشد .

ونحن لا ننكر أن الدكتور مصطفى حريص على صوغ المفاهيم الاسلامية في عبارات ومعان حديثة تقرب الى الأذهان لكن هذا الهدف لا يبرر له خوض غمار التفسير من غير سلاح تماما كالشخص الجاهل في الطب الذي ترتعد جوانبه اشفاقا وعطفا على المريض فيصف له دواء هو أجهل الناس به فليست شفقتة ونصحه بمبرر كاف لوصف الدواء والعلاج .

أما أسلوب العصر والعصرية الحديثة فقد جنت على الأمة الاسلامية جناية كبيرة فقد اتخذها دثارا كل من أراد أن يغير في الدين ويدخل فيه مالمس منه !! فقطع يد السارق وتعدد الزوجات والربا ورجم الزاني المحصن وجلد شارب الخمر والسخ كلها أمور لا تناسب العصر الحديث فلتغير ولتبدل فلا تقطع يد السارق حتى تتعدد سرقاته ويقيد تعدد الزوجات بشروط ثقيله لا يستطيعها أحد بل ليختصر الأمر فيمنع التعدد أما الربا فالمراد به الربا الفاحش ؟ ! أما رجم الزاني المحصن فلم يرد في الكتاب ؟ ! كلها أمور يزعمهم تتنافى مع العصر الحديث . . . وهذا يكون هذا الأسلوب مطية يركبها الناصح الجاهل والملحد الخبيث وهو أمر مازالت الأمة الاسلامية تعاني منه وقد صرحت بهذا المستشرق الأمريكيه مريم جميله حيث قالت :-

" ان البلاد الاسلامية قد وقعت فريسه مصطلحات خاطئة ومنها مصطلح العصرية وقد جنى هذا المصطلح على الاسلام جناية كبرى " (١)

(١) شطحات مصطفى محمود في تفسيراته العصرية للقرآن الكريم: عبد المتعال الجبري ص ١

أولئك الذين يبذرون تعاطفهم مع الدكتور مصطفى محمود ويمسحون عباراته مساحيقاً وهم يعتقدون أن توبة مصطفى من الالحاد إلى الإيمان كافية لالتماس كل عذر له في انحرافات وتأويلاته الباطلة وما هكذا تورد الأبل يا سعد أما توبته فليس تفضلاً منه علينا فهي له في الدنيا والآخرة وله مناحق الدعوه الصالحه وحق الأخوه الاسلاميه بأن يثبتنا وإياه على الصراط المستقيم حتى نلقاه . وأما أن تكون توبته هذه مبرراً للتجاوز عن انحرافات فأمر مرفوض مرفوض .

مرفوض لأن صاحبه ما زال لم تتروض عباراته في ميدان الفكر الاسلامي ولم تنصهر ألفاظه في بوتقة العقيدة الاسلامية ولم تنجل عقائده في مجالى الاسلام ، فلا زال يستعمل عبارات والفاظ يحسب المسلم لها ألف حساب قبل أن يتفوه بها . ولئن كنا ندعوا الله أن يغفر له فان هذا لا يعفيه من الخطأ ولا يعفيينا من التنبيه .

ومرفوض لأن صاحبه لا يزال يجهل كثيراً من أحكام الاسلام وعقائده التي تدور لتقريرها آيات القرآن الكريم فيبعد فهمه حيناً .

ومرفوض لأن صاحبه يجهل العلوم الواجب توفرها في المفسر فلا يعرف أسباب النزول ولا أول ما نزل وآخره ولا النسخ والمنسوخ ولا المحكم والمتشابه ولا ما ورد تفسيره بالسنة ولا . . . ولا . . .

ومرفوض لأن صاحبه لا يعرف قواعد اللغة العربية ولا مدلولات ألفاظها اللهم الا ما يعرفه العامة في اللغة من المدلولات السائرة في أحاديثهم ومعتقداتهم أما خصائص الأساليب التي يدرك بها الفرق بين عبارة وأخرى وغير ذلك من خصائص اللغة فلا يعرفها .

وبالجملة مرفوض لأن صاحبه حتى الآن لا تتوفر فيه شروط المفسر
ولا آدابه فاذا ما التزمها فان الحق له كل الحق في أن يفسر القرآن
مادام تفسيره يقوم على الاسس والقواعد ، أما والحالة هذه فلا وألف لا .

وانى أوجه له ولا مثاله النص من قلب خالص صادق ان يدع تفسير
القرآن الكريم لاهله وان يتناول اذا أراد المشاركة ما قرره أولئك الاعلام
فى التفسير بالشرح والبسط وبأسلوبه الخاص فى مخاطبة الطبقة العامة
وأن لا يبتدئه ابتداءً فبهذا يكون له شرف المشاركة فى ميدان الدعوة
ان شاء الله وكفى به من شرف لا يدانيه شرف الشهره ولا شرف المادة
ان كان فيهما من شرف .

وأهمس فى أذنه وأذن غيره ممن يتناولون آيات القرآن الكريم بالتفسير
بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم " من قال فى القرآن بغير علم
فليتبوأ مقعده من النار " (١) وكفى به وعيدا لمن القى السمع وهو شهيد
والله أعلم .

هذا ما أردت قوله عن منهج القاصرين فى التفسير وهم وان كان
فيهم المغرض فان فيهم ذا النية الصالحة الصادقة لكنه أخطأ الطريق
فليعد هؤلاء الى الحق وليعلموا أن من قال فى القرآن برأيه فأصاب
فقد أخطأ ونسأل الله لنا ولهم السلامه .

(١) رواه الامام أحمد فى مسنده ج ١ ص ٢٣٣ ورواه الترمذى فى سننه

ج ٥ ص ١٩٩ كتاب تفسير القرآن وقال " حديث حسن صحيح "

الباب الخامس

الاتجاهات المنحرفة

الفصل الثالث

اللون اللامنهجي في التفسير

نحمد الله باديء ذي بدء أن أصحاب هذا اللون من التفسير أقل من القلة ، وما كنت لأعرض لهؤلاء لولا أنني حرصت على استقصاء اتجاهات التفسير وألوانه في العصر الحديث

والذي لا أدريه حقا وما زال يحيرني ويلج في طلب الجواب هل هؤلاء أصحاب هذا اللون من التفسير مجانيين حقا ؟ أم أنهم عقلاء كتبوا كما يكتب أولئك ، وإذا كان الأمر كذلك فلماذا فعلوا هذا ؟ وهل يعتقد أحد منهم - حقا - أن تفسيره هذا سيلاقي القبول ولو من شخص واحد وإذا كان الجواب بالنفي فلماذا كتب ؟ ! هذه الاسئلة وغيرها تتري على ذهني من غير أن أجد لها جوابا

أحب هنا أن أذكر مثالا واحدا لا أزيد عليه من تفاسيرهم ولا أود - أيضا - أن أذكر أكثر من مثال واحد لمؤلفاتهم

أما المثال من التفسير فتفسير حديث لسورة الاخلاص نشر في جريده السياسه الكويتيه رد عليه مجلس المجمع الفقهي الاسلامي في دورته السادسه ووصف هذا التفسير بأنه لا يدل على شيء سوى الاختلاط العقلي ويرى أنه من المختلين عقليا وأنه هذيان لا يبلغه هذيان المحمومين وأنه عبث بآيات الله في كتابه

وما على أن أستطرد وقرار المجمع بين يدي فيه عرض للتفسير والجواب الكافي فلأنقله بحذافيره ففيه الغناء :-

"الحمد لله وحده والصلاه والسلام على من لا نبي بعده سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا . أما بعد : فان مجلس المجمع الفقهي الاسلامي في دورته السادسه المنعقد بمقر الأمانه العامه لرابطه العالم الاسلامي بمكه المكرمه في الفتره ما بين ٩-١٦ / ٤ / ١٤٠٣ الموافق ٢٣-٣٠ / ١ / ١٩٨٣ قد أطلع في جلسته الثانيه صباح يوم الاثنين

١٠/٤/١٤٠٣ على ما نشرته جريدة السياسة الكويتية في عدد هــاذى
الرقم (٤٧٧٦) الصادر يوم الخميس ١٧ ذى الحجه ١٤٠١ الموافق
١٥/١٠/١٩٨١م من كلام غريب مستنكر تحت عنوان بارز خداع جاء فيه
(معنى التوحيد : تفسير منطوق لسوره الاخلاص وترجمته الانجليزيه) موقع
باسم شخص سمي :- (محمد أحمد الشمالى) يجترى فيه على التلاعب بمعانى
القرآن العظيم ويأتى فيه بلون عجيب من الخلط والأوهام والجهل
والتصورات الخياليه المتفككه والملتبكه لا تدل على شىء سوى الاختلاط
العقلى . ويعلن على المسلمين أنه تفسير لسوره الاخلاص!!

وقد أستهل هذا المفسر الجديد تفسيره هذا لسوره الاخلاص بقوله :
" قل : خبر مقدم بمعنى فرد لا أحد له فيقال مثلا : رجل قل!!) " هو
ضمير مبتدأ مؤخر خبره (قل) وهو أيضا فى مقام مفعول به للجمله الفعلية
التي تليه!! الله أحد : أى أن الله أحدّه بمعنى جعله واحدا
أو بمعنى جعله حدا ، أو بمعنى جعله حادا!!

وهكذا يسير هذا الرجل المختلط فى تفسير بقيه آيات سوره الاخلاص
الى أن يقول . ولم يكن له كفوا أحد ، (ما كان لهذا الشخص أكفأ
فى الماضى ولكن هذا لا يمنع ظهور أكفأ له فيما بعد والا لتعذر عليه
ذاته الظهور ثانيه على وجه الأرض بعد المره الأولى ، وانقطعت رسله)!!

هذا ويرى المجمع الفقهي انه ليس مستغربا أن يوجد فى المختلين
عقليا من يتصور نفسه عالما محققا متعمقا ، أو فيلسوفا مدققا فهذا مرض
من الأمراض، ولكن الغريب كل الغريب أن تنشر صحيفه عربيه مشهوره
فى بلد عربى اسلامى مثل هذا الهذيان الذى لا يبلغه هذيان
المحمومين تحت عنوان بارز بأن هذا هو معنى التوحيد المستفاد من
سوره الاخلاص تلك السوره القصيره العظيمة التي عبرت عن حقيقه التوحيد

بكلمات قليلة محكمه كانت وستبقى على مدى الحياه أعظم من الجبال
الشامخات بلاغه ورسوخا وتحديا لعواطف الأفكار الزائغه والتيارات الزائفه
والشرك والالحاد اللذين هما ضلال وانحطاط فى بعض العقول البشريه
بعوامل مختلفه

فاذا كان ذلك الهذيان تفسيرا منطوقا لسوره الاخلاص العظيمه
فماذا ترك صاحبه للفرق الباطنيه الهدامه التى تتلاعب بآيات الله فى
كتابه العربى المبين كما تشاء لها غاياتها الخبيثه ضالا لا وتضلilla ؟

فمثل هذا العمل هو اجرام وعبث بآيات الله ، ورده عن الاسلام ،
فكيف يسوغ لصحيفه عربيه صاحبها ينتسب للاسلام فى بلد اسلامى أن
تجعل من صفحاتها منبرا لأمثال ذلك ؟ وكيف تنجو هى والكاتب
المستهزئ بآيات القرآن العظيم من المسئوليه التى تقتضيها نصوص
الدساتير وقوانين العقوبات والمطبوعات فى بلد ها وسائر البلاد
العربيه . ؟

ولذلك ولخطوره هذا السلوك غير المسئول فى الصحافه والنشر
فيما يجترأ به على العقائد والمقدسات الاسلاميه

قرر مجلس المجمع الفقهي لفت أنظار المسئولين الذين تقع على عاتق
سلطاتهم حمايه جميع تلك المقدسات من العبث بها واحالة هذا القرار الى
الأمانه العامه لرابطه العالم الاسلامى لتقوم بارساله الى المسئولين
فى دوله الكويت وسواها ليقوموا بواجبهم فيما يوجبه عليهم دينهم
وحقوق شعوبهم عليهم نحو كتاب ربهم وسنه رسولهم صلى الله عليه وسلم
من صيانه حرمانه وحمايتها من أن تكون ألعويه فى يد من يشأ تضليل
الأفكار وتزييف الناشئه بسوء استعمال حريه النشر ، والله ولى التوفيق وصلى
الله على خير خلقه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم" (١)

(١) جريده المدينه المنوره العدد ٦٠٨٨ فى ٢٣ صفر ١٤٠٤

أما مثال مؤلفاتهم في التفسير فنضرب له مثلا برسالة سماها
صاحبها "رسالة الفتح" وهذا أو أن الحديث عنها :

رسالة الفتح

أولا المؤلف :

يدعى صاحب هذه الرسالة عبد الرحمن فراج

ولم أجده له والحمد لله من ذكر فيما قرأت ، بل أن الرسالة نفسها
لم يكتب عنها إلا الشيخ الفاضل مصطفى محمد الحديدي الطير
في كتابه " اتجاه التفسير في العصر الحديث منذ عهد الإمام محمد عبده
إلى مشروع التفسير الوسيط " ولم يذكر له اسما وعرض له في بحث عنوانه
" الأزهر وعنايته بقراءة القرآن وتيسير تفسيره " ألقاه في المؤتمر
التاسع لمجمع البحوث الإسلامية ونشر في مجله الأزهر في الجزء العاشر
السنة الخامسة والخمسون ولم يذكر فيه أيضا اسم المؤلف

وقد زودني جزاء الله خيرا بصورة من تقرير أعضاء لجنه فحص
الكتاب من مجمع البحوث الإسلامية ومنه أخذت اسم المؤلف .

وانما ذكرت اسمه لأن ذكره لن يزيده شهره ولن يرفع من مقامه بل
سيظهر للناس مكانه ومكان تفسيره .

ثانيا : الكتاب : رسالة الفتح

وتقع هذه الرسالة في ١٦٤ صفحة وطبعت بمطبعه (سعدي
وشندي) بسوق شريف عابدين وتناول المؤلف فيها تفسير نحو ٣٠٠
آيه من القرآن الكريم وطبعت سنة ١٩٦٩ تقريبا

والذي يلفت النظر أن صاحبها يوزعها مجانا كأن هناك من
يقف خلفه ويدفعه في هذا الطريق .

ولم أستطع بعد جهد الحصول على نسخه من هذه الرسالة وانما حصلت على صورته من تقرير أعضاء لجنه فحص هذه الرسالة والتي شكلها رئيس لجنه القرآن والحديث فى مجمع البحوث الاسلاميه ومن أعضائها الشيخ الفاضل مصطفى محمد الحديدى الطير ، الذى كتب عنها أيضا فى كتابه وفى مجله الأزهر كما أشرت آنفا .

وحتما سيكون اعتمادى بعد الله على هذه المصادر الثلاثه وهى فى الحقيقه تكاد تكون مصدر واحد لوحده كاتبها جميعا وهو الشيخ مصطفى الطير جزاه الله خيرا

أمثله من التفسير فى هذه الرسالة :

وهى ملأى بالتفسير الغريب والآراء العجيبه التى لم يسبق اليها ولم تخطر ببال أحد من قبله ، وانكاره لما هو معلوم بالضرورة من الدين والتاريخ واللغه

وقد مهد لما جاء به بزعم يبطل به كل الأسس التى سلكها من قبله حتى يصبح له الجو خاليا فيقول ما يريد أن يقول زعم : " أن عصابه الماسونيه التى ظهرت بعد الجيل الثالث من صدر الاسلام تعاود فى الخفاء على تحريف معانى القرآن التى أرادوا تحريفها ، بعد فشلهم فى تحريف ألفاظه ، واتخذوا لها معنى يخرجها عن مواضعها ثم فسروا القرآن بالتفسيرات التى ظهرت بعد الجيل الثالث (عصر التدوين والتأليف) أيام خلافه العباسيين كما حرفوا ألفاظ شعر الحضر ودونوا ، أحاديث مكذوبه ، وقاموا بخلق مصنفات ملفقه فى اللغه نسبت الى أصحابها زورا ، كما لصاح والقاموس واللسان واستقام لسان العرب على هذا التحريف الذى حصل فى الخفاء ولم يشعروا به " (١)

(١) اتجاهات التفسير فى العصر الحديث : مصطفى محمد الحديدى الطير ص ١٢٢ وتقرير اللجنه ص ١ عن رساله الفتح ص ٥٨ ، ٥٩ ، ١٠٥

ومعذره ان لم أرد عليه فليست أكتب هذه الدراسه لمن يحتاج الى معرفه الحق فى هذه الأمور من فاقدى العقل والفكر، ومن عداهم ممن أوتى أدنى حظ منهما لا يغيب عنه الحق فى هذا . ولذا فإننى سأورد النصوص مجردة من التعليق

تأويل روى الملك سبع بقرات سمان :

قال تعالى " وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وآخر يابسات " (١)

فقال هذا فى تفسيرها : - " معنى بقره : - طائر وفى موضع آخر يقول " بقره : - واضحه " وقال : " فقد رأى العزيز فى المنام سبع طيور سمان يأكلهن سبع عجاف والى سماها المحرفون بقره واستقام لسان العرب على المعنى المحرف بعد الجيل الثالث الاسلامى تلك الماشيه اسمها (المها) والمها لا تأكل المها أما الطير فبعضه يأكل الطير " ثم قال " ان لسان العرب تداول المعانى المحرفه حتى نسبت الى لغته العرب ودونت فى كتب فقه اللغة مثل كتاب الصحاح لمن سموه بـ الجوهرى ومثل كتاب لسان العرب لمن سموه بابن منظور " (٢)

وفى موضع آخر فسر البقره بالدجاجه و - لا تضحكوا - مما تقرأون فان مجال التفسير غير مجال أحاديث السمر ف شأنه أن أصاب صاحبه قبل والا سئل لصاحبه السلامه والهدايه ، قال فى تفسير قوله تعالى " ان الله يأمركم أن تذبحوا بقره " الآية (٣) : - " بقره : أى دجاجه (لا فارض)

(١) سورة يوسف : من الآية ٤٣

(٢) اتجاهات التفسير ص ١٢٤ وتقرير اللجنة ص ٣ عن رساله الفتاح ص ١٠

(٣) سورة البقره : من الآية ٦٧

لم ينقطع منها البيض (عوان بين ذلك) وسط بين الصغيره والمسنه
تبيض البيض (صفراء فاقع لونها تسر الناظرين) صفراء أسم البطائر
المسمى بالأوز والبط ومعنى (صفراء) تحدث مكاء : صغيرا ذا صوت
" (فاقع لونها تسر الناظرين) أبيض ناصع ينشغل خاطر من ينظر
اليها لصفاء لونها (لا ذلول تثير الأرض ولا تسقى الحرث مسلمه لا شيء
فيها) تلك صفه الغراب فالغراب (بقره) ليستبذلول (مسلمه) يحجل
إذا سار" ثم قال "واصطاد كل اسرائيلي غرابا وقام بذبحه وقالوا
لموسى عندما سمعوا أمر المولى بذبح الغراب (الآن جئت بالحق)" (١)

والفجر وليال عشر:

وقال فى تفسير سورة الفجر " الواو فى (والفجر) واو العطوف
والمعطوف عليه قوله تعالى (عالم الغيب والشهادة) من سورة الحشر (١.١.١)
والمولى لا يحلف لمخلوقاته التى خلقها ، والحلف لا يصدر الا من ضعيف
لقوى ومحال أن يحلف المولى وهو القوى العزيز ولا معنى للحلف
بالفجر . . وكان القارئ للقرآن فى أجيال صدر الاسلام يقرأ قوله
تعالى (عالم الغيب والشهادة) ثم يتلو الآيات التى تسبقها الواو التى
بدأت بها السور القصار" ثم قال :- (والفجر) فجر الدم من الشرايين ،
والأشعه بتفجير الذره (وليال عشر) أولى ليالى التحنيط (١.١)
(والشفع) شفع الليالى العشر عشرون ليله (الوتر) مثل الليالى العشر
- عشر ليال - (والليل اذا يسر) الدنيا هى الليل بمعنى الحجاب
وظلمه النفس (اذا يسر) اذا انقضت الدنيا وأشرق النور يوم البعث (هل
فى ذلك قسم لذى حجر) القسم هو الحظ والنصيب والعهد -
(لذى حجر) لذى تحجر وذى صمغ" ثم قال " وفى كل مده من مده
الحنيط الذى يتم عند الفراغه فى أربعين ليله يوضع الحجر ومعناه الصمغ (٢)

(١) اتجاهات التفسير ص ١٢٨ - ١٢٩ وتقرير اللجنة ص ٥ عن رساله الفتح

(٢) اتجاهات التفسير ص ١٣٠ - ١٣١ وتقرير اللجنة ص ٥ - ٦ عن رساله الفتح

العجل الحنيد :

(١) فى تفسير قوله تعالى " فما لبث ان جاء بعجل حنيد " الآية
قال " (العجل الحنيد) هو اسحاق فهو الظل الذى جاء بعد أن كبر
أبواه وانقطع رجاءهما فى الذريه " (٢)
انكار الاسراء :

فى تفسير قوله تعالى " سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد
الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا " (٣)
قال :
(أسرى) أو فى وأنهى (المسجد) القرآن (. .) (الى المسجد
الأقصى) الى سدره المنتهى ومعنى (الاقصى المنتهى) (! !) (الذى
باركنا حوله) الحول هو خاتم أرواح القدس السبعة القرآن ثامن
أرواح القدس (لنريه من آياتنا) آيات الله التى رآها هم أرواح القدس
السبعة وهم : جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل ، ومناة واللات والعزى
رآهم فى سدره المنتهى ليله أن أسرى به " وقال : - " أذن المولى
فوجد الرسول نفسه فى سدره المنتهى مع أرواح القدس السبعة وقضى ليله
معهم ثم عاد الى مكة ولم يقابله ملائكة ولا مخلوق من مخلوقات الله
التي تلى روح القدس . ولم ينطق بكلمه واحده عن الاسراء . ولم يذهب
الرسول الى فلسطين ليله الاسراء ولم يقابل الأنبياء فلا خيال ولا خرافه
فى الاسلام وهذا الجامع الذى أقيم فى فلسطين كان قلعه
للجنود الرومان ليله أن أسرى بالرسول ولما تم الفتح إتخذها المسلمون
جامعه وصلى فيها عمر الذى تم الفتح فى عهده والمطلون بعد الجيل الثالث
الاسلامى سخرؤا من المسلمين فجعلوهم يذكرون أورشليم بالقدس ، ذوالجامع

(١) سورة هود من الآية ٦٩

(٢) اتجاه التفسير ص ١٣٥ وتقدير اللجنة ص ٨ عن رساله الفتح ص ٣٧

(٣) سورة الاسراء : من الآية الأولى

الذى أقيم فيها ببیت المقدس وسموه المسجد الأقصى ليعظموا شعائرهم وليسخروا من المؤمنین الذین لم یكشفوا سوء مكرهم" (١)

وأورد هنا تعلیقاً علی هذه الترهات والأباطیل لیس كشفاً لبطلانها فهو أمر ظاهر كما أشرنا أولاً ، وانما كشف لحقيقه صاحبها ألمح اليه الشيخ مصطفى الطیر حيث قال " فهل لنا أن نعتقد أنه مأجور من اليهود لیصرف المسلمین عن حقوقهم فی بیت المقدس وفلسطين " (٢)

انكار الـــــــرق :

وفی تفسیر قوله تعالى " ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن فی الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم " (٣) قال - " ما كان لشخص نبأ أى أرتفع وعلا بدرجة مال أو جاه أو قوه أن يملك نفوس البشر فیرقّ أبین آدم فاحشه كبرى قصاصها القتل " (٤)

انكار حادثه الافك :

وقال عن حادثه الافك التى جاءت فی قوله تعالى " ان الذین جاءوا بالافك عصبه منكم " الآية (٥) فقال : -

" (الافك) البهتان بتفسیر القرآن بقول لغو (عصبه) عدة فرقه الذین جاءوا بالافك عصبه من أهل الكتاب وهم اليهود و (الافك) مصنفات الافك (لولا جاءوا علیه بأربعة شهداء) الشهداء الأربعة هم أجيال صدر الاسلام الثلاثة الأجيال الأولى وجيل الشهر الحرام هذا الجيل

(١) اتجاه التفسیر ص ١٣٧-١٣٨ وتقدير اللجنة ص ٨-٩ عن رساله الفتح ص ٤١-٤٣

(٢) اتجاه التفسیر فی العصر الحديث : مصطفى الطیر ص ١٤١

(٣) سورة الانفال : من الآية ٦٧

(٤) اتجاه التفسیر ص ١٤٢ وتقدير اللجنة ص ١٠ عن رساله الفتح ص ٦٥

(٥) سورة النور : فی الآية ١١

الذى تسيرون فى فلكه " وقال " الافك هو تحريف اليهود وتفسيرهم القرآن بقول لغو فتا سير القرآن الموجوده هى مصنفات الافك هلا جاءوا بشهداء أربعه من الأجيال الثلاثه الأولى تشهد بصحتها^(١)

بعض ما أنكره المؤلف:

وما أنكره المؤلف من الامور المعلومه الثابته كثير وكثير نذكره اجمالا حتى لا نثقل بطوله فمناها : -

أولا بـ : أنكر وقوع غزوه فتح مكه وحرف معانى الآيات الوارده فى سورة الفتح ص ٣٥٦

ثانيا : أنكر أنه كان للنبي صلى الله عليه وسلم عم اسمه ابو لهب (ص ١٢٣ - ٢١٦)

ثالثا : أنكر أن ادريس عليه السلام كان نبيا (ص ٢٣٥)

رابعا : أنكر تشريع تعدد الزوجات وقال أن دين الاسلام لا يحل الزواج الا بواحد (ص ٢٦٥)

خامسا : أنكر زواج النبي صلى الله عليه وسلم بغير عائشه رضى الله عنها فقال " وظلت عائشه زوجه له دون شريكه حتى الختام " وقال عن زينب بنت جحش رضى الله عنها " زينب بنت جحش هى رساله روح القدس للقرآن " وقال عن زيد رضى الله " والذى سموه زيدا هو المنافق والمشرک من بنى اسرائيل " (ص

٢٢٤) .

سادسا : أنكر حق تطليق الرجل زوجته بلسانه وجعل ذلك محرما

(١) تقرير اللجنة ص ١٤ عن رساله الفتح ص ١٤٥

فى الاسلام فقال " وما أحل الله لمؤمن برسالة محمد أن

يطلق زوجته بلسانه " (ص ٣١٢)

سابعاً : أنكر حروب الردة وأن أحدا أدعى النبوة

ثامناً : أنكر وجود أبى هريره وابى ذر الغفارى رضى الله عنهما (ص ٩٧) (١)

هذه مع ما سبق بعض ما أنكره المؤلف مما هو معلوم بالضروره وثابت يقيناً ، والذي لا ريب فيه أن أمر هذا التفسير واضح لا يصنف فى غير اللون اللامنهجى وان شئت فسمه منهج المجانين .

ولا يعترف صاحبه بأصول التفسير فلا يفسر القرآن بالقرآن ولا بالسنة ولا بأقوال الصحابه .

ولا يعترف صاحبه باللغة فيصرف الألفاظ عن مدلولاتها الحقيقية والمجازيه من غير حجه .

ولا يعترف صاحبه بالتاريخ فينكر ما تواتر وروده واشتهر بثبوته واصبح جزءاً من التاريخ

ورجل مثل هذا فى آرائه ومثله فى تفسيره لا يشك أحد أدنى شك فى أن يكون أحد رجلين

اما رجل خبيث ذو هدف باطنى يريد ايقاع البلبلة والاضطراب والتشكيك والدس وتعويد الأذهان على الاضطراب فى التفكير حتى يقبل بعد هذا تشكيك من له شبهة أو شبه دليل

واما رجل مجنون حقاً مخرف حقاً وليس بشرط أن يكون المجنون بالعتة والخفه والطيش أو البلاهه والبلاده بل منه ما يسمى بجنون العظمه

(١) تقرير لجنه فحص الرساله : ص ١٥ - ١٦

أو الغرور فيصل بنفسه درجة يجعلها معيارا للعلوم فالحق ما توصل
اليه وكل الناس عاله على علمه وأحسب هذا شر أنواع الجنون

ولست أزعم لنفسي معرفه علم النفس وخصائصه ولكن والحاله هذه التي
أما أنا لا أرى أن يقدم مجنون بمعناه عندنا المشاهد في المستشفيات
النفسية على مثل هذا العمل لا زهدا فيه ولكن عجزا عن التفكير
فيه أو ادراكه فضلا عن دافع الايمان حتى وهم في هذه الحاله .

وعلى كل حال فقد كان ما كان وخرج هذا التفسير ولا يقبل
ذو لب أن يقول مثل قوله ولا يقبله ذو دين فكان حقا اللون اللامنهجي
وان شئت فسمه منهج المجانين ، حفظ الله عقولنا وعقولكم وثبتها على المنهج
القويم .

ونحمد الله سبحانه على ندرة هذا اللون من التفسير ومعذره أن أخذت
وقتا وجهدا في هذا اللون فلا يصح لي عذرا أن أتركه وهد في حصر
اتجاهات التفسير .

وبعد

هذه أهم الاتجاهات الإلحادية في التفسير في القرن الرابع عشر الهجري
وما كان لهذه التفاسير وما كان لأصحابها جرأه على نشرها أو التلطف
بها لو كان الاسلام هو الحاكم في بلاد المسلمين
إذا لحسب العلماء ألف حساب وحساب قبل أن يبيعوا دينهم
بدنياهم فيقولوا في القرآن الكريم ما لا يصح قوله .

وإذا لحسب المثقفون ألف حساب وحساب كذلك قبل أن يجترأ
أحد منهم على تناول آيات القرآن بالتفسير من غير أن يكون من
أهل التفسير

الخاتمة :-

وبعد

هذه أهم الاتجاهات لتفسير القرآن الكريم في القرن الرابع عشر الهجري ، وتلك هي أسسها التي قامت عليها . لها ما لها وعليها ما عليها . ولا أجد حاجة لتكرار ممل - حتى ولو كان مختصرا - للأبحاث التي تناولتها فدون من أردا ذلك المقدمة فقد أجملت فيها ما تناولته من أبحاث ودونه الكتاب كله ففيه التفصيل ودونه الفهارس ففيها الدلالة وانما يهمني وبهم غيري فيما أرى أن أخص الخاتمة بالحديث عن النتائج التي توصلت اليها بعد هذه الدراسة وفيها أمور ما كنت أتصور حد وثها وقوفي عليها . وعلى كل حال فسأقدم النتائج بقدر من الاختصار الذي يعطي الثمرة ولا يؤدى الى الملل

فمن النتائج :

أولا :

في العصر الاسلامي الأول لم يكن ثم الا فرقة اسلامية واحدة والا أمة اسلامية واحدة هي خير القرون وهي قدة المسلمين ولم يكن بينهم شقاق في العقيدة أو خلاف وكلمما ظهرت شرارة من هنا أو هناك هيأ الله لها من أمة المسلمين من يطفئها أو من يضرب صاحبها بدرته ضربة يعيد بها صاحبها إلى رشدة ، ولم يكن لهذه الحالات الشاذة أثر يذكر في التفسير سلبا أو ايجابا فلم يحوج الأمر المفسرين الى الرد عليهم أو على شبهاتهم الا النادر الذي لا يشكل منهجا

ومضى حين من الدهر نشأت فيه مذاهب وفرق أخرى هيأ

الله - سبحانه وتعالى - لهم من يرد عليهم في مؤلفات
مستقلة أو عند تفسير القرآن الكريم

ونظرة سريعة الى التفاسير في تلك الفترة يظهر فيها
حجم المعركة

فرق تولى من جانب تفاسيرها على قواعد أصولها
التي أنشأتها من قبل ، وتبث شكوكها وشبهاتها

وفرقة أخرى تكابد بين أمرين أمر تقرير عقيدتها
واستخراجها من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية وأمر
الرد على شبهات الخصوم وأوهامهم

قامت فرق المعتزلة والشيعة الإثني عشرية والباطنية
والزيدية والخوارج والاباضية والصوفية
والفلاسفة وأمثالهم يفسرون القرآن الكريم وفق أصولهم

وقام أهل السنة والجماعة يقررون عقائدهم ويردون على خصومهم
لهم يهملوا آية فيها تقرير لعقيدتهم الا وبينوه ولا على آية
فيها رد على خصومهم الا وظهره

فعلوا ذلك اظهارا للحق وتبرئة لذمهم وذودا عن عقيدتهم
وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر فما زالوا ظاهرين

وقد كان الاتجاه العقائدي في التفسير في القرن الرابع
عشر أول أبحاث هذه الدراسة - وان أنس لا أنس - صدمة
تلقيتها وأنا أكتب عن تفاسير أهل السنة والجماعة

فقد عانيت كثيرا في الحصول على نصوص تقرر عقيدة
أهل السنة والجماعة بكل تصريح ووضوح بل تسوقها بإشارة عاجلة
وكانها مقررة عند قارئ التفسير ومعلومة

وليتهم حيث يفعلون هذا يتجاوزونه الى الرد على شبهات الاعداء
وكيد الخصوم والتأويلات الباطله ليتهم يبرزون الرد
على الشيوعية والرأسمالية والاشتراكية أو القومية الترابية
أو اللسانية ليتهم يردون على البابية أو البهائية أو القاديانية
أو يردون على عصابات الانحلال الفكرى أو شبهات المستشرقين
أو انحرافات المنحرفين ، أو حتى ليتهم يردون على الفرق المعاصرة
كالشيعة التى جعلت همها كل همها في العصر الحديث
مواجهة أهل السنة والجماعة ومصاد متهم ليس في داخل بلاد
المسلمين فحسب بل حتى في الدول الأوروبية والأمريكية وكم سمعت
من الدعاة الى الاسلام في تلك الانحاء من نشاط أولئك ضدهم وكأن
هؤلاء يدعون الى الشيوعية والاحاد لا الى الدين الاسلامي

ليت أصحابنا ردوا على الشيعة هؤلاء أو ردوا على الاباضية
وبينوا لهم الحق أو ردوا على الصوفية التى عششت على
أنحاء كثيرة في العالم الاسلامي وقاد العوام فيها والجهل
بعض العلماء كما تقاد الشيا يذودون عن أفكارهم ويدافعون
عن أفعالهم ويبررون منكراتهم وهم يعلمون أنهم يقولون غير الحق . . . ؟
ليت أصحابنا ردوا على النصرانية وما تقوم به من نشاط
كبير لتنصير المسلمين في أرجاء العالم مستغلة أوضاع العالم
الإسلامي الاقتصادية والسياسية . . .

ليتهم ردوا على اليهودية ومنظماتها الصهيونية
والماسونية وأندية الروتارى وغيرها من وسائلهم الماكرة للاستيلاء
على قيادة العالم كله وتوجيهه أو جعله تحت سيطرتهم ان استطاعوا
ولن يستطيعوا بإذن الله

بحث عن هذا كله أو عن بعضه في تفاسير أهل السنة
والجماعة في العصر الحديث فلم أجد فيها بغيته
ولا بعضها

وكل ما وجدته نصوصا من هنا أو هناك الصريح الواضح
منها قليل وما سواه التمس منه ما يشم منه رائحة ما أردت

يمرون غفر الله لهم ولمن سبقنا بالايمان - على الآية
وقد زعمتها - طائفه قديمة أو حديثة دليلا على مذهب
ضال أو فكرة خبيثة فلا يعرض أولئك للرد عليها .

يمرون غفر الله لهم على الآية تستدل بها فرقة على ما
يزعمونه حكما شرعيا خالفوا فيه الفهم الصحيح للنص وما
يؤيده من السنه والاجماع فلا يكلف أحد هم نفسه ببيان
ذلك وكأنه لمن لا يخفي عليه الحق في ذلك .

ولعللى ألتمس لهم عذرا^{أهم} أقروا^{أهم} التفسير الحق ويقدمونه ميزانا
أصيلا يوزن به كل قول سواء وكل شبهة وكل بدعة

لكني مع هذا لا أرى الحق - في هذا فالقضية أكبر من أن
نجميل الحديث عنها أو نوجزه والقضية أكبر من أن نجعل الحق
فى أيدي الناس ويزنون به فما زال في الناس كثير
من لا يحسن استعمال الميزان وما زال في الناس من يعجز عن
استعماله وما زال في الناس من يطلب الطعام ويوضع له على
المائدة وان لم نفعل نحن - أهل السنة والجماعة - فسيجد
من يقدم له هذا الطعام بكل سرور ولعلي قد بلغت .

عليها :

وحين اتسعت العلوم الاسلامية عامة ، واتسعت العلوم القرآنية خاصة وأفرد من العلماء السابقين آيات الاحكام بتفاسير مستقلة لم يكن أحد هم يكتب التفسير لهذه الآيات بمعزل عن مجتمعه وقضياه ، بل كان يعطى صورة كادت أن تكون كاملة عن بيئته حتى المذهب الفقهي الذي ينتحله كان له أثره في تفسيره

ففسر كثير منهم آيات القرآن حسب مذاهبهم الفقهية فكان تفسير للمذهب الحنفي وتفسير للمذهب المالكي . . . وهكذا وإذا عطفنا النظر الى القرن الرابع عشر الهجري وجدنا الأمر جد مختلف فقد تولى عن كثير من صفات التفاسير القديمة بحسناتها وعيوبها

كان على من أراد أن ينهج منهج تفسير آيات الاحكام أن ينظر الى ناحيتين . . ناحية عطاء النص . . . وناحية حاجة المجتمع وواقعه ويوازن بينهما . . .

لا . . . لست أريد أن يهمل نصا لأنه غير واقع في المجتمع ولا أريد أن يوجل البحث فيه الى أن يقع . . . لا أريده أن يفعل ذلك ما دام النص القرآني عليه صريح . . . لكني ايضا لا أريد منه أن يسترسل في بحث قد أشبعه العلماء من قبله . . . ولم يتركوا له فيه من عراش لا أريد منه أن يترك لهذا مباحث جدت من بعد في عصرنا هذا من غير أن يعطيها حقها من البحث

يخطئ أولئك الذين ينظرون الى آيات في القرآن الكريم وهم يحسبون أن الفقه ليس الا معرفة أحكام الطهارة والارث والوقف

والهبة وينسون انه هو نتاج دين شامل كامل ايضا
ان الفقه يشمل ما اسلفت ويشمل غيرها ويشمل ايضا كل المناهج
والانظمه في كل مجالات الحياة وما يجد فيها

يشمل النظام الاقتصادي الاسلامي بأوسع معانيه وايجاد
الحلول لمشاكل العالم المعاصر الاقتصادية ويشمل النظام
الاجتماعي والنظام الجنائي والنظام المدني والنظام المالي
والنظام العسكري في أوسع مجالاته نظام العلاقات الدولية
والسفارات وأخلاقيات الدولة الإسلامية يشمل كل أشكال المعاملات
المالية في نظام البنوك المعاصر يبين حلالها وحرامها
وحقها من باطلها . وحين يقصر مفسر أو فقيه في
جانب منها فان القصور من جهده وليس من النصوص فليعتبر أولئك
الذين يصرفون جهودهم الى ما نضج واحترق من المسائل
الفقهية ويتركون عجزا أو تهاونا أو كسلا عن الأبحاث الأخرى
التي ما تزال بحاجة الى أن يخرجها العلماء للناس ويقولون
لهم بأعلى صوت هذا نظام دينكم فخذوا به

نظرت في كتب تفسير آيات الأحكام في العصر الحديث وهالني
ما رأيت . . . رأيتها تكرر ما قاله الجصاص وابن العربي والشافعي
والقرطبي وأنعم بهم من رجال وأنعم بها من كتب
لكنهم كتبوا لا بناء عصرهم وعالجوا قضاياهم وأشبعوا الموضوع دسسا
. وبحثا حتى كادت كتب بعضهم أن تكون كتب فقه لا تفسير

ومع هذا كله فان كتبهم موجوده لم تفقد حتى أصولها ، ومنتشرة
في الأسواق أكثر من كتب . من نقل عنها فأى فائدة نرجوها
من جديد لم يأت بجديد ؟ !

وليت أصحابنا - غفر الله لنا ولهم - وهم يكتبون في التفسير
الفقهي ولا يعالجون قضايا مجتمعهم المعاصرة ليتهم عالجوا
بعض الاختلافات الفقهية بين أهل السنة والجماعة وبين الفرق الأخرى
ليتهم نقضوا ما يستدل به الشيعة في تفسيرهم لا باحثة نكاح المتعة
ليتهم أظهروا مواطن الخطأ في الاستدلال عند هؤلاء - ليتهم
ردوا على الذين يزعمون اباحة الربا غير المضاعف ويثبون
الشبهات في تحريمه ويدعون اباحته ليتهم ردوا على الذين يرون أن
فرض الرجلين في الوضوء المسح - أو ردوا على تفسيرهم للخمس
وتوزيعه ، أو ردوا على الذين يعطلون الجمعة أو الجماعة بمزاعم
باطلة ليتهم وليتهم . هل التمس لهم في هذا ما التمسته
أنفا لمفسري أهل السنة والجماعة في العقيدة من عذر ، وهل
ينفع العذر اذا رأيت فيه ما رأيته في ذاك !!

ونظرت أخرى في كتب التفسير الفقهي فوجدت أصحابها -
أوهكذا خيل الي - يكتبون لتلاميذهم ولا يكتبون لزملائهم
واخوانهم العلماء وظهر أثر ذلك فيما يكتبون
أما أنهم يكتبون لتلاميذهم فكل ما اطلعت عليه من كتب
التفسير الفقهي الا القليل منها ألفه أصحابه لتلاميذهم
في المعاهد والجامعات فكانوا لذلك يسرون وفق منهج
خاص لا يتجاوزونه يسرون معه وليس مع النصوص ومدى دلالتها
يسرون مع النص وينظرون الى الخلف الى المنهج المقرر خشية أن يكونوا
قد ابتعدوا عن حدوده ومنطقته فيعودون يعودون فجأة وتكاد تحس
بأن الموضوع مبتور وتكاد تحس بقوة النقلة تهزك ، وكانوا لذلك يقتصرون
على سور معينة هي تلك السور التي حددها المنهج وعلى
آيات معينة من السورة هي كذلك ،

لا شك أن مثل هذا الالتزام سيؤثر على عطاء المؤلف وعلى نتاجه ولذلك نرى صغر حجم المؤلفات في التفسير الفقهي في العصر الحديث عنها في القديم ، ليس لأنهم اكتفوا بما قاله السابقون وليس لأنهم اقتصروا على ما جدد في الحديث ولكن لهذا الالتزام فحسب .

كلامي هذا - أيها الأحبة - يشير بأصابعه العشرة الى بعض المؤلفات في العصر الحديث ، وبعض أصابعه الى بعضها . . . لكني لا أجد تفسيراً فقهياً معاصراً لا يشير إليه اصبع منها

نحن أيها الأحبة بحاجة الى تفسير فقهي معاصر يعنى بالشمولية والاستيعاب ، فيجمع آيات الاحكام الفقهية كلها لا يتقيد بمنهج دراسي ، ثم يتناول هذه الآيات كلها بالتوضيح والبيان ، لا يقتصر في بيانها على الوجه الذي أشيع بحثاً ولكنه مع هذا يلتمس من مدلولاتها علاج المجتمعات الاسلامية المعاصره بشتى أشكالها وألوانها ويظهر فيما يظهر العلاج الاسلامي لكثير من قضايا العصر الشائكة ، لا يلتزم مذهباً بعينه ————— يلوى النصوص لتوافقه ، ولا يدخل النص بذهن مشبع بالقواعد يلتمس لها أدنى مبرر في النصوص ؟ !

ينظر في النص فيستخرج منه دلالة الصريحة الواضحة مستنداً الى الكتاب والسنة ثم ينظر بعد ذلك في الافكار والمذاهب الأخرى يرد عليها ويبطلها . . . مطلقاً من النص القرآني الكريم - ما أحوج الأمه في عصرنا هذا الى هذا الدستور القرآني ولعلي بلغت .

ثالثاً :

ولا شك أن أفضل طرق التفسير القرآن بالقرآن فـان لم تجد فعليك بالسنة فانها شارحه له مفسره وهذا ما اصطلح عليه بالتفسير بالمأثور وهذا النوع من التفسير كان هو السائد في صدر الاسلام لأنه أصح أنواعه .

ثم نشأ التفسير بالرأى المحمود وانبثق التفسير بالرأى المذموم ودخل في التفسير علوم شتى فتعددت مذاهبه وتعددت طرقه ومناهجه ، فقلت العناية والاهتمام بالتفسير بالمأثور وكاد أن يندرس في كثير من التفاسير القديمة والحديثة

وعجبت الثالثة وأنا أنظر في كتب التفسير في العصر الحديث أبحث فيها عن تفسير أولى بالمأثور اهتماما كبيرا أو اختص به فما وجدت ووجدت فيما وجدت تفاسير تتعامل مع التفسير بالمأثور كما تتعامل مع علوم أخرى حيناً وتورده حيناً تهمله أو تنساه أو تجهله وهل يجهل المفسر السنة !! هذا ما حدث !!

ووجدت فيما وجدت تفاسير تأتي بما يخالفه ووجدت فيما وجدت تفاسير تفسر بمعناه من غير أن تروييه ووجدت ووجدت أشكالاً وألواناً من التعامل مع التفسير بالمأثور - لكني لم أجده من يولييه حقه من الاهتمام ويلتزمه في كل موضع من مواضعه التي ورد فيها

حتى تلك التفاسير التي تحمل عناوين التفسير بالمأثور لا نراها تلتزمه حتى وإن سميت بـ " التفسير القرآني " للقرآن بل جاوز هذا أحد هم فبث الحاده في تفسير سماه - كيدا ومكرا - " الهداية

والعرفان في تفسير القرآن بالقرآن " وتعلق بهذه التسمية بعض أرباب المذاهب والفرق الضالة ليموهوا على الناس الحق فسموا تفسيرهم " الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنة " وما حشاه صاحبه الا بالآراء المبتدعة والروايات الموضوعة !!

وأكثر من رأيه يهتم بهذا المنهج في التفسير الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله تعالى في تفسيره " أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن " فقد أولاه عناية واهتماما كبيرين وفاق بهما أقرانه ويليه بفارق كبير الأستاذ محمد رشدي حمادي في تفسيره " الموجز في تفسير القرآن الكريم المصفي : الجامع بين صحيح المأثور وصريح المعقول " كما وصفه صاحبه في عنوانه .

والأمة الإسلامية في العصر الحديث بحاجة الى تفسير يعنى بالتفسير بالمأثور . . . بالقرآن وبالسنة . . . يورد الآية القرآنية ويورد بعدها ما يفسرها من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وينطلق بعدها لبسط ما تدل عليه من معان وما ترسمه من حقائق . . .

الأمة الإسلامية بحاجة الى هذا النوع من التفسير يورد فيه ما صح من الأحاديث ويبين درجته ، ويرد ما ضعف منها ، أو ما هو موضوع ويحذر من القول به فقد انتشرت في كتب التفسير أحاديث يرددها الناس ويحسبونها صحيحة ويقفون عندها لا يتجاوزونها وإذا جئت بتفسير آخر أصح منه نظر اليك من طرف أو صوب عليك بصره . . . وكأنك أتيت بالجرم الكبير الذي لا يغتفر

نحن - أمة الاسلام - بحاجة الى تفسير ينشر التفسير الحق ويظهره . . . ويورد التفسير الضعيف أو الموهوع ويرده ويبطله حتى لا تقوم قائمه الالحق وحتى ينمحي الباطل . . . هل بلغت

را بعا :

قلت - فيما قلت - في النتيجة السابقة أن التفسير قد اتسع
بعد صدر الاسلام فد خلت فيه علوم شتى

وأقول ان من بين هذه العلوم ، العلوم التجريبية كالطب والفلك
وعلم طبقات الأرض وعلم وعلم الحيوان وعلم النبات ووالخ من تلك العلوم
فاهتم بعض العلماء آنذاك بهذه العلوم فأدخلها بعضهم في التفسير
واكثر منها فيه حتى قيل عنه فيه كل شيء الا التفسير

كان هذا في وقت لم تكن فيه تلك العلوم الا وليدة تحبوعلى
يديها وقد ميهها ومرت قرون و ترعرت فيه وشبت فقامت تثبت
على قدميها وتعدو وحتى حسيها بعضهم قد
نضجت واكتملت وانتهت الى أوج نشاطها وعز قوتها . . . فأرادوا
التقرب اليها والتزلف الي بلاطها بتفسير نصوص القرآن حسب
مدلولاتها . . . وما عرفوا أنها ما زالت تنمو وأنها مازالت
تتغير وتتبدل

ويلغ من عناية أبناء القرن الرابع عشر الهجرى بهذه العلوم
واهتمامهم به أن كان أول تفسير كامل للقرآن الكريم يتم في
هذا القرن هو ذلك التفسير الذي حشاه صاحبه بكل النظريات والحقائق
العلمية صغيرها وكبيرها فلا يكاد يمر بكلمه فيها ذكر لآله
أو نبات أو حيوان أو خلق انسان أو ربح أو مطر أو سحاب
أو سماء أو أرض ونحو ذلك الا وأحال تفسيره الى بحث علمي بحت خاص
بما عرضت الاشارة اليئه في الآيه وملاءه بالصور الموضحة والتجارب
العلمية والشواهد من كلام أهله وخبرائه وعلمائه الجديـد
منها والقديم حتى تشك وأنت تقرأ فيه فيما بين يدك فتطويـه

وتنظر الى غلافه فاذا هو فعلا كتاب الجواهر في تفسير القرآن الكريم ويأخذك العجب والدعش بين مسماه وما تقرأ فيه ، فتسأل أهل الذكر فيشيرون بالصمت بالصمت لتسمع كلمة جاءت من عمق القرون السالفة تجلجل فيه كل شيء الا التفسير فما زالت تلك الكلمة منذ قيلت تشق مسارها في التاريخ راسمة أحرفها على كل من سلك هذا المسلك المتطرف في التفسير حتي وان كان فيه تفسير . لأن هذا طغى عليه فأفسده فلم يعد تفسيراً وكما أشفق على تلك الكلمة " فيه كل شيء الا التفسير "

فقد مكثت سنوات منذ قيلت معطلة لم تجد لها عملاً لكن العمل المرهق جاءها جملة في هذا القرن حيث نشأت تفاسير كثيرة فيها كل شيء الا التفسير فذهبت ترسم نفسها على الأغلفة لا يراها الا أصحاب البصيرة وأهل العلم والذكر . . .

لست من أعداء التفسير العلمي كما تحسبون ولست من أنصاره وموئديه كما تظنون أنا - أيها الأحبه - ان سألتهم عن موقفى وسط بينهما . . . لست من أولئك الذين يرفضون التفسير العلمي حتى حقائقه ولست من الذين يتحمسون له حتى نظرياتهم وتصوراتهم

كما اشكو من أولئك الذين يقحمون التفسير العلمى التجريبي فاني أتضايق من أولئك الذين يرفضونه كل الرفض

ليته ينفر منا طائفة من شتى أصحاب العلوم والمعارف يستفيد من خبراتهم نفر من أهل العلم الشرعي يسألونهم عن حقائقه فيستشهد بهم هوؤلاء في التفسير ولا يفسرون بها النص

و يسألونهم عن نظرياتهم فلا يورود نهـا لا تفسير ولا استشهادا
لأنهـا مازالت متأرجحه لا تستقر و من يستمسك بمتأرجح فانهـ
لا بد متأرجح معه وان سقط سقط معهه
أعرف أن هناك من سيرفض قلـي و أعرف أن هناك من سيعدله
ويقوم ما يراه معوجا ولعل فيهم من يقبله و يراه حقـا
وهذا رأيي والله أعلم

خامسـا : -

أ نزل الله سبحانه وتعالى هذا القرآن الكريم لحكم عظيمة
غايتها تصحيح العقائد وتقويم السلوك
وعلى المفسر أن يجعل هذا الأمر في ذهنه عند تفسيره
ثم عليه وهو طبيب عقول أن يكون كطبيب الأجساد ينظر في مريضه
ويشخص داءه ثم يصف له الدواء ، وعلى المفسر أن ينظر الى مجتمعه
فيحدد أمراضه ويظهر مواطن ضعفه وتفككه وانحلاله ثم يصف
له الدواء القرآني سواء كانت علله في العقيدة أو في
السلوك .

كم يسرني ذلك المفسر الذي أراه يفسر الآيه القرآنية ثم أراه
يضرِب الأمثلة من مجتمعه - في غير تشهيد - ويلتمس لها العلاج
القرآني وكم يسرني ذلك المفسر الذي يرى عادة ذميمة فـي
مجتمعة أو تحللا أو اهمالا لواجب أو انتشارا لبدعة
فلا يمر بآية هي علاج لهذا أو ذاك الا ويربط بينهما ويشير الى
علاجها ويأمر به

يهمل كثير من العلماء مسألة الربط أو التشخيص الدقيق
وهم يحسبون أن لدى مستمعيهم - كلهم - القدرة على الاستنتاج

والتطبيق

تجد المفسر مثلاً يتحدث عن الربا وتحريمه ويشرح آياته مفردة مفردة ومواطن البلاغة ومحاسن التعبير ويبلغ في ذلك شأواً ثم ينتقل الى آية أخرى بعدها وهو يحسب أنه قد أشبع الموضوع حقه ، وما درى ذلك الرجل أنه أخذ جانباً وترك الآخر كان عليه - مثلاً - أن يضرب أمثلة للربا من مجتمعة فيشير نصاً الى البنوك الربوية ومعاملاتها ومواطن الخطأ فيها ومواضع الربا وآثار ذلك في الاقتصاد كان عليه أن يعطى المثال المستقيم فيذكر البنوك الاسلامية وما يجب أن تتعامل به ولا ضير أن يذكر أسماءها وأنواع معاملاتها

ستقولون - أيها الصحاب - أنه خرج عن التفسير فأقول على فرض أنه خرج أليس خروجه هذا أفضل من خروجه عنه الى الاساليب البلاغية والمسائل اللغوية والتغنى بحسن التعبير والوقوف عند معالم الجمال ان صح تسمية كل ذلك خروجاً !!

ثم انى لا أعتبر هذا ولا ذاك خروجاً عن التفسير اذا ناسب المقام فاذا كان المقام مقام حديث مع العلماء والأدباء فليكن كذلك واذا كان حديثاً موجهاً للعامة أو للإصلاح الاجتماعى فليكن بأسلوب آخر وبأهداف وطرق أخرى ، ليوجه همه الى تلك القضايا الاجتماعية ويبسطها للناس فلا يجعل التفسير بمعزل عن أنزل القرآن لإصلاحهم وإصلاح عقائدهم

حين نزل القرآن الكريم أصلح كثيراً من البدع والمنكرات التي تحدث في مجتمع الجاهلية وخصها بالذكر فحرم وأد البنات والربا وشرب الخمر وعبادة الأوثان وما زال القرآن يقوم الاخلاق . . . حتى النداء من وراء الحجرات

فما بال أقوام منا يهملون جانب الإصلاح الاجتماعي
في تفسير القرآن الكريم ويظنون أنه - مخطئين - خروجاً
بالتفسير عن حده

ان الأمر هنا يختلف عن المناهج الأخرى الأمر هنا
يتطلب تفاسير عدة لا تفسيراً واحداً حيث يقوم من كل بلد من بلاد العالم
الاسلامي عالم عارف بأمراض مجتمعه يفسر القرآن فيعرض لها
ويحذر من خبيثها ويحمد حسنها

أقول هذا لأن العالم الاسلامي مترامي الأطراف . . . مختلف
العادات وقد ينتشر في مجتمع من المنكرات مالا وجـود
له في مجتمع آخر . . . فقد يوجد الربا في
بيئة ويستفحل ولا يكاد يوجد في أخرى وقد تنتشر حانات
الخمور ودور الرزيلة والملاهي وأندية القمار في بيئة ولا يعرفها
آخرون وقد ينتشر الاختلاط والتبرج والتعري والفسق والفجور
في مجتمع ولا يعرفه آخر وقد تنتشر بدعة التصوف وطقوسها
في بيئة دون بيئات وقد تشتهر بعض المحرمات وتصبح عادة
مألوفة في مجتمع تحتاج ان ينص العلماء عليها ويحذرون
منها كالشغار والنجش وبعض أنواع الربا والاسراف والتبذير و . . الخ
وهذا يوجب أن يقوم من كل مجتمع عالم يكتب علاجاً قرآنياً
لامراض مجتمعة فما زالت المنكرات منتشرة وما زالت البدع سائدة
نسأل الله سبحانه والإصلاح والتوفيق

سادساً :-

قام في القرن الرابع عشر الهجري رجال علماء بذلوا وسعهم حسب
مفهومهم وحسب قدراتهم للإصلاح سياسياً واجتماعياً وكان لهمؤلاء

جوانب مشرقة وكان لهم أخرى ونال هؤلاء الرجال منزلة كبيرة
في مجتمعاتهم بين العلماء والعامة . ونفذ بعض المغرضين وذوى النحل
الباطل من هذه " الأخرى " فأمسوا يبيثون شكوكهم وأوهامهم
ويدعهم ومنكراتهم فإذا قام معترض عليهم قال لهم انكم تردون اليوم
ما كان يقرره فلان منذ ٤٢ عاما ؟ (١) . فيطرق القوم وكأنه
قال لهم قول معصوم

وتقولون وما دخل هذا في التفسير ؟ ! فأقول ان بعض
هؤلاء كان لهم نشاط في التفسير منه ما أبدعوا فيه ومنه ما جانب
الصواب وقد أخشى - وقد حدث فعلا - أن يستدل رجل بالجانب
الذي وقع فيه الخطأ فيحسبه آخرون قد أتى بالحجة القاطعة

علينا اذا أن نقيم رجال التفسير فنظهم ما لهم ونظهم
ما عليهم اين كتب الرجال في القرن الرابع عشر ؟ أين كتب طبقات
المفسرين في القرن الرابع عشر ؟

حقا ان كثيرا منهم مازال حيا يرزق وحقا ان بعضهم قد انتشر
صيته ؟ ولكن أقولها عن تجربة اذا ما أردت ترجمة قصيرة
عن حياة أحد هم فضلا عن الجرح والتعديل فاني لا أجد له
رائحة

حبذا لو قام أحدنا بالكتابة عن مفسرى القرن الرابع عشر
وليس عن اتجاهات التفسير فحسب .

يكتب تراجم لحياتهم العلمية ومؤهلاتهم للتفسير ومن تتوفر
فيه شروط المفسر منهم ومن لا تتوفر فيه ، ثم يكتب عماله في
التفسير وما عليه ويرد أو يناقش بعض أخطائه الظاهرة في التفسير

(١) قال هذا أمين الخولي دفاعا عن رسالة ملحة

وبذلك ننقي ساحة التفسير وساحة المفسرين من زغلهـا
وزيغها ونكشف للناس حقيقتها فلا يجروء مجترىء بعد ذلك
أن يستدل بهفوة ، ولا يطأطىء رأسه أحدنا مسلما باحتجاج
زائف

علما أن الأمر لا يقتصر على ذوى الهفوات من المفسرين بل
سلك بعضهم طريقا خاصا ونهجاً الحاديا علانية يسعى لأن يرد
عليه فيشتهر ويرى - لضعف إيمانه أو عدمه - أن الالحاد هو
أقصر طريق إلى الشهرة .

فعليـنا أن نقف لتلك الزمرة بالمرصاد دفاعا عن كتاب الله
عز شأنه نقف لهم فلا نحقق مأربهم ولا ننشر كتبهم بشتى الوسائل
ونسعى أن يكون موقفنا منهم درسا رادعا لمن يقف خلفهم
أو ينتظر فرصة ليفعل فعلهم هل بلغت

سابعاً :

اختلاف أساليب التعبير عبر القرون ظاهرة واضحة لا شك
فيها وكما من قصيدة سمعناها فأدركنا من مفرداتها ونغمها
وجرسها أنها شعر جاهلي أو شعر إسلامي أو شعر
حديث أو حتى شعر أندلسي ونحو ذلك وقع هذا لأن لكل
مجتمع ما يناسبه من الألفاظ والعبارات

وهذا يوجب على المفسر أن يتحدث بأسلوب عصره فلا
يأتي - وهو يفسر - بغريب الألفاظ ولا يتكلف الحديث ولا يمعن
في عويص المعاني ولا يتشدد في التعبير

لا يعلو حديثه عن درك العامة ولا يهبط إلى وضيع القول

عند العلماء فليحاول جهده في التعبير بحيث اذا سمعه
غير المتخصص أدرك أبعاده وشده أسلوبه واذا سمعه العالم
شده حسن التعبير وطلاوة الأسلوب . . . والموازنة هذه يهبها
الله لمن يشاء من عباده

أما التبسيط العميق للتفسير فانه يحيل التفسير الى كتاب
مدرسي يوضع للناشئة ان لم يكن وضع لهم أصلا - مثل هذا يبعد
كل البعد عن الاتيان بجديد في الفكر أو في التدبر أو في
التأمل

ولهذا لم يكن لهذه المؤلفات أثر في دراستنا هذه عن
مناهج التفسير الجادة

والاغراق في العبارات أيضا يقصر الفائدة منه على المختصين
والعلماء ويحرم سواهم من الانتفاع به ، والقرآن الكريم لم
ينزل لهؤلاء وحدهم ولا لهؤلاء دون سواهم بل نزل للجميع فليكن
التفسير للجميع أيضا

لا أريد من هذا أن أمتنع التفسير الموسعة العميقة الأبحاث
لكنني أريد تبسيط أسلوبها حتى اذا ما أراد أن يسلكها غير العلماء
سلكها وكانت له كالمعلم يخاطبه ويوجهه ويسألها
ويجيئها بأسلوب لا يهبط الى ذلك ولا يعلو عن مداركهم
هل بلغت

وبعد

ليست هذه خلاصة البحث وليست كل ما أريد قوله فقد
بثت فيه وبين مناهجه ملاحظاتي في مواضعها ولكنني أشرت الى

ما أشرت اليه للتأكيد ليس الا

أما الأساس السليم والمنهج القويم في التفسير الذي يجب أن نسلكه فيه فقد بينت أسسه وقواعده في حديثي عن منهج أهل السنة والجماعة ولا أظني في حاجة الى تكرار القول أنني قد وضعت منهجهم أول المناهج ليكون ميزانا بيد القارئ يزن به كل ما يصادفه في طريقه فيه يأخذ وبه يرد

ولهذا فلا أرى موجبا لاعادة هذه الأسس مرة أخرى فهي ايضا الأساس الفضلى وهو أيضا المنهج الحق

لكن هذا لا يمنع من التحذير التحذير

التجديد في الأسلوب الملائم لابناء العصر والذي أشرت اليه آنفا والتجديد في التحذير من العقائد الضالة والفرق المنحرفة المعاصرة والقديمة وبيان مواضع ضلالهم وانحرافهم والتجديد في تفسير آيات الاحكام ببيان ما جد من الأحكام الشرعية والمعاملات المالية والاقتصادية والعسكرية . . . الخ

والتجديد في علاج القضايا الاجتماعية فقد جد في هذا العصر من المشكلات الاجتماعية ما يحتاج الى علاج وبيان

والتجديد في التحذير من التفاسير المنحرفة والضالة ومجاهدة أصحابها وبيان ضلالهم وكشف زيفهم للناس

كل هذا وسواء اكثر من معالم التجديد في التفسير الذي يطلبها أبناء القرن الجديد في التفسير وهذا يحمل علماءه أمانة القيام فانهم يوم القيامة مسئولون وعلى أعمالهم محاسبون ومجزئون

وأوصي أخيرا أولي الأمر وذوى العلم والجامعات الاسلامية

وفيهم نفر من العلماء الصالحين أن يسعوا للقيام بتفسير يشترك
فيه نخبة مختارة من العلماء البارزين في مختلف التخصصات الشرعية
في العقيدة والفقه والتفسير والأدب
والاصلاح الاجتماعي والعلوم التجريبية الخ

يجتمع هؤلاء يتلون آيات الله فيما بينهم ويتناولونها بالتفسير
والبيان ثم تصاغ كلها بأسلوب ملائم يجمع فيه كل ما يحتاجه عصرنا
من اصلاح عقائد و فقهي واجتماعي وعلمي وأدبي يعني فيه
بما أسلفنا الإشارة اليه تفصيلا والحمد لله الذي تتم بنعمته
الصالحات

آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله
وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا
وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير ، لا يكلف الله نفسا الا وسعها
لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا
ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا
ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا
فانصرنا على القوم الكافرين " (١)

(١) سورة البقرة : ٢٨٥ - ٢٨٦

دليل المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	١
التمهيد	٢١
الباب الأول : الاتجاه العقائدي في التفسير	٤٥
الفصل الأول : منهج أهل السنة والجماعة	٤٩
التعريف بهم	٤٩
نشأتهم	٥٠
مجل عقيدة أهل السنة والجماعة	٥٢
بيان بعض عقائدهم	٥٨
اسس تفسير اهل السنة والجماعة	٨٣
نماذج من تفسير أهل السنة والجماعة	
في العصر الحديث	٩٢
نماذج من الموء لفات فيهم	١٢٢
١ - تفسير أضواء البيان	١٢٢
٢ - تيسير الكريم الرحمن	١٤٩
٣ - محاسن التأويل	١٦٢
رأبي في هذا المنهج	١٨٣
الفصل الثاني : منهج الشيعة في تفسير	
القرآن الكريم	١٨٥
التعريف بهم	١٨٦
بداية ظهور التشيع	١٨٨
فرق الشيعة	١٩٠

١٩١	الامامية
١٩٢	الاثني عشرية
١٩٢	اصولهم
١٩٦	منهجهم في التفسير
٢٠٥	نماذج من تفسيرهم
٢٤٢	أهم كتب التفسير المعاصرة عندهم
٢٤٤	الميزان في تفسير القرآن
٢٥٤	رأبي في هذا التفسير
٢٥٦	رأبي في هذا المنهج
٢٦٠	الاسماعيلية
٢٦٤	الجمهوريون
٢٧١	نماذج من تفسيرهم
٢٨٦	الزيدية
٢٨٩	منهجهم في التفسير
٢٩١	الفصل الثالث : منهج الإباضية في التفسير
٢٩٢	التعريف بهم
٢٩٣	عقائدهم
٣١٤	التفسير الإباضي
	هميان الزاد، إلى دار المعاد
٣١٦	تيسير التفسير
٣١٦	المؤلف
٣٢٠	منهجه في التفسير
٣٧٣	رأبي في هذا التفسير

٣٧٧	الفصل الرابع : منهج الصوفية في التفسير
٣٧٨	التعريف بهم
٣٧٩	المراد بالتصوف
٣٨١	نشأة التصوف وتطوره
٣٨٤	عقائد التصوف
٣٨٦	من شروط التصوف
٣٨٦	طبيعة التصوف
٣٨٨	أقسام التصوف
٣٨٩	التفسير الصوفي النظري
٣٩٠	التفسير الفيضي الإشاري
٣٩١	موقف العلماء من هذا اللون في التفسير
٣٩٨	شروط قبول التفسير الإرشادي
٣٩٩	أهم المؤلفات في التفسير الإشاري
٤٠١	أولا : بيان السعادة في مقامات العبادة
	ثانيا : ضياء الأكوان في تفسير
٤٢١	القرآن
٤٣٤	رأى في التفسير الصوفي الحديث
	الباب الثاني : الاتجاهات العلمية في التفسير
٤٤١	الفصل الأول : المنهج الفقهي في التفسير
٤٤٨	أولا : فقه اهل السنة والجماعة
٤٦٥	تفاسير آيات الأحكام
٤٦٦	أولا : نيل المرام في تفسير آيات الأحكام

- ٤٧٦ ثانيا : روائع البيان
- ٤٩٤ ثالثا : تفسير آيات الأحكام
- ٥٠٢ رابعا : تفسير آيات الأحكام
- ٥١١ خامسا : قبس من التفسير الفقهي
- سادسا : دراسات في تفسير بعض آيات
الأحكام
- ٥١٥
- ٥٢٠ ثانيا : فقه الشيعة الإمامية (الاثني عشرية)
- ٥٥١ ثالثا : فقه الأباضية
- ٥٥٦ الفصل الثاني : المنهج الأثرى في التفسير ...
- ٥٥٧ المراد به
- ٥٨٩ تعريفه مقال
- موقف العلماء السابقين من التفسير العلمي
- ٥٩٢ التجريبي
- ٥٩٣ رأى المؤيديين
- ٦٠٣ رأى المعارضين
- موقف العلماء المعاصرين من التفسير
- ٦٠٨ العلمي التجريبي
- ٦٠٩ آراء القائلين به
- ٦٢٦ أقوال المعارضين
- ٦٥٩ أهم المؤلفات فيه
- نماذج للتفسير العلمي التجريبي في القرن
- ٦٧٠ الرابع عشر

أمثلة من المؤلفات في التفسير العلمي التجريبي

٦٩٧ في القرن الرابع عشر

أولا : الجواهر في تفسير القرآن

٦٩٧ الكريم رأيي في هذا التفسير

٧٥٠ ثانيا : كشف الأسرار النورانية

٧٥٢ رأيي في هذا التفسير

٧٦٣ ثالثا : الكون والاعجاز العلمي

٧٦٦ رابعا : مع الطب في القرآن الكريم

٧٦٨ خامسا : الإعجاز العددي في القرآن

٧٧١ الكريم

٧٧٦ رأيي في هذه المؤلفات

١ الباب الثالث : منهج المدرسة العقلية الاجتماعية الحديثة

٧٧٧ في التفسير

٧٧٨ تمهيد

٧٧٩ المراد بـ

٧٧٩ العقل في القرآن

٧٨٣ مكانة العقل في الاسلام

نشأة المدرسة العقلية الاجتماعية

٧٩٠ الحديثة

منهج المدرسة العقلية الاجتماعية الحديثة

٧٩٢ في التفسير

أهم مؤلفات المدرسة العقلية الاجتماعية

٨٨٤ الحديثة في التفسير ..

أولا : تفسير القرآن الحكيم ٨٨٩

ثانيا : تفسير جزء تبارك ٩٤٢

رأبي في هذا المنهج ٩٤٩

الباب الرابع : الاتجاه الأدبي في التفسير ٩٥٥

تمهيد ٩٥٦

الفصل الأول : المنهج البياني في

التفسير ٩٦٢

قصة تأصيل هذا المنهج ٩٨٠

مراحل ومعالجه ٩٨٥

الدراسات التطبيقية ١٠٠٣

أمين الخولي ١٠٠٣

عائشة عبد الرحمن ١٠٣١

محمد أحمد خلف الله ١٠٧١

رأبي في هذا المنهج ١٠٨٩

الفصل الثاني : منهج التذوق الأدبي

في التفسير ١١٠٢

المراد به ١١٠٣

في ظلال القرآن .. سيد

قطب ١١٠٩

المؤلف ١١٠٩

منهجه في التفسير ١١٢٠

ملاحظات على هذا التفسير ١١٨٨

١١٩٣	الباب الخامس: الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن القرآن الكريم.....
١١٩٤	تمهيد
١٢٠٣	الفصل الأول : المنهج الإلحادي في تفسير القرآن الكريم.....
١٢١٥	الهداية والعرفان في تفسير القرآن
١٢٤٩	الفصل الثاني : منهج القاصرين في تفسير القرآن الكريم
١٢٥٠	تمهيد
١٢٥١	نماذج من هذا اللون في التفسير
١٢٦٣	القرآن محاولة لفهم عصرى
١٢٩٣	الفصل الثالث : اللون اللامنهجى في تفسير القرآن الكريم...
١٢٩٤	تمهيد
١٢٩٧	رسالة الفتح
١٣٠٧	الخاتمة
١٣٢٧	دليل المحتويات
	دليل الآيات القرآنية
	دليل الاحاديث النبوية
	دليل الأعلام
	المراجع والمصادر

وهذه الأربعة في (ملحق) خاص إن شاء الله تعالى